شرح لمعة الإعتقاد

بقلم

أبي الحسن علي بن محمد المطري

تخريج

أبي المبارك/ دارس حسن الوادعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
أما بعد :
فهذا مؤلف صغير في اعتقاد أهل الحق من أهل السنة والجماعة فيما يتعلق في باب العقيدة والتوحيد وهذا الكتاب معروف بل مشهور عند طلاب العلم ورائديه وهو ما يعرف باللمعة لابن قدامة المقدسي رحمه الله ،
وكنت حريصاً على أن يكون شرحاً موجزاً لفك عبارات الماتن رحمه الله فنظرت في شراح هذا المتن فوجدت أن شرح ابن عثيمين(١) هو أخصر وابسط وأسهل وأجزل وأنفع الشروح.
فأحببت أن يكون درسنا من شرح ابن عثيمين على هذا المتن فابن عثيمين من الراسخين في العلم رحمه الله فعسى أن نأخذ ما قرر خلال هذه الفترة فهي تعتبر تعليماً للمبتدئ وتذكيراً للمنتهي ولا ينبغي لطالب العلم أن يرغب عن فائدة ما .

اسمه ونسبه:
فابن قدامة هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي.
مولده:ولد في شعبان سنة ٥٤١هـ بجماعيل من عمل نابلس قدم دمشق مع أهله وله عشر سنين فقرأ القرآن وإذا قالوا : قرأ القرآن أي حفظه وحفظ مختصر الخرقي ورحل إلى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغني(٢) وسمع الكثير من مشايخ كثيرين تفقه حتى فاق أقرانه وحاز قصب السبق وانتهى إليه معرفة المذهب وأصوله.
والمراد بالمذهب مذهب الحنابلة فقه الإمام أحمد. كان ورعاً زاهداً نقياً عليه هيبة ووقار وفيه حلم وتؤدة وأوقاته مستفرغة للعلم والعمل وكان يفحم الخصوم بالحجج والبراهين ولا يتحرج ولا ينزعج وخصمه يصيح ويحترق رحمه الله .

---

١) ابن عثيمين: هو الشيخ العالم العلامة المدقق المحقق الحبر البحر المفسر الفقيه الأصولي المتمكن الزاهد الورع الإمام أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان الوهيبي التميمي جده عثمان أشتهر بعثيمين فصارت الأسرة تنسب لهذا الجد وهو الجد الرابع
ولد ليلة الجمعة /١٣٤٧/٩/٢٧ هـ) بمدينة عنيزة إحدى مدن القصيم وتوفي يوم الأربعاء/١٤٢١/١٠/١٥ هـ) وله من العمر (٧٤) عاما وثمانية عشر يوما بالسنين القمرية . أنظر: الدر الثمين في ترجمة العثيمين بتصرف.
٢) الحافظ عبد الغني المقدسي: هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور الحافظ أبو محمد المقدسي صاحب التصانيف المشهورة ولد بجماعيل في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ومات يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ستمائة للهجرة وله سبع وخمسون سنة ودفن بالقرافة. كان ورعا زاهدا عابدا يصلي كل يوم ثلاثمائة ركعة كورد الإمام أحمد ويقوم الليل ويصوم عامة السنة وكان كريما جوادا لا يدخر شيئا ويتصدق على الأرامل والأيتام حيث لا يراه أحد وكان يرقع ثوبه ويؤثر بثمن الجديد وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء وكان أوحد زمانه في علم الحديث والحفظ.
أنظر البداية والنهاية(١٣/٣٨ـ ٣٩).

من أقوال العلماء فيه :

قال ابن الصلاح وهو عالم جليل ([٣]) : ما رأيت مثله كان مؤيدا في فتاويه ([٤]).

وقال ابن تيمية([٥]) : ما دخل الشام بعد الأوزاعي([٦]) أفقه من الشيخ الموفق([٧]) .

وقال المنذري([٨]) : الفقيه الإمام حدث بدمشق أفتى ودرس وصنف في الفقه([٩]) .

قال الذهبي([١٠]) : أحد الأئمة الأعلام صاحب التصانيف([١١]) .

قال ابن كثير([١٢]): شيخ الإسلام إمام عالم بارع لم يكن في عصره ولا قبل دهره بمدة أفقه منه رحمه الله([١٣]) هذا تعريف سريع بصاحب اللمعة([١٤]).

---

٣) ابن الصلاح : هو الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام ومفتي الشام ومحدثها تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري ثم الدمشقي الشافعي ، ولد سنة (٥٧٧ هـ) وكان دينا زاهدا ورعا ناسكا على طريق السلف الصالح كما هي طريقة متأخري أكثر المحدثين مع الفضيلة التامة في فنون كثيرة ولم يزل على طريقة جيدة حتى مات، وكانت وفاته بمنزله في دار الحديث الأشرفية ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين وستمائة. أنظر: البداية والنهاية(١٧/ ٢٨١ـ ٢٨٣)أحداث سنة(٦٤٣) وسير الأعلام(٢٣/ ١٤٠ـ ١٤٤) ترجمة(١٠٠)

٤) انظر: تأريخ الإسلام(ص٤٨٨/ حوادث سنة(٦٢٠) وشذرات الذهب(٥/ ١٨٠، ١٨١) .

٥) ابن تيمية: (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) هو العلامة المجاهد الإمام الرباني شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي: ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطُلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة(٧١٢ هـ) واعتقل بها سنة(٧٢٠) وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد

أنظر: البداية والنهاية(١٨/٢٩٥) وفيات سنة: ٧٢٨) والأعلام للزركلي(١/١٤٤) وسير الأعلام(٢٣/٢٩١ ترجمة: ١٩٨) ولكنه ذكر ولادته سنة(٥٩٠) ووفاته سنة(٦٥٢).

٦) الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات. وقيل: كان مولده ببعلبك. ولد سنة ثمان وثمانين، وكان خيرا، فاضلا، مأمونا كثير العلم والحديث والفقه، حجة. عرض عليه القضاء فامتنع. وهو أحد الكتاب المترسلين. توفي سنة سبع وخمسين ومائة.

أنظر: السير(٧/١٠٧/ ترجمة ٤٨) والأعلام للزركلي(٢/ ٣٢٠) والتاريخ الكبير للبخاري(٥/ ٣٢٦) والجرح والتعديل (٥/٢٦٦) والطبقات الكبرى ابن سعد(٧/٤٨٨) وتاريخ دمشق لابن عساكر(٣٥/ ١٤٧) وتذكرة الحفاظ(١/ ١٣٤) وغيرها

٧) أنظر: شذرات الذهب(٥/ ١٨١).

٨) المنذري: هو الحافظ زكي الدين المنذري عبد العظيم بن عبد القوي بن عبدالله بن سلامة بن سعد بن سعيد الشافعي المصري أصله من الشام ولكنه ولد بمصر وكان شيخ الحديث بها مدة طويلة إليه الوفادة والرحلة من سنين متطاولة. وقيل إنه ولد بالشام (٥٨١ـ ٦٥٦ هـ) البداية والنهاية(١٣/٢١٢/ أحداث ٦٥٦) وشذرات الذهب(٥/٤١٠)

٩) أنظر: مقدمة اللمعة تحقيق أشرف (ص٩).

١٠) الذهبي: هو مؤرخ الإسلام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله الذهبي (٦٧٣ـ ٧٤٨ هـ) توفي بدمشق. أنظر: مقدمة سير أعلام النبلاء(ص١٤ـ ٧٣) وشذرات الذهب (٦/٣٣٥)

١١) أنظر: مقدمة اللمعة تحقيق أشرف (ص٩) وفي تأريخ الإسلام (ص٤٨٣) قال: صاحب التصانيف.

١٢) ابن كثير: (٧٠١ـ ٧٧٤هـ = ١٣٠٢ - ١٣٧٣ م) هو الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي . دفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية.

أنظر: البدر الطالع(١/١٠٢ رقم ٩٥) والأعلام للزركلي(١/٣٢٠) وشذرات الذهب(٦/٢٣١) وفيه أنه ولد سنة (٧٠٠)

١٣) أنظر: البداية والنهاية(١٣/١٠٠).

واللمعة هي البلغة من العيش. قال:{ أعطني مما آتاك الله شيئاً أتبلغ به}([١٥]).
وهي لغة إلى اليوم . فلما قال لمعة الإعتقاد كأن المعنى البلغة من الإعتقاد الصحيح المطابق للكتاب والسنة ومذهب السلف الصالح

* * * * *

مقدمة صاحب المتن: (ابن قدامة)

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير.
{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[الشورى١١] .
له الأسماء الحسنى والصفات العلى
{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى{٥} لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى{٦} وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى{٧} [طه: ٥- ٧].
أحاط بكل شيء علماً وقهر كل مخلوق عزة وحكماً ووسع كل شيء رحمة وعلماً.
{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً }(طه : ١١٠)
موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم .

.....

الشرح:
قال الشارح وهو ابن العثيمين : (ما تضمنته خطبة الكتاب) هذه المقدمة خطبة المؤلف قال :
(تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي :
١- [البداءة بِـالبسملة اقتداء بكتاب الله العظيم وإتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم] فإن أول القرآن : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وهكذا كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذا كتب رسالة كما كتب إلى قيصر وإلى كسرى وإلى ملك بصرى : بسم الله الرحمن الرحيم قال:[ومعنى بسم الله الرحمن الرحيم أي أفعل الشيء مستعيناً ومتبركاً بكل اسم من أسماء الله تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة].

---

١٤) للمزيد أنظر ترجمة ابن قدامة في : السير (٢٢/١٦٥- ١٧٣/ ترجمة رقم(١١٢) والبداية والنهاية (١٣/٩٩) حوادث سنة/ ٦٢٠) وتأريخ الإسلام حوادث سنة(٦٢٠) وطبقات المفسرين(ص ١٧٧) والوافي بالوفيات (١٧/٢٣/ رقم(٥٩٩٣) وذيل طبقات الحنابلة (٢/١٣٣- ١٤٩) ومعجم البلدان لياقوت الحموي(٢/١٨٦) رقم(٣٢١٥).
١٥) يشير إلى: حديث الثلاثة الأبرص والأقرع والأعمى الذين ابتلاهم الله سبحانه وتعالى وقصتهم في البخاري(٣٢٧٧، ٦٢٧٧) ومسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق رقم(٢٩٦٤)عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا على حسب العمل الذي أنت فيه كنت في كتابة في أكل في شرب في دخول في خروج في لبس أو خلع. قال النبي صلى الله عليه وسلم :{ ستر ما بين أعين الجن و عورات بني آدم إذا وضع أحدهم ثوبهأن يقول : بسم الله ستر}([١٦]).

وعلماؤنا يقولون : الأصل في كل شيء البسملة فيقدر المحذوف اسماً أو فعلاً على خلاف بين النحويين على حسب المراد بسم الله يعني حال كوني مستعيناً بالله أكلاً أو شرباً أو وضوءاً على حسب الوضع الذي أنت فيه.

قال رحمه الله : [ومعنى الله المألوه أي المعبود حباً وتعظيماً وتألهاً وشوقاً].

هذا لفظة الله معناه الإله المعبود الذي تألهه القلوب محبة وتعظيماً وهو أشرف الأسماء الحسنى.

[والرحمن ذو الرحمة الواسعة] هذا باختصار ويقول بعض العلماء : هو عام الفعل خاص الاسم لا يسمى به إلا الله ورحمته دنيا وآخرة[و الرحيم الموصل رحمته من شاء من خلقه

فالفرق بين الرحمن والرحيم أن الأول باعتبار كون الرحمة وصف له، والثاني باعتبارها فعلاً له يوصلها من شاء من خلقه].

كما قال سبحانه : { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً }(الأحزاب٤٣) فهو عام الإسم خاص الفعل .

٢ـ : [الثناء على الله بالحمد، والحمد ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم].

هذا في قوله : الحمد لله المحمود بكل لسان ولماذا قال : المحمود بكل لسان ؟ كل من صيغ العموم يقول سبحانه : {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً }(الإسراء٤٤).

فالحجر والشجر والطعام والشراب وسائر المخلوقات تسبح بحمد الله سبحانه وتعالى وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم(كان يأكل الطعام والطعام يسبح)([١٧])

وهكذا (كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر فيسلم عليه)([18]) دليل على أنه يتكلم إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يهبه هذه الصفة وهكذا أيضاً الحيوانات ربما تتكلم بكلام البشر فالذي أوجد فينا هذا الخطاب فصيح الخطاب قادر على أن يعطيه للسباع والطيور قادر سبحانه وتعالى بل قد جاء في صحيح البخاري ومسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة : فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري ؟ وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث) . قال الناس سبحان الله قال النبي صلى الله عليه وسلم (فإني أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب)([19]) . رضي الله عنهما

---

١٦) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط(٢٥٠٤) وصححه الألباني صحيح الجامع برقم(٣٦١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه

١٧) يشير إلى ما أخرجه: البخاري(٣٣٨٦) وأحمد(٤٣٩٣) والترمذي(٣٦٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

١٨) يشير إلى حديث أخرجه: مسلم(٢٢٧٧) وأحمد(٢٠٨٦٠) والترمذي(٣٦٢٤) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

١٩) رواه البخاري(٢١٩٩، ٣٢٨٤، ٣٤٦٣ ، ٣٤٨٧) وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه رقم(٢٣٨٨)

عن أبي سعيد الخدري قال : عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه قال ألا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله إلي فقال يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس فقال الذئب الا أخبرك بأعجب من ذلك محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق قال فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي الصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعي أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صدق والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده)([20])

٣ - [أن الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان أي مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة] في البر وفي البحر والجو في كل أرض من أرض المعمورة حتى أن العلماء يقولون : إن الكافر هو في حد ذاته يعبد الله قهراً وجبراً لكن قلبه أبى أن يرضى بالله سبحانه وتعالى رباً والله سبحانه وتعالى هو الذي أراد هذا أراده كوناً وأباه شرعاً ودين

٤ -: [سعة علم الله بكونه لا يخلو من علمه مكان وكمال قدرته وإحاطته حيث لا يلهيه أمر عن أمر].

هذا فيه دلالة على سعة علم الله وسع كل شيء علماً .

٥- (عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل لكمال صفاته من جميع الوجوه). يوضح هذا { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }[الشورى١١] نفي مجمل { وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[الشورى١١] إثبات مفصل.

٦ - [تنزهه وتقدسه عن كل زوجة وولد وذلك لكمال غناه].والدليل على ذلك قوله : {الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }(الفاتحة٢). وقوله سبحانه : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }(فاطر١٥)

٧- [تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه في جميع العباد فلا يمنعه قوة ملك ولا كثرة عدد ومال] قال سبحانه : {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }(الأنعام١٨) قهر الله عباده بالفقر بالمرض بالنقص قهرنا الله بالواقع الذي نحن فيه فلا تستطيع أن تجلب لنفسك نفعاً ولا ضراً لا تستطيع أن توجد لنفسك حياة ولا موتاً فإن الله هو القادر على ذلك.

وابن القيم([21]) رحمه الله تعالى يقول : الإنسان جذري الطبع([22]) ،

---

٢٠) صحيح: رواه أحمد(١١٨٠٩) وابن حبان (٦٤٩٤) والحاكم(٨٤٤٤) وصححه الألباني في الصحيحة(١٢٢).

٢١) ابن القيم: هوا لإمام الجليل الحافظ أحد المحققين علم المصنفين نادرة المفسرين / محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي أبو عبد الله شمس الدين الشهير بابن قيم الجوزية(٦٩١ـ ٧٥١) أنظر البداية والنهاية(١٤/ ٢٣٤) والرد الوافر للدمشقي(ص٦٨) ومقدمة كتابه الفوائد(١٣ـ ٢٢).

٢٢) لم أجدها بهذا اللفظ ولكني وجدت قريبا منها وهي قوله [الإنسان مدني الطبع] أنظر: مجموع الفتاوى(٦٢/٢٨) ومنهاج السنة(٣٨٢/٦) ودرء التعارض(٣/ ٣٦٣) وإغاثة اللهفان(٢/ ١٩٣).
والمعنى: أنه لا يستطيع أن يعيش بمفرده بل لابد له من وجود من يعايشه.

بمعنى أن القصير قصير القامة لا يستطيع أن يكون طويلاً هو يشتهي أن يكون لكن لا يستطيع فهو مقهور وهكذا مثلاً السمين ذا البطن يريد أن يكون معتدل لا يستطيع هو مقهور بهذا وهكذا ربما الطويل يريد أن يقصر الغني يريد أن يفتقر الفقير يريد أن يغتني يعني أشياء كما قال الناظم :

صغير يطلب الكبرا وشيخ ودّ لو صغرا
وخالٍ يشتهي عملاً وذو عملٍ به ضجراً
ورب المال في تعب وفي تعب من احتقرا
أهم حاروا مع الأقدار أم هم حيروا القدرا

ما أحد راضي بالواقع بخلاف ما عليه أهل الجنة رضوا بما أعطاهم الله كما قال سبحانه وتعالى : {لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (المائدة١١٩).

وقال تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً }(الكهف١٠٨) كذلك قهر الله الملوك والجبابرة يأتي ملك الموت ينزع روح الثري الغني القوي الملك لا يستطيع أن يدفعه وتأمل في فرعون كان يقول لأهل مصر : { أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ }(الزخرف٥١) فأجراها الله من على رأسه.

وهكذا النمرود عندما قال : { قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ }(البقرة٢٥٨) ماذا حصل له حاجه إبراهيم { فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }(البقرة٢٥٨).

وهكذا جميع الملا حدة وهكذا الدجال عليه من الله ما يستحق رغم أن عنده فتن وابتلاءات واختبارات لكن مقهور هو أعور والعور نقص لا يستطيع أن يدخل مكة والمدينة على أنه قوي لكن قوة محدودة([٢٣]).

وهكذا فمهما بلغ العباد من شيء فالنقص يعتريهم لكن الله سبحانه وتعالى علمه مطلق غناه مطلق علوه مطلق قهره مطلق سبحانه وتعالى .

٨ ـ [عظمة الله فوق ما يتصور بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلاً ولا تتوهم القلوب له صورة لأن الله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[الشورى١١]

يقول الله في مثل هذا : { وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }(النحل٦٠). فالله له المثل الأعلى والله سبحانه وتعالى له أسماء وصفات ولهذه الصفات كيفيات ولكن نحن لا ندركها فلذلك يقول العلماء : نصف الله بما وصف به نفسه. الله سميع يسمع سمع مطلق كيف ؟ لا يجوز لك أن تسأل عن كيف فالسؤال عن الكيف في صفة الله من أعمال وأقوال أهل البدع فحذر العلماء من هذا فيقولون من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه .

---

٢٣) فائدة : والدجال على وزن فعال من الدجل وهو الكذب والتمويه وخلط الحق بالباطل وهو كذاب مموه خلاط.
وقال أبو العباس سمي دجالا لضربه في الأرض وقطعه أكثر نواحيها يقال دجل الرجل إذا فعل ذلك ويقال دجل إذا لبس ويقال الدجل طلي البعير بالقطران وبغيره ومنه سمي الدجال.عمدة القاري(٩٤/٢)
والدجال هو رجل من بني آدم جعله الله فتنة وهو أعور له جنة ونار فناره جنة وجنته نار يطوف الأرض ولا يدخل مكة والمدينة يخرج من أصبهان يتبعه سبعون الفا من يهود أصبهان حتى ينزل عيسى فيقتله. وفتنته عظيمة أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة منها في كل صلاة كما في الصحيحين وغيرهما. راجح كتب السنة للاستزادة.

٩ -: [اختصاص الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى].هذا من اختصاص الله سبحانه وتعالى فالإسم يطابق ويتضمن وله لوازم بخلاف أسمائنا فإنها تدل على الذات فقط يدل على الذوات قد يكون شخص اسمه صالح قد يكون غير صالح فالإسم هكذا لكن الله مثلاً سميع فهذا الإسم يدل على أنه علم على الذات ويسمع صفة السمع وأيضاً يلزم من ذلك أن يكون قوي وهذه قاعدة التلازم قد شرحتها لكم في غير هذا المجلس .

١٠ - [استواء الله على عرشه وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق] به كما قال سبحانه : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }(طه٥).

والإستواء صفة من صفات الله وهي من الصفات الفعلية التي لها ارتباط أو تعلق بالإرادة والمشيئة فنقول كما قال الله : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[طه٥] .

لا ندخل في ذلك متأولين ولا متشككين وإنما استوى يكفي أن تقول هو استوى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[طه٥] ومعنى استوى أي علا وارتفع .

١١- (عموم ملكه للسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى) وهذا واضح {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[آل عمران٢٦] .

١٢- [سعة علمه وقوة قهره وحكمه وأن الخلق لا يحيطون به علماً لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة].

وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى وأسعد الناس بهذه العقيدة هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة.

نصف الله بما وصف به نفسه نسميه بما سمى به نفسه أو رسوله صلى الله عليه وسلم لا ندخل في ذلك متسائلين ولا متأولين ولا مشبهين ولا معطلين ولا مكيفين.

فإن من حاول أن يستكشف مثل هذه حار عقله وما يصل إلى نتيجة لا يصل إلى نتيجة إطلاقاً.

قال صاحب مختار الصحاح الفخر الرازي(٢٤) :

نهـأيــة إقـدام العـقـول عـقــال ... وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغــاية دنـيـانـا أذى ووبــال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقال(٢٥)

وهكذا صاحب الملل والنحل الشهرستاني(٢٦) يقول :

---

٢٤) الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي لعلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل الرازي ابن خطيب الري الشافعي المفسر المتكلم صاحب التصانيف كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين . ولد سنة (٤٤٥) وتوفي سنة(٦٠٦ هـ). أنظر البداية والنهاية(٥٥/١٣) وتاريخ الإسلام(حوادث سنة(٦٠٦) وسير الأعلام(٥٠٠/٢١/ ترجمة(٢٦١) .

٢٥) أنظر هذه الأبيات في : شرح الطحاوية لابن أبي العز(ص٢٠٨)ومنهاج السنة(٢٧١/٥) والصواعق المرسلة(٦٦٥/٢) والبداية والنهاية(٥٦/١٣) وفي بعضها زيادة وهي قوله:

وكم من رجال قد رأينا ودولـة .. . فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجـال فماتـوا والجبـال جبـال.

٢٦) الشهرستاني: هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح بن أبي القاسم الشهرستاني المتكلم ويلقب بالأفضل . كان إماما مبرزا في علم الكلام والنظر ولد سنة(٤٦٧ ، أو سنة ٤٧٩) ، بشهرستان وبها توفي في أواخر شعبان سنة (٥٤٨، ٥٤٩)

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارع سن نادم([٢٧])

حيارى فقال له بعض أهل السنة لا أذكر اسمه ([٢٨]):

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن والاه من كل عالم
فما خاب من يهدي بهدي محمد ولست ترى قارعاً سن نادم

راحة مذهب السلف مذهب الصحابة مذهب التابعين مذهب الإمام مالك ([٢٩])الشافعي([٣٠]) الإمام أحمد([٣١]).

وما كان عليه العلماء في هذا الزمان هو المذهب الصحيح المنبثق من الدليل عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما سوى ذلك فهو باطل

من قلد الآراء ضل عن الهدى ومن قلد المعصوم في الدين يهتدي

* * * * *

التسليم والقبول لآيات وأحاديث الصفات

[٢] وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالردّ والتأويل والتشبيه والتمثيل وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه و نرد علمه إلى قائله ونجعل عهدته على ناقله إتباعا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى :

{ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا }(آل عمران٧) وقال في ذمّ متبعي التأويل لمتشابه تنزيله : { فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا

وهو من أهل شهرستان كان إماما أصوليا عارفا بالأدب والعلوم المهجورة وهو متهم بالإلحاد والميل إليهم غال في التشيع.
أنظر: سير الأعلام(٢٠/٢٨٧/ترجمة(١٩٤) أبجد العلوم(٣/١١٢)

٢٧) أنظر الأبيات في: الملل والنحل(١/١٦١).

٢٨) القائل: هو ابن الأمير الصنعاني كما في حاشية الروض الباسم لابن الوزير(٢/١١) وحاشية درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د : محمد رشاد سالم (١ / ١٥٩)

٢٩) الإمام مالك: هو سيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني. مولده على الأصح في سنة(٩٣هـ) ونشأ في صون ورفاهية وتجمل ، طلب العلم وهو حدث ابن بضع عشر سنة وتهيأ للفتيا وله إحدى وعشرون سنة فقط حدث عنه جماهير من شيوخه توفى سنة(١٧٩هـ) أنظر: مقدمة الموطأ(١/ص٦ وما بعدها) وسير الأعلام(٨/٤٨/ ترجمة(١٠).

٣٠) الإمام الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي ـ أبو عبدالله ـ الإمام عالم العصر فقيه الملة نسيب الرسول صلى الله عليه وسلم وابن عمه فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة سنة(١٥٠هـ٧٦٧م) وحمل إلى مكة وهو ابن ست سنين، وقصد مصر سنة(١٩٩هـ) فتوفي بها سنة(٢٠٤هـ ـ٨٠٤م) .أشهر كتبه الأم في الفقه والمسند في الحديث، وأحكام القرآن، والرسالة في أصول الفقه. ينظر: تذكرة الحفاظ(١/٣٢٩)، وتهذيب التهذيب(٩/٢٥) وسير الأعلام (١٠/٥ ترجمة(١) ومقدمة الأم للشافعي

٣١) الإمام أحمد: هو الإمام حقا وشيخ الإسلام صدقا وأحد الأئمة المتبوعين عند أهل السنة والجماعة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي ، أصله من البصرة [١٦٤هـ ـ ٢٤١]
أنظر: مقدمة المسند(١/٣٨) وما بعدها تحقيق شعيب، وسير أعلام النبلاء (١١/٧٧ـ ٣٣٤/ ترجمة: ٧٨).

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ } (آل عمران٧) فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذمّ ثم حجبهم عن ما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله : { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ } (آل عمران٧).

.....

الشرح:

قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله :

[تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين :

١ـ واضحا جلي.

٢ـ مشكل خفي.

فالواضح ما اتضح لفظه ومعناه فيجب الإيمان به لفظاً وإثبات معناه حقاً بلا ردّ ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول والتسليم].

وهذا حقيقة في كثير من آيات وأحاديث الصفات مثل قوله سبحانه وتعالى : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } (طه٥) الإمام مالك رحمه الله تعالى([٣٢]) يقول : الإستواء معلوم ([٣٣]) .

وكذلك إثبات العين لله : {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } (طه٣٩) أو قوله {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} (القمر١٤).

المهم ما كان واضحاً فيثبت لفظه ويفهم معناه لكن لا بد أن تقطع الطمع عن إدراك كنه الحقيقة فهذا شيء لا يجوز التعمق فيه أو الإستكشاف لماذا ؟ لأن السلف الصالح رحمهم الله كانوا يجرون آيات وأحاديث الصفات دون التعرض لكيفيتها إذا كان اللفظ واضحاً والمعنى واضحاً أيضاً لكن قد يكون هناك استشكال إما لفظي وإما معنوي فاسمع إلى كلام الشيخ فإنه كلام قوي في بابه.

قال :[وأما المشكل فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته أو قصر في فهم قارئه فيجب إثباته لفظاً لورود الشرع به والتوقف في معناه وترك التعرض له لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه فنردّ علمه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم].

هذا كلام أشبه ما يكون بالقاعدة التي ينطلق الإنسان المسلم السالك لكتاب ربه وسنة نبيه وفهم السلف الصالح منها .

قاعدة : ما كان واضحاً في لفظه يجب الإيمان به ويجب علينا إثباته وما كان فيه إشكال من حيث معناه فنثبت لفظه لأن الذي أثبته هو الله سبحانه وتعالى ونكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى.

لو حصل هذا لما حصل خلاف وفعلاً حينما حصل التسليم زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان لم يختلفوا ولما أراد ولما جاء من أراد أن يستكشف ضاعوا وماعوا وتعبوا والله تعبوا تعباً شديداً ولله درّ من قال :

لعلك أهملت الطواف بمعهد ... الرسول ومن والاه من كل عالم

فما خاب من يهدي بهدي محمد ... ولست تراه قارعاً سن نادم

وكان الشيخ الألباني رحمه الله دائماً يدندن بقوله :

---

٣٢) الإمام مالك: سبقت ترجمته .

٣٣) صحيح عنه: وسيأتي تخريجه في: الصفة الرابعة عشرة: صفة العلو.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شرّ في ابتداع من خلف

ثم قال الشيخ: [وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقين:

الطريقة الأولى :طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا {كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا} [آل عمران٧]

.وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به تعظيماً لله ورسوله وتأدباً مع النصوص الشرعية وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله:{ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا }(آل عمران٧)].

هذه الطائفة الأولى وهي الطائفة الناجية السالمة.

[الطريقة الثانية : طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلباً للفتنة وصداً للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة والنقص ليشككوا المسلمين في دلالتها ويعموهم عن هدايتها وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله{فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ}[آل عمران٧].

ثم قال الشيخ :

[تحرير القول في النصوص من حيث الوضوح والإشكال: إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي]. يعني تختلف نسبته من شخص لآخر.

[يختلف به الناس بحسب العلم والفهم فقد يكون مشكلاً عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر والواجب عند الإشكال إتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين وبيان للناس وفرقان وأنه أنزله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وهذا يقتضي أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحداً من الأمة معرفة معناه].

وهذا حق يجب الإيمان به الجاهل لا يدرك أو قليل البضاعة في العلم لا يدرك لكن العالم الراسخ النحرير هذا لا يشكل عليه شيء وإن أشكل فيجب أن يتبع ما ورد في القاعدة السابقة أن يثبت لفظه وأن يكل علمه إلى الله{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا} (آل عمران٧).

هذا إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر([٣٤]) رحمه الله هذا عالم كبير كان يقول :

[ائتوني بما اختلف من حديث رسول الله لأوفق لكم بينهم]([٣٥]) .

---

٣٤) ابن خزيمة: هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام إمام الأئمة أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف. من المجتهدين في دين الإسلام كان بحرا من بحور العلم طاف البلاد ورحل إلى الآفاق كان قوي البادرة كثير الإطلاع غزير المادة صنف كثيرا وأفاد وينعت بإمام الأئمة وكان عالما بالدليل تاركا للتقليد قال: ما قلدت أحدا منذ بلغت ستة عشر سنة ولد(٢٢٣) وتوفي(٣١١هـ).

أنظر: سير الأعلام(٣٦٥/١٤/ ترجمة: ٢١٤) والبداية والنهاية(١٤٩/١١) وكنز العمال تحت حديث رقم(٤٢٨٣).

٣٥) أنظر: الإبهاج(٢١٩/٣) وفتح المغيث(٨١/٣) ومقدمة ابن الصلاح(ص١٦٨) بلفظ: [لا أعرف أنه روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديثان بإسنادين صحيحين متضادين فمن كان عنده شيء من ذلك فليأتني به لأؤلف بينهما].

وذلك دليل على قوة علمه ، ومحمد بن قتيبة الدنيوري([٣٦]) ألف كتاباً بعنوان :[تأويل مختلف الحديث]([٣٧]).

فطريقة العلماء الجمع وإذا لم يستطيعوا وكلوا علمه إلى الله لكن طريقة الزائغين يحاول أن يضرب هذا بهذا ليش ؟{ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ }[آل عمران٧] أعوذ بالله

ثم ذكر العثيمين بعض التعريفات شرحاً لما قاله الإمام ابن قدامة (وترك التعرض له بالردّ).

قال: [المراد بالردّ التكذيب والإنكار] .

والمراد بالتأويل([٣٨]) إن كان في كتب العقيدة فمعناه التحريف وإن كان في كتب التفسير فهو بمعنى التفسير ويكثر من هذا ابن جرير فيقول تأويل قول الله كذا أي تفسيره، ويأتي بمعنى ما تؤول إليه حقيقة الشيء.

هذا ما ذكره فيما يتعلق ببيان كلام ابن قدامة قال : (وترك التعرض له بالردّ والتأويل والتشبيه)

[التشبيه إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر لأنه من الشرك بالله].

من أثبت للمخلوق صفة مثل صفة الخالق ربوبية أو ألوهية أو أسماء أوصفات هذا من الكفر لأن الله سبحانه وتعالى يقول : {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ }[الإخلاص:٤].

ويقول سبحانه : {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً}[مريم٦٥]. يعني هل تعلم له نظيراً وندا ومكافئاً لا يمكن .

[والتمثيل إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات وهو كفر لأنه من الشرك بالله والتكذيب بقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }[الشورى١١].

ما الفرق بين التشبيه والتمثيل ؟

التمثيل يقتضي المساواة من جميع الوجوه بخلاف التشبيه فإنه يقتضي المساواة من بعض الوجوه.

* * * * *

---

٣٦) ابن قتيبة: هو العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي الكاتب صاحب التصانيف ولد سنة(٢١٣) وتوفي سنة(٢٧٦هـ) على الصحيح.
أنظر السير(٢٩٦/١٣/ ترجمة: ١٣٨) وشذرات الذهب(٣٣٣/٢)

٣٧) ألف ابن قتيبة كتابه [تأويل مختلف الحديث] ليرد على بعض أفكار العلاف والنظام من المعتزلة في ردهم أحاديث عن رسول الله في الصفات فأثبتها أولا ثم أولها بما يرى أن العقل لا يحيل ذلك ولأن تنزيه الله تعالى وعدم مشابهة خلقه أو مشابهة أحد من خلقه له سبحانه يصيبه ما يكدره فجزاه الله تعالى خير. أنظر: إيضاح الدليل لابن جماعة(ص٣٧). نعم فالكتاب رد على المتكلمين الذين أولعوا بثلب أهل الحديث ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض حتى وقع الاختلاف وكثرت النحل وتقطعت العصم وتعادى المسلمون وكفر بعضهم بعضا وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث.

٣٨) قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى: وحكم التأويل على ثلاثة أقسام:
الأول: أن يكون صادرا عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله، فهذا معفو عنه، لأن هذا منتهى وسعه وقد قال الله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا} (البقرة٢٨٦).
الثاني: أن يكون صادرا عن هوى وتعصب وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصا أو عيبا في حق الله فيكون كفرا.
الثالث: أن يكون صادرا عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له.
أنظر: شرح اللمعة تحقيق أشرف(ص٣٤)

كلام أئمة السلف في الصفات([٣٩]):

[٣] قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه : في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا) و(إن الله يرى في القيامة) وما أشبه هذه الأحاديث([٤٠]) نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى ولا نردّ شيئاً منها ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ولا نردّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدّ ولا غاية:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[الشورى١١]. ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيد

---

٣٩) فائدة: منهج أَهل السنَّة والجماعة في آيات الصفات هو الإيمان الكامل بكل ما أَخبر به الله تعالى، وأَخبر به رسوله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والتسليم به؛
قال الإمام أحمد رحمه الله: [لم يزل الله عز وجل متكلماً والقرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق وعلى كل جهة ، ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل] كتاب المحنة لحنبل ص(٦٨) وطبقات الحنابلة(١٤٣/١)
وقال[نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حدّ ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد ، فصفات الله منه وله وهو كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار] درء تعارض العقل والنقل(٣٠/٢)
وعن أبي بكر المروزي قال : سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش فصححها وقال :[تلقتها الأمة بالقبول وتمرّ الأخبار كما جاءت] طبقات الحنابلة(٥٦/١)
وقال الإمام الزُّهري رحمه الله تعالى : [مِنَ اللهِ الرِّسَالةُ وعلى الرسولِ البلاغُ وعلينا التَسليمُ] أخرجه البغوي في شرح السنة(١٧١/١).
و قال الإمام سفيان بن عُيَيْنة رحمه الله تعالى: [كلُّ ما وصَفَ اللهُ تعالى به نفسهُ في القرآن فقراءته ؛ تفسيرُه لا كيفَ ، ولا مِثْل] أخرجه اللالكائي في : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٣١ رقم٧٣٦).
وقال الوليد بن مُسلم : سألت الأوزاعي ، وسفيانَ بن عُيينة ، ومالك بن أنسٍ عن هذه الأحاديث في الصِّفات والرؤية ، فقالوا : [أَمِروها كما جاءتْ بلا كَيْف] شرح السنة للبغوي(١٧١/١)
وقال الإمام مالك بن أنس - إمام دار الهجرة- رحمه الله : [إياكُم والبِدَع] قيل : وما البدع؟ قال : [أَهلُ البِدَعِ هُم الذينَ يتكلمونَ في أَسماء اللهِ وصفاتِهِ وكلامِه وعلمه وقُدرتِه ، ولا يَسْكُتونَ عمَا سَكَت عَنهُ الصحابةُ والتابعونَ لهم بإحسان] شرح السنة للبغوي(٢١٧/١)
وقال الحافظ الإمام نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله : [مَنْ شبه اللهَ بخلقهِ فقد كَفَر ، ومَن أنكر ما وصَفَ به نَفسَه فقد كَفر ، وليس ما وصفَ به نفسَه ولا رسُولهُ تَشبيها] أخرجه اللالكائي في : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٣٢ رقم٩٣٦) والذهبي العلو (٤٦٤).وصححه الألباني في مختصره للعلو ص(٧٥)
وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى : [لا ينبغي لأَحد أَن ينطقَ في ذات الله بشيء ؛ بل يصفهُ بما وصفَ به نفسهُ ، ولا يقول فيه برأيه شيئا ؛ تبارك الله تعالى رَبُّ العالمين] شرح الطحاوية ص(٢٩٣). تحقيق. أحمد شاكر، وجلاء العينين ص(٤٢٢).
وقال الشافعي رحمه الله : [لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر . وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل ، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الروية والفكر]. جلاء العينين ص(٤٢٢).
وقال: [نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السُّنة وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال{[ليس كَمِثْلِه شيء }[الشورى ١١] أخرجه الذهبي في السير(٣٤١/٢٠).
وقال رحمه الله (من قال القرآن مخلوق فهو كافر) أخرجه اللالكائي في : اعتقاد أهل السنة(٢/ ٢٥٢ رقم٤١٩).
وقال بعض السلف : [قَدَمُ الإسلامِ لا تَثبتُ إلَّا على قنطرة التسليم] أخرجه البغوي في شرح السنة(١٧١/١)
وعلى هذا مضى سلف الأمة ، وعلماء السنة ، تلقوها جميعا بالإيمان والقبول ، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل ، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل ، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الراسخين في العلم ، فقال عز وجل : [والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا] [آل عمران: ٧].
وانظر: شرح السنة للبغوي واعتقاد الأئمة لأربعة واعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي وغيرها من كتب العقيدة.
٤٠) في الصحيحين: وسيأتي تخريج الأول في صفة النزول والثاني في فصل رؤية المؤمنين لربهم إن شاء الله.

عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنهه ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت القرآن([41]).

الشرح:

كلام أئمة السلف : كلامهم يعني فقههم فهمهم أقوالهم ما أثر عنهم من العلم في هذا الباب والأئمة مفردها إمام والسلف لغة : من تقدمك من آبائك موتاً واصطلاحاً : هم صدر هذه الأمة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ويصح إطلاق هذا اللفظ على كل من انتحل نحلتهم وسار على مذهبهم إلى يوم القيامة ،

في الصفات المراد بالصفات : ما اتصف الله به من نعوت الجمال والكمال من الأسماء الحسنى والصفات العليا .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه هذا المشهور بإمام أهل السنة الإمام المبجل أحمد بن محمد الشيباني([42]) الذي صار إماماً لصدقه وزهده وورعه وإخلاصه وتضحيته وثباته أيام الفتنة أي في فتنة خلق القرآن حتى قال علي بن المديني([43]) : [إن الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث أبو بكر الصديق يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة]([44]) ، وصار أحمد بن حنبل إبتلاء واختباراً يعرف به الناسك من غيره. وإلا فلا يجوز الاختبار في الأشخاص.

قال الإمام البخاري([45]) :[الامتحان بالأشخاص بدعة]([46]).

---

٤١) انظر كلام الإمام احمد في: ترجمة الأئمة الأربعة(٤٥١) وإقامة الدليل على إبطال التحليل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٦/٥) والفتاوى الكبرى(٦/ ٣٨٦ـ ٣٨٧) وبيان تلبيس الجهمية(٤٣١/١)،(١٦٤/٢)واجتماع الجيوش الإسلامية ص(١٣٢).

فائدة: قال العثيمين: في فتح رب البرية في تلخيص الحموية(ص٦٣): المعنى الذي نفاه الإمام أحمد في كلامه هو المعنى الذي ابتكره المعطلة من الجهمية وغيرهم وصرفوا نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معاني تخالفه ، ويدل على ما ذكرنا أنه نفى المعنى ونفى الكيفية ليتضمن كلامه الرد على كلتا الطائفتين المبتدعتين: طائفة المعطلة والمشبهة. أ هـ.

ذكره عنه أشرف عبد المقصود في حاشية اللمعة ص(٣٥) حاشية(٧).

٤٢) الإمام أحمد: سبقت ترجمته.

٤٣) علي بن المديني: (١٦١ـ ٢٣٤هـ) هو الشيخ الإمام الحجة أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدي مولاهم البصري المعروف بابن المديني وهو أحد أئمة الحديث في عصره والمقدم علي حفاظ وقته سير الأعلام (٤١/١١/ ترجمة(٢٢) وشذرات الذهب(١٩٩/٢) وتأريخ بغداد(٤٥٨/١١) وتذكرة الحفاظ (٤٢٨/٢).

٤٤) أنظر الأثر في: تأريخ بغداد(٤١٨/٤) وتذكرة الحفاظ(٤٣٢/٢)وتأريخ دمشق(٢٧٨/٥).

٤٥) البخاري: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه وقيل بدزبه الإمام أبو عبد الله الجعفي مولاهم البخاري الحافظ صاحب الصحيح إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمعول على كتابه بين أهل الإسلام رحل في طلب الحديث إلى سائر محدثي الأمصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام ومصر ولد سنة (١٩٤هـ) كان إماما حافظا حجة رأسا في الفقه والحديث مجتهدا من أفراد العالم مع الدين والورع والتأله مات بقرية خرتنك من عمل بخارى ليلة الفطر سنة(٢٥٦هـ).

قال ابن كثير في البداية والنهاية(١١/ ٢٤ وما بعدها): البخاري..... أبو عبدالله الحافظ إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه وكتابه الصحيح يستقى بقراءته الغمام وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه.

أنظر: سير الأعلام(٣٩١/١٢ـ ٤٧١/ ترجمة(١٧١) وشذرات الذهب(٢٧٩/٢) والكاشف للذهبي(١٥٦/٢)

٤٦) لم أجده بهذا اللفظ. وهو في الفتح(٤٩٠/١) وتأريخ دمشق(٥٢/ ٩٢) بلفظ:. القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة.

لا يجوز أن يختبر شخص أيش ترى في فلان ؟ وأيش قولك في فلان ؟ لا .
هذا قد يكون فيه من الاجتهاد عند شخص ما ليس عند الآخر إلا أن يكون هناك إجماع على الترك أو رجل مشهور بالعدل والإنصاف والعلم فيؤخذ قوله كما هو دأب أئمة السلف في الجرح والتعديل لكن الإمام أحمد أطبقت الأمة كلها على فضله مثلما أطبقت الأمة على فضل الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز([٤٧]) رحمه الله تعالى حتى قال الناظم :

أضحى ابن حنبل فتنة مأمونة وبحب أحمد يعرف المتنسك
فإذا رأيت لأحمد متنقصا فاعلم بأن ستوره ستهتك([٤٨]).

فكان رحمه الله تعالى امتحاناً واختباراً فرضي الله تعالى عنه وأرضاه على صبره وثباته على الحق
قال العثيمين :[ما تضمنه كلام الإمام أحمد في أحاديث النزول وشبهها :
تضمن كلام الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ الذي نقله عنه المؤلف ما يأتي:
١ـ وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حدّ ولا غاية .
٢ـ أنه لا كيف ولا معنى أي لا تكيف هذه الصفة لأن تكييفها ممتنع لما سبق].
لا ندري كيفيتها فلا يجوز لنا أن ندعي علم الغيب.
وقوله [وليس مراده أن لا كيفية لصفاته] يعني ليس مراد الإمام أحمد لما قال بلا كيف أنه ليس لهذه الصفات كيفية لا لها كيفية لكن نحن لا ندركها عقولنا قاصرة من أن تعلم ذلك أو تعرفه حسبنا ما أخبر الله عن نفسه. أخبر الله عن نفسه بأنه سميع إذن هو سميع سمع مطلق بصير له البصر المطلق استوى استواء مطلقاً قهار قهر مطلق له يدان نثبت ما أثبته الله من غير تكييف لا نستطيع لا يجوز لنا أن نكيف شيئاً من أمور الدنيا التي قد نستطيع أن ندركها لكن ندعي علم الغيب قبل أن نعرفها فنكيفها نقع في الكذب فما بالك بالكذب على أرحم الراحمين.
قال : [لأن صفاته ثابتة حقاً وكل شيء ثابت فلا بد له من كيفية لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا.
وقوله : (ولا معنى) أي لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف فإن هذا ثابت ويدل على هذا قوله : ولا نرد شيئاً منها ونصفه بما وصف به نفسه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نعلم كيف كنه ذلك فإن نفيه لردّ شيء منها ونفيه لعلم كيفيتها دليل على إثبات المعنى المراد منها .

---

٤٧) عبد العزيز بن باز: هو الإمام الصالح الورع الزاهد أحد الثلة المتقدمين بالعلم الشرعي ومرجع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في الفتوى والعلم وبقية السلف الصالح في لزوم الحق والهدي المستقيم واتباع السنة الغراء : عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز ، وآل باز أسرة عريقة في العلم والتجارة والزراعة معروفة بالفضل والأخلاق ، ولد في الرياض عاصمة نجد يوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة عام ألف و ثلاثمائة وثلاثين من الهجرة وكان رحمه الله مبصرا في أول حياته وأصيب ببصره لحكمة ارادها الله وهو قريب من العشرين توفي يوم الخميس(١/٢٧ /١٤٢٠هـ) . أنظر للإستزادة: الإنجاز في ترجمة ابن باز ، وجامع شروح الطحاوية (١/ ص٢٣ـ ٢٨) وشرح الدروس المهمة مع الحواشي(ص٧ـ١١).
٤٨) انظر: تبيين كذب المفتري(ص٤٢١) وتاريخ بغداد(٤/ ٤٢٠ـ ٤٢١) وتأريخ دمشق(٥/ ٣٢٣).

٣ـ وجوب الإيمان بالقرآن كله محكمه وهو ما اتضح معناه] ما كان له معنى واحداً هذا يسمى محكم [ومتشابهه وهو ما أشكل معناه فنردّ المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه] مثل : قاف وألف لام ميم آيات كثيرة في هذا الباب.

[فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظاً وتفويض معناه إلى الله سبحانه وتعالى].

له معنى لكن لا ندري إيش المراد بألف لام ميم وقاف وفواتح السور.

لها معنى لكن لا ندركه وحسبنا أن نقول : الله أعلم .

* * * * *

[٤] قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه : آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم([٤٩]) .

.....

الشرح:

فتأمل كيف اتفق القولان وهو معتقد صحيح من مشكاة واحدة لأن كلهم أثبتوا ما أثبت القرآن وتوقفوا فيما توقف فيه القرآن أثبتوا ما أثبته الرسول وتوقفوا حيث ما توقف الرسول صلى الله عليه وسلم ما تكلفوا {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } (ص٨٦).

قال العثيمين: [ما تضمنه كلام الإمام الشافعي : تضمن كلام الإمام الشافعي ما يأتي:

١ـ الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أراده الله من غير زيادة، ولا نقص، ولا تحريف.

٢ـ الإيمان بما جاء عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، في سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، على ما أراده رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف].

وفي هذا الكلام ردّ على أهل التأويل: من أشاعرة([٥٠]) وماتريدية([٥١]) وجهمية([٥٢]) ومعتزلة([٥٣]).

---

٤٩) أنظر: مجموع الفتاوى(٦/٣٥٤).

٥٠) الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب.

انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص(٨٧) .

٥١) الماتريدية: فرقة كلامية(بدعية)، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية.

أنظر: المرجع السابق ص(٩٩)

٥٢) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان الذي قال : بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات لها ، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به ، وزعم أيضا أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان .

انظر : مقالات الإسلاميين ص(٢٧٩) ، الفرق بين الفرق ص (٢١١) ، والملل والنحل (١ / ٧٦) .

٥٣) المعتزلة : فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية.

وهكذا من جاء بمثل ما جاءوا به إلى يوم القيامة وأهل التمثيل لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم على مراد الله ورسوله لأن أهل التأويل نقصوا وأهل التمثيل زادوا .

قال في الحاشية([٥٤]) : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أما ما قال الشافعي فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه فإنه سلك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة ([٥٥]).

ثم قال المعلق: ومن أقوال الشافعي الهامة: في باب الأسماء والصفات قوله [لله تعالى أسماء وأوصاف لا يسع أحداً قامت عليه الحجة ردّها فإن خالف بعد ثبوت الحجة فهو كافر فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ويثبت هذه الصفات وينفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[الشورى١١] راجع مختصر العلو ّللألباني ص(١٧٧) واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص(٥٩)رحمه الله([٥٦]) وكتاب العلوّ للذهبي وقد اختصره الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

* * * * *

[٥] وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله([٥٧]) .

.....

الشرح:

قال العثيمين : [الذي درج عليه السلف في الصفات هو الإقرار والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله].

هذا ـ بارك الله فيكم ـ باختصار أشبه ما يكون بفك ألفاظ وإلا فالشرح إن أردناه فهو يطول بل ويطول جداً.

* * * * *

الترغيب في السنة والتحذير من البدعة

انظر: ا لموسوعة الميسرة ص(٦٩) الفرق بين الفرق ص (١١) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص (٤٩) .

٥٤) القائل: هو أشرف بن عبد المقصود محقق اللمعة وهو في الحاشية(٨) (ص٣٦).

٥٥) أنظر: مجموع الفتاوى(٣٥٤/٦)

٥٦) المعلق أشرف: أنظر: حاشية اللمعة ص(٣٧).

٥٧) هذا مذهب السلف والخلف من أهل السنة والجماعة وقد مر ذكر بعض أقول السلف في بداية الفصل(حاشية)

[٦] وقد أمرنا بالإقتفاء لآثارهم والإهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات فقال النبي صلى الله عليه وسلم :{عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة}.

.....

الشرح:

قال ابن العثيمين:[والإقتداء بهم في ذلك واجب لقوله صلى الله عليه وسلم{ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة }([٥٨]) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وصححه الألباني([٥٩]) وجماعة([٦٠])].

الحديث قبل ذلك صححه شيخ الإسلام ابن تيمية([٦١]) رحمه الله .

ثم قال : [السنة والبدعة وحكم كل منهما

السنة لغة الطريقة] سن هذه السنن أي سن هذه الطرق هذه سنة فلان أي طريقة فلان.

[واصطلاحاً : ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من عقيدة أو عمل ، واتباع السنة واجب لقوله تعالى : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ }(الأحزاب٢١)].

وكذلك أيضاً {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }المائدة٩٢).

وحديث: { دعوني ما تركتكم عليه }([٦٢]) الأمر في ذلك يعني الأدلة في ذلك كثيرة وقوله:{عليكم بسنتي} الحديث هذا يدل على وجوب متابعة النبي صلى الله عليه وسلم.

[وأما البدعة لغة: الشيء المستحدث] أو المخترع ابتدع بمعنى اخترع ،

---

٥٨) صحيح: رواه أحمد(١٧١٨٤، ١٧١٨٥) وأبو داود(٤٦٠٧) والترمذي(٢٦٧٦) وابن ماجة(٤٢، ٤٣) والحاكم(٣٢٩) والدارمي(٩٥) والبيهقي في الكبرى(١٠/١١٤/ رقم ٢٠١٢٥) والشعب(٧٥١٥).

٥٩) صححه الألباني في: صحيح الجامع(٢٥٤٩) والصحيحة(٢٧٣٥) والإرواء(٢٤٥٥) والمشكاة(١٦٥).

٦٠) وصححه جماعة من اهل العلم:

قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وقال ابن القيم: في إعلام الموقعين(٤/١٤٠): [وهذا حديث حسن. إسناده لا بأس به].

وقال البراز:"حديث ثابت صحيح"، وقال البغوي: "حديث حسن"، وقال ابن عبد البر: "حديث ثابت"، وقال الحاكم: "صحيح ليس له علة" ووافقه الذهبي. وقال أبو نعيم: "هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين". وصححه النووي بإيراده له في الأربعين. وحسَّنه البغوي في شرح السنة (١٠٢)وقال ابن كثير في : "تحفة الطالب" رقم:(٣٦): صححه الحاكم، وقال: ولا أعلم له علة. وصححه أيضًا الحافظ أبو نعيم الأصبهاني والدغولي وابن حبان .

وقال شيخ الإسلام الأنصاري: هو أجود حديث في أهل الشام وأحسنه" وقال الشيخ مقبل الوادعي: في الدلائل (ص٤٧٦): الحديث حسن لغيره وله طرق يرتقي بها إلى الصحة.

أنظر: الإرواء(٨/١٥٠/ رقم ٢٤٥٥) وتشبيه الخسيس بأهل الخميس للذهبي تحقيق مشهور حسن ص (٢٧)

٦١) أنظر: مجموع الفتاوى(٢٠/٣٠٩) واقتضاء الصراط المستقيم ص(٢٦٧).

٦٢) رواه البخاري(٦٨٥٨) ومسلم (١٣٣٧) وأحمد(٧٤٩٢) والترمذي(٢٦٧٩) والنسائي(٢٦١٩) وابن ماجة(١، ٢) وابن حبان(١٩) والطبراني في الأوسط(٧٨٨٣)وأبو يعلى(٦٣٠٥)والدارقطني(٢٠٤) وغيرهم.عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[واصطلاحاً: ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من عقيدة أو عمل]لكن لمن يكون هذا الحكم ؟ يحكم بأن هذه سنة وهذه بدعة العلماء هم الذين يميزون هذا لأن الشخص ربما قضى على أن هذه بدعة وما جاءه هذا الحكم من علم ورسوخ وإنما بان له على حدّ علمه أن هذه بدعة لو بحث وطالع في الكتب وتعمق في العلم لأدرك أنه على خطأ يدرك أنه على خطأ.

شخص كان يقول: منبر النبي صلى الله عليه وسلم أربع درجات وشيخنا مقبل بن هادي الوادعي(٦٣) يقول له : ثلاث درجات وهذا الشيخ تعرفونه محمد بن عبد الوهاب الوصابي(٦٤) وله حقيقة كثير من هذه التسرعات تسرعات كثيرة فالشيخ قال له بكل أريحة أبحث يا أخانا محمد فبحث المسألة فوجدها ثلاث درجات فألف في ذلك رسالة بعنوان : الجوهر بعدد درجات المنبر .

لو أن الشخص يصدر حكماً ويدلل عليه ويقول : هذا على حسب علمي أو على حسب كذا مع عدم إنكاره على المخالف إن رأى له قولاً في ذلك أما أنه يقضي بأن هذا الأمر مبتدع أضف إلى ذلك إلى أنه لو رأى من هو على بدعة فلا يجوز له أن يصفه بأنه مبتدع وإنما يقول : هو صاحب بدعة فالبدعة محرمة لكن الذي يقضي بها العلماء ، ثم فرق بين البدعة في العمل والبدعة في الإعتقاد فلا يخرج الرجل من السنة إلى الفرق الضالة إلا إذا اعتقد عقيدة المبتدعة كأن يعتقد عقيدة الأشاعرة الجهمية والمعتزلة(٦٥) الخوارج(٦٦) المرجئة(٦٧) من الثنتين والسبعين فرقة(٦٨).

---

٦٣) مقبل بن هادي الوادعي: هو الشيخ الإمام العلامة المحدث الفقيه التقي الورع الزاهد العابد الصابر الحافظ الثبت الثقة العالم بعلل الحديث البصير بفقه الواقع إمام في الجرح والتعديل بل هو حامل لوائه في هذا العصر بقية السلف الصالح الداعي إلى الله على بصيرة ناصر السنة وقامع البدعة ومجدد دعوة أهل السنة في اليمن: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي بن مقبل الهمداني الوادعي الخلالي من قبيلة آل راشد، ولد بدماج - وهي قرية من قرى صعدة - سنة(١٣٥٢هـ) وقد نشأ الشيخ رحمه الله تعالى يتيما فقد توفي والده وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره ثم توفيت أمه قبل أن يبلغ سن البلوغ .

رحل إليه الطلاب من جميع أنحاء العالم فلم يرحل إلى عالم مثله في هذا العصر - فيما أعلم - أثنى عليه جمع من العلماء .

وتوفي في ليلة الأحد الثاني من جماد الأول بين مغرب وعشاء من سنة (١٤٢٢هـ) في مدينة جدة بعد رحلة علاجية دامت أكثر من سنة. للإستزادة أنظر: الإمام الألمعي مقبل بن هادي الوادعي سيرته الذاتية والدعوية وأنظر: ترجمته بقلمه.

٦٤) قال الشيخ مقبل رحمه الله تعالى : محمد بن عبد الوهاب العبدلي الوصابي أبو إبراهيم : الداعي إلى الله ، الزاهد، الصابر، المتقن في تحقيقاته وتآليفه وكلامه على الحديث في غاية الإتقان وهو قائم بمركز علمي في الحديدة بمسجد السنة. انظر: ترجمة الشيخ مقبل بقلم صاحب الترجمة ص(٥٦٩).

٦٥) سبق التعريف بالأشاعرة والجهمية والمعتزلة قريبا.

٦٦) الخوارج: هم الذين خرجوا على ولي الأمر في آخر عهدِ عثمان - رضي الله عنه -، ونتَجَ عن خروجهم قتلُ عثمان - رضي الله عنه -.ثم في خلافةِ علي - رضي الله عنه - زادَ شرُهم، وانشقوا عليه، وكفّروه، وكفّروا الصحابة؛ لأنهم لم يوافقوهم على مذهبهم، وهم يحكمون على من خالفَهم في مذهبهم أنه كافرٌ، فكفّروا خيرةَ الخلقِ وهم صحابةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. لماذا ؟. لأنَّهم لم يوافقوهم على ضلالِهم وعلى كفرهم.ومذهبُهم: أنَّهم لا يلتزمون بالسنّة والجماعة، ولا يطيعون وليَّ الأمر، ويرون أن الخروجَ عليه من الدين، وأن شَقَّ العصا من الدين [وفي عصرنا ربما سمّوا من يرى السمعَ والطاعةَ لأولياء الأمور في غير ما معصية عميلاً، أو مداهنًا، أو مغفلاً. فتراهم يقدحون في وَليَّ أمرهم، ويشّهرون بعيوبه من فوق المنابر، وفي تجمعاتهم اجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ورئيسهم عبد الله بن الكواء وعتاب بن الأعور وعبد الله بن وهب الراسبي وعروة بن جرير ويزيد بن عاصم المحاربي وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية وكانوا يوم النهروان في اثني عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام وفيهم قال النبي صلى الله عليه و سلم : (تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم وصوم أحدكم في جنب صيامهم ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم) فهم المارقة الذين قال فيهم : (سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) . أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية.

أنظر للفائدة: الملل والنحل(١١٤/١) والمناهج والفرق(٢٤/٢) والموسوعة الميسرة ص(١٠٦٣)

أما أن يكون عنده اجتهاد لبعض العلماء مثلاً القنوت في صلاة الفجر لا ندين الله تعالى بالإستمرارية في القنوت فالصلاة صحيحة من غير قنوت وليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة القنوت في صلاة الفجر حسب ما يدعون الذين يدعون مذهب الشافعي في أيامنا هذه حسب علمي ومعرفتي لأنه صلى الله عليه وسلم كما قال أنس:[قنت ثم ترك] (٦٩) لكن هذا قول في مذهب الشافعي وتجد من الناس اليوم من يتعصب للشافعي ومن باب عنز ولو طارت(٧٠) يتعصب له فمثل هذا لا تقل له مبتدع قل له : هذه بدعة أنت على خطر لا يجوز لك متابعة الإمام الشافعي على خطأ .

فتفرق بين البدعة الإضافية وبين البدعة العقائدية التي هي والعياذ بالله قد تودي بصاحبها إلى حد الكفر ، أما أن ترى واحداً مثل هؤلاء عنده شيء من هذا فتنزل عليه الأحكام القاطعة بأنه قد خرج من السنة هذا أمر ليس لك وإنما هو إلى الله سواء في باب التكفير في التفسيق التبديع التضليل هذا أمر مرجعه إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يقضي في ذلك هم الأئمة الكبار الذي لم يدعوا شيئاً من أمور الدين إلا قالوه .

قال :[وهي حرام] يعني ممنوع وصاحبها آثم [لقوله تعالى : {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً} (النساء١١٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم:{وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة} (٧١)]

* * * *

[٧] وقال ابن مسعود(٧٢) رضي الله تعالى عنه : [اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم](٧٣).

---

٦٧) المرجئة: فرقم من فرق الإسلام يزعمون أن الإيمان مجرد التصديق، وأن الناس لا يتفاضلون في الإيمان، وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء واحد، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الإيمان ليس فيه استثناء، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقا. ومنهم من يقول: إنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة مهما ارتكب من المعاصي. انظر: مقالات الإسلاميين (٢١٣/١-٢٣٤) والملل والنحل(١٣٩/١-١٤٦) الفرق بين الفرق ص(٢٠٢-٢٠٧) والموسوعة الميسرة ص(١١٥٣)

٦٨) يشير إلى الحديث الصحيح الذي اخرجه: أحمد(١٦٩٧٩) وأبو داود (٣٩٨١)وابن ماجة (٣٩٨٢) والحاكم(٤٤٣) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وصححه الألباني في: شرح الطحاوية(٢٩٠) والظلال(٢، ٦٥)، والصحيحة (٢٠٤) : وفيه [وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل : ومن هي ؟ قال : الجماعة]

٦٩) رواه البخاري(٩٥٧، ومواضع) ومسلم(٦٧٧) بلفظ: [قنت شهرا يدعو على أحياء من أحياء العرب ثم تركه]. وهو في البخاري دون ذكر الترك ولكن جاء مفهوم الحديث بالترك: [وهو قنت شهرا] بمعنى أنه ترك بعد الشهر.

٧٠) هذا مثل يقال لمن تجاهل الخطأ وقلل من شأنه أو أعتبره صوابا فلا يعترف بان هذا خطأ بل يقول إن هذا هو الصواب ويصر عليه . وهذا مثل عربي شهير متداول بين الشعوب العربية في أرجائها كافة حيث يحكى أن ملكا خرج يصطاد محفوفا بخدم وحشم فإذا بأحد الأتباع يصيح:ألا تري يا سيدي على تلك الربوة غربانا !!؟ فسدد (الملك) النظر نحو الربوة، ثم قال: ليس ما تراه ، يا أعمى ، غربانا بل عنزات... لكنه ما إن أنهى كلامه حتى طارت الغربان !!!فأردف الملك: إنها عنزة ولو طارت. فذهبت العبارة مثلا يؤكد أن ما يراه الحاكم ببصره أو عقله هو الصحيح ولو أجمع كل الناس ، وتبيّن الواقع خلاف ذلك !!! أنظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث (٥)

٧١) صحيح: وقد سبق قريبا.

٧٢) ابن مسعود رضي الله عنه: هو الإمام الرباني الحبر، فقيه الأمة رضي الله عنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أم عبد الهذلي المكي المهاجري البدري، حليف بني زهرة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخادمه وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدريين ومن نبلاء الفقهاء والمقرئين، ومن النجباء العالمين كان ممن يتحرى في الأداء ويشدد في الرواية

[٨] وقال عمر بن عبد العزيز(٧٤) رضي الله عنه كلاماً معناه : [قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا وهم على كشفها كانوا أقوى وبالفضل لو كان فيها أحرى فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي فما فوقهم محسر وما دونهم مقصر لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم] (٧٥).

الشرح:

طريقة السلف الصالح هي طريق النجاة هي طريق السلامة كما قال الإمام الزهري(٧٦) رحمه الله

ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ. أسلم قبل عمر وحفظ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعين سورة، شهد بدرا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علما كثيرا . مات بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين،عن ستين سنة.

أنظر السير(٤٦١/١ـ ٤٩٩ ترجة(٨٧) وتذكرة الحفاظ(١٦/١ـ ١٨) ومعرفة القراء الكبار(٣٢/١ـ٣٦).

٧٣) الأثر صحيح عن ابن مسعود: وقد رواه عنه غير واحد من التابعين منهم:

١ـ أبو عبد الرحمن السلمي: أخرجه أحمد في الزهد ص(١٦٢) والبيهقي في الإعتقاد ص(٢٣٢) وفي الشعب (٢٢١٦) والمروزي في السنة ص(٢٨) وابن وضاح في البدع ص(١٠) والدارمى (٨٠/١ ، رقم ٢٠٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٨٦/ رقم ١٠٤) والطبرانى في الكبير(١٥٤/٩/ رقم ٨٧٧٠).

قال الهيثمى (١٨١/١) رجاله رجال الصحيح، وأخرجه وكيع في:الزهد(٢/ ٥٩/ رقم ٣١٥).

٢ـ إبراهيم النخعي: أخرجه أبو خيثمة في العلم ص(٥٤) والخرائطي في مكارم الأخلاق رقم(٥١٤).

٣ـ قتادة : أخرجه ابن وضاح في البدع ص (١١).

والأثر سنده صحيح كما في كشف الخفا(٣٥/١ رقم(٦٣) وصححه الألباني في : الضعيفة تحت حديث رقم(٥٣٣) وانظر: حاشية اللمعة ص(٤١) لأشرف، والبدعة وأثرها السيء" لسليم الهلالي فقد توسع في تخريجه وبيان صحته (ص٢٣-٢٤).

٧٤) عمر بن عبد العزيز: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد أمير المؤمنين حقا أبو حفص، القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية. كان من أئمة الاجتهاد، وكان ثقة مأمونا، له فقه وعلم وورع، وروى حديثا كثيرا، وكان إمام عدل رحمه الله ورضي عنه. مولده بالمدينة زمن يزيد ونشأ في مصر في ولاية أبيه عليها وحدث عن جمع من عبد الله بن جعفر وأنس بن مالك و وسعيد بن المسيب وغيرهم وكان إماما فقيها مجتهدا عارفا بالسنن كبير الشأن ثبتا حجة حافظا قانتا لله أواها منيبا حدث عنه ابناه عبد الله وعبد العزيز والزهري وغيرهم وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكان مليحا أبيض جميل الشكل نحيفا حسن اللحية بجبهته أثر حافر فرس شجه في صغره ولذا كان يقال له أشج بني أمية وفي آخر أيامه وخطه الشيب عاش أربعين سنة وبعدله وزهده يضرب المثل رضي الله عنه. ولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك ومات بدير سمعان وقبره هناك يزار مات في رجب سنة إحدى ومائة وله أربعون سنة سوى ستة أشهر رحمه الله تعالى.

انظر: سيرة عمر في : السير(١١٤/٥/ ترجمة ٤٨) وتذكرة الحفاظ(٨٩/١) وطبقات ابن سعد(٥ / ٣٣٠) والتاريخ الكبير(٦/ ١٧٤) والطبري(٦ / ٥٦٥، ٥٧٣) والجرح والتعديل(٦ / ١٢٢) وحلية الأولياء (٥ / ٢٥٣) ، وتهذيب الكمال(١٠١٧) وتاريخ الإسلام(٤ / ١٦٤) والبداية والنهاية(/ ١٩٢، ٢١٩) وشذرات الذهب(١ / ١١٩) وغيرها.

٧٥) أنظر: تحريم النظر في كتب الكلام ص(٤٥ ـ ٤٦) والمناظرة في القرآن ص(٤٥) لابن قدامة المقدسي وإعلام الموقعين (١٥١/٤) والإبانة لابن بطة(٢٣٢/٢) والشريعة للآجري ص(٢٢١ـ ٢٢٢) مع إختلاف يسير.

٧٦) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام العلم، حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام. حفظ القرآن في ثمانين ليلة.رأى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار وكان فقيها فاضلا روى

: [كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة](٧٧) .فمن أراد أن ينجو من الأهواء من البدع من الضلالات من الشقاء فعليه بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فهي نور يضيء لصاحبها

دين النبي محمد أخبار ..... نعم المطية للفتى الآثار
لا تخدعن عن الحديث وأهله ..... فالرأي ليل والحديث نهار
فلربما غلط الفتى سبل الهدى ..... والشمس بازغة لها أنوار(٧٨)

* * * * *

[٩] وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي(٧٩) رضي الله عنه :[عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول](٨٠).

.....

الشرح:

يكتفى بهذا إن شاء الله. والخلاصة هي أن الشخص تكمل سعادته في الدنيا والآخرة وينجو من الضلالة والشقاء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وترك البدع والمحدثات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

* * * * *

[١٠] وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي(٨١) لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها : هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها ؟ قال : لم يعلموها

عنه الكثير مولده في سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين. و توفي سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة، وقال ابن سعد وخليفة والزبير: مات لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين. وشذ أبو مسهر فقال: مات سنة خمس.
انظر: السير(٥/٣٢٦/ ترجمة ١٦٠) وتذكرة الحفاظ(١/٨٣ـ ٨٥) والتأريخ الكبير للبخاري(١/٢٢٠/ رقم٦٩٣) والثقات لابن حبان(٥/٣٤٩/ رقم ٥١٦٢) وتأريخ الإسلام (٨/٢٢٧ـ٢٤٩) .

٧٧) الأثر صحيح : أنظر: سنن الدارمي(٩٦) اعتقاد أهل السنة للالكائي(١٥، ١٣٦ ، ١٣٧) وحلية الأولياء (٣/٣٦٩) والفتاوى لشيخ الإسلام (١١/٦٢٣) وسير الأعلام(١٨/٣٤٣)، وصححه حسين سليم أسد في سنن الدارمي(١/٥٨ رقم٩٦).

٧٨) هذه الأبيات أنشدها عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى كما في: ذم الكلام وأهله للهروي(٢/ ١٩٣) وفي شرح لوامع الأنوار(١/٧) وابن قيم الجوزية في إعلام الموقعين (١/٧٩) وتلخيص صفة الصلاة ـ الألباني ص(٣)أنها من قول الإمام احمد .ونسبه اللالكائي في إعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٩)إلى فتى من أصحاب الحديث. ونسبها الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص(٨٦)من إنشاد عبدة بن زياد الأصبهاني. وقال القاضي عياض في الإلماع ص (٣٨) أنها من إنشاد محمد بن الزبرقان. ونسبت لغيرهم.

٧٩) الأوزاعي: سبقت ترجمته.

٨٠) الأثر صحيح : أخرجه الآجري في الشريعة ص(٥٨) والذهبي في السير(٧/١٢٠) والعلو للعلي الغفار ص (١٣٧) وابن قدامة في: ذم التأويل ص(٣٤) والخطيب في: شرف أصحاب الحديث ص(٧) وابن عبد البر في: جامع بيان العلم(٢/١١٤) وصححه الألباني في : مختصره للعلو ص(٧٥).

٨١) الأدرمي: الصحيح: أنه بالذال، أي: الأذرمي ، وهو إمام مشهور اسمه: عبد الله بن محمد الأذرمي أبو عبد الرحمن ، تتلمذ على وكيع بن الجراح و سفيان بن عيينة وغيرهم، روى عنه أبو داود ،والنسائي و عبد الله ابن الإمام أحمد و أبو يعلى الموصلي وغيرهم، وهذا العالم الفاضل مترجم له في (تهذيب التهذيب(٦/٤، ٥) في اسم: عبد الله ، وقد أشار ابن حجر في :

قال : شيء لم يعلمه هؤلاء علمته ؟ قال الرجل : فإني أقول قد علموها قال : أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم ؟ قال : بلى وسعهم قال : فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لا يسعك أنت ؟

فانقطع الرجل فقال الخليفة وكان حاضراً :لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم. (٨٢)

[١١] وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه .

.....

الشرح:

قال شيخ الإسلام محمد بن صالح العثيمين رحمه الله :

[مناظرة جرت عند خليفة بين الأدرمي وصاحب بدعة.

قال: لم أطلع على ترجمة للأدرمي ومن معه ولا أعلم نوع البدعة المذكورة والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقة لكيفية المناظرة بين الخصوم]. هذا كلام الشيخ ورحم الله امرئً انتهى إلى حيث ما سمع فهو لم يطلع فلم يتكلف لأن الله سبحانه وتعالى يقول : {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ }(ص٨٦). يقول : لم يطلع على ترجمة لهذا الرجل.

والمحقق وهو أخونا الفاضل أشرف بن عبد المقصود حفظه الله يقول(٨٣) : القصة أخرجها الخطيب في تأريخ بغداد ومن طريقة ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ومن طريقة ابن قدامة في التوابين وأخرجها الذهبي في سير أعلام النبلاء والآجري في الشريعة وأوردها ابن كثير في البداية والنهاية .

وقد رويت القصة من طريقين أحدهما مطول والآخر مختصر قال الحافظ الذهبي بعد ذكر الطريقة المختصرة للقصة هذه قصة مليحة وإن كان في طريقها من يجهل ولها شاهد ثم ذكر لها الطريقة المطولة.

ثم قال المحقق ويظهر من كلام الشيخ رحمه الله أن في هذه القصة مبهمات أربعة : الأدرمي والمناظر له والخليفة الذي حضر المناظرة والبدعة التي جرت المناظرة بسببها ومن خلال التعرف على شخصية المناظر تبين لنا بقية المبهمات :

تهذيب التهذيب إلى هذه القصة التي معنا؛ كما أن ياقوت في (معجم البلدان) لما جاء إلى مدينة أذرمة ترجم لهذا العالم، وأشار إلى هذه القصة. وهذا الإمام سماه بعضهم محمد بن عبد الرحمن، وبعضهم سماه عبد الله بن محمد، عالم من علماء الأمة.
أنظر: الأنساب للسمعاني(٦١/١، ٦٢) ومعجم البلدان لياقوت الحموي(١/ ١٣٢) وشرح كتاب لمعة الاعتقاد لعبد الرحمن بن صالح المحمود.

٨٢) هذه القصة مشهورة في كتب السنة: توجد فيها بطرق كثيرة، وبألفاظ كثيرة كما في كتاب الشريعة للآجري ص (٩١) وفي ترجمة الإمام أحمد لابن الجوزي ص(٤٣١) وأخرجها أيضا: الخطيب في تاريخ بغداد(١٥٢/٤ ، ١٠/ ٧٥) وأبو البركات الألوسي في: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص(٢٤٠) والذهبي في السير(٣٠٧/١٠، ٣١٢/١١) وتأريخ الإسلام(٤٣/١٧، ٣٨١) وابن قدامة في: التوابين ص(١٩٦) وابن كثير في: البداية والنهاية (٣٥٤/١٠) وغيرهم.

٨٣) المحقق أشرف: يعني المحقق لكتاب اللمعة شرح العثيمين الطبعة الثالثة(١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م) مكتبة طبرية.

الأول : الأدرمي: والذي نستطيع تأكيده أنه مصحف من الأذرمي واسمه أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي روى عن وكيع وابن عيينة وابن مهدي وغيرهم وروى عنه أبو داود والنسائي ووثقة أبو حاتم والنسائي في ترجمته في التهذيب والأنساب للسمعاني وهو صاحب القصة المذكورة كما جاء في المصادر التي روت ورد بها القصة وكما رجح غير واحد من أهل العلم فروى الخطيب في تأريخه وابن الجوزي في المناقب أن الحافظ أبا بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي حدث بهذه المناظرة ثم قال : والشيخ هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي ، قال الخطيب في تأريخه : وكان هارون الواثق بالله أشخص شيخاً من أهل أذنه للمحنة وناظر ابن أبي دؤاد بحضرته فاستعلى عليه الشيخ بحجته فأطلقه الواثق وردّه إلى وطنه ويقال : أنه كان أبا عبد الرحمن الأذرمي قال الحافظ في التهذيب بعد أن ذكر كلام الخطيب : قلت : والقصة مشهورة حكاها المسعودي وغيره ورواه السياري في الألقاب بإسناد له قال فيه أن الشيخ المناظر هو الأذرمي هو وقال السمعاني في الأنساب في مادة الأذرمي بعد الألف وفتح الذال المعجمة وسكون الراء وفي آخرها الميم هذه النسبة إلى أذرم وظن أنها من قرى أذرمة ببلدة من الثغر منها أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي ثم ترجم له وذكر مثل كلام الخطيب هذا الإبهام الأول .

الثاني : المناظر له هو أحمد بن أبي دؤاد القاضي الكبير أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الآبادي البصري البغدادي الجهمي عدوّ الإمام أحمد كان داعية إلى خلق القرآن كانت له منزلة ومشورة عند الخليفة المأمون والمعتصم والواثق وكان إلباً على الإمام أحمد يوم المحنة ويقول : يا أمير المؤمنين اقتله هو ضالّ مضلّ راجع ترجمته من وفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء والبداية والنهاية وشذرات الذهب .

الثالث : الخليفة الذي حضر المناظرة : هو الواثق بالله هارون بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد العباسي أبو جعفر بعد أن استمرت زمن المأمون كاملاً وما أذكر من الذي بعد المأمون لكن استمرت من عهد المأمون لأنه في عصر المأمون سمح المأمون بتدريس كتب الفلاسفة فلسفة اليونان وغيرها فانتشرت مثل هذه الأهواء استمرت زمن المأمون ومن بعده إلى أن وصلت إلى الواثق الذي هو ابن هارون الرشيد من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ولد ببغداد وولي الخلافة بعد وفاة أبيه إذن بعد المعتصم يعني استمرت زمن المأمون والمعتصم والواثق فانتهت في زمن الواثق بالله ، قال : فامتحن الناس في خلق القرآن وسجن جماعة والظاهر أنه تاب عن ذلك في آخر عمره كما جاء في سياق رواية القصة التي نحن بصدد الكلام عليها ففي آخرها قال المهتدي بالله ابن الخليفة الواثق بالله فرجعت عن هذه المقالة وظن أن الواثق رجع عنها عند ذلك الوقت وقد عنون الحافظ ابن قدامة في التوابين بهذه القصة بقوله : توبة الواثق بالله وابنه المهتدي بالله قال الحافظ ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد : وقد روي أن الواثق ترك امتحان الناس بسبب مناظرة جرت بين يديه رأى بها أن الأولى ترك الإمتحان ثم ساق القصة بطولها .

الرابع : البدعة التي جرت المناظرة بسببها هي بدعة القول بخلق القرآن تلك الفتنة الكبرى التي امتحن بسببها أئمة أعلام على رأسهم الإمام الرباني والصديق الثاني أحمد بن حنبل رحمه الله

وراجع مقدمة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على لمعة الإعتقاد حيث نبه على هذا التصويب أيضاً بإشارة لطيفة([٨٤]).

إن عرفنا المناظِر والمناظِر الذي هو الأدرمي الذي جاء من بلدته إلى بغداد وكان المناظر له أحمد بن أبي دؤاد وقد جاء في بعضها أنه سلم فردّ عليه الواثق قال : السلام عليكم قال : لا سلمك الله فقال الرجل : بئس مؤدب أدبك يا أمير المؤمنين فقال له أحمد بن أبي دؤاد الذي هو المناظر إن هذا الرجل متكلم فاسأله فقال له: بل اسأله أنت فسأله ما سيأتي فانقطع دابر أحمد بن أبي دؤاد وهكذا كما يقال: صولة الباطل ساعة وصولة الحق إلى قيام الساعة ثم بعد ذلك يأتي الفرج والتنفيس قال ربنا في كتابه العزيز: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } (يوسف١١٠) .

قال العثيمين : [وقد بين الأذرمي ـ رحمه الله ـ مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التي تليها حتى يفحم خصمه] وهذه بغض النظر صحت أو ما صحت على أننا نعتقد صحتها لكن الطرق والأسس التي مشى عليها ممكن يدخل من خلالها على كل صاحب باطل بدعة متكلم متفلسف أهوج يدعي في الدين ما ليس منه فإن هذا القاعدة التي سلكها تصلح لمثل هذا .

[المرحلة الأولى: "العلم" فقد سأله الأدرمي هل علم هذه البدعة النبي، صلى الله عليه وسلم ، وخلفاؤه؟قال البدعي: لم يعلموها.

وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي، صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين، ومع ذلك فهو حجة على البدعي إذا كانوا لا يعلمونه ولذلك انتقل به الأدرمي إلى:

المرحلة الثانية: إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله، صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين علم شيء من الشريعة ويفتحه لك؟ فتراجع البدعي وقال: أقول: قد علموها فانتقل به إلى:

المرحلة الثالثة: إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم أي أمكنهم أن لا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟

فأجاب البدعي بأنهم وسعهم السكوت وعدم الكلام.

فقال له الأدرمي: فشيء وسع رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب لأن الباب انسد أمامه.

فصوب الخليفة رأي الأدرمي، ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبي، صلى الله عليه وسلم وخلفاءه. وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلابد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب]

مثل الذين يأتون ببدعة الموالد يقال لهم : أنتم الآن تعلمون هذا الشيء لماذا لم يعلمه رسول الله هل علمه رسول الله أو لم يعلمه ؟ فهم بين أمرين إما أن يثبتوا أو ينفوا وهكذا في قنوت الفجر وهكذا على أن هناك علل وشبهات وتأويلات وهكذا فيما يتعلق ببدعة الإنتخابات وما يتعلق بادعاء بعض الناس أن المرأة مهضومة وهكذا فيما يتعلق في بعض صور التعامل بالربا صور كثيرة جداً ، فهذه مرحلة طيبة لو سلكها السني مع البدعي في أي مسألة عرضت فقال له : يا أخي هل هذه المسألة علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا : اثبت فإن قال : لم يعلمها انقطع ولله الحمد والمنة .

---

٨٤) أنظر: اللمعة تحقيق أشرف ص(٤٥) حاشية(١٣).

* * * * *

ذكر بعض آيات الصفات

[١٢] فمما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل : {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ }(الرحمن٢٧).

.....

الشرح:

أي ذكر نعوته سبحانه وتعالى التي تليق بجلاله وكماله وجماله وكبريائه قال : فمما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل : {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ }(الرحمن٢٧). في هذه الآية إثبات صفة الوجه لله يعني لله وجه لكن هذا الوجه نثبته ولا ندرك كيفيته فلا يعلم الكيفية إلا الله سبحانه وتعالى لكن نحن علينا أن نؤمن ونسلم ونثبت دون ردّ أو اعتراض .

قال العثيمين : [الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى:

ذكر المؤلف من صفات الله الصفات الآتية وسنتكلم عليها حسب ترتيب المؤلف:

الصفة الأولى : الوجه: الوجه ثابت لله تعالى ة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع لله السلف].

والدليل من الكتاب قول الله:{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ }[الرحمن٢٧].والدليل من السنة ما رواه البخاري ومسلمً من حديث سعد بن أبي وقاص وهو أحد المبشرين بالجنة مرض هذا الصحابي الجليل فذهب النبي صلى الله عليه وسلم يزوره يعوده وهو مريض تواضع منه صلى الله عليه وسلم وهذا من حق المسلم على المسلم يقول سعد يا رسول الله إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفاتصدق بثلثي مالي؟ قال(لا). قلت بالشطر؟ فقال(لا). ثم قال(الثلث والثلث كبير أو كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة تتبغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك }([٨٥]).

ومما ورد في السنة قول جابر رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية{ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم } . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعوذ بوجهك).

قال{أو من تحت أرجلكم}. قال (أعوذ بوجهك) . { أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض } [الأنعام ٦٥]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذا أهون أو هذا أيسر)([٨٦]).

إذن نطق النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة وإضافة إلى ما في الكتاب والسنة من إثبات هذه الصفة الكريمة لله سبحانه وتعالى إجماع السلف الصالح أجمع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يعتد بهم على أن لله وجهاً يليق بجماله وكماله وكبريائه لا يشبه أحداً من خلقه من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف على حدّ قوله سبحانه : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى١١] .

---

٨٥) متفق عليه: البخاري(٥٦، ١٢٣٣، ٢٥٩١، ٢٥٩٢، ٢٥٩٣، ٥٠٣٩ ، ٣٧٢١، ٤١٤٧، ٥٠٣٩، ٥٣٣٥، ٥٣٤٤، ٦٠١٢، ٦٣٥٢) ومسلم(١٦٢٨) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

٨٦) رواه البخاري(٤٣٥٢، ٦٨٨٣، ٦٩٧١) وغيره

إذن نثبت لله سبحانه وتعالى هذه الصفة الكريمة صفة الوجه لله لأنه ثبت في القرآن وفي السنة وأجمع عليه السلف.

الجهمية طائفة ضالة مضلة تنتسب إلى الجهم بن صفوان السمرقندي هذه الطائفة أخذت علمها من الجعد بن درهم والجعد بن درهم أخذه من لبيد بن الأعصم اليهودي أو من أحد أقاربه فهي سلسلة مظلمة هذه الطائفة الضالة تنفي وتجحد تبطل الآيات التي فيها الصفات وأحاديثها فهؤلاء أنكروا تماماً.

وطائفة أخرى فسرت الوجه بالثواب {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ }(الرحمن٢٧).

قالوا: {وَجْهُ رَبِّكَ}: أي ثواب ربك . والله سبحانه وتعالى أثبت له وجهاً والقرآن نزل بلغة العرب فالعرب يفهمون أن لله وجهاً. وهؤلاء فسروه بالثواب بماذا يرد عليهم ؟

قال العثيمين : [ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة].

والمراد بذلك أن نقول لهم : إن كلامكم هذا مخالف لظواهر نصوص الكتاب والسنة الصحيحة وخلاف لما أجمع عليه السلف الصالح.

إذن يثبت لله هذه الصفة رغم أنف المخالفين فإن خلافهم لا يعتد به في هذا الباب كيف يعتد بخلافهم والله أثبت ذلك لنفسه وهو أعلم بنفسه من غيره ورسول الله أثبته لربه وهو أعلم بربه من غيره أما قال النبي صلى الله عليه وسلم:{أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له} (٨٧) .

فكلام الرسول هو الذي يقبل وهكذا هدي السلف الصالح مقدم على الفلاسفة المتأخرين فإن السلف اقتبسوا من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكلهم من رسول الله مقتبس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم(٨٨)

* * * * *

* وقوله سبحانه : { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }[المائدة٦٤].

.....

الشرح:

الصفة الثانية: اليدان:

[اليدان: من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف]

فمن الكتاب قول الله سبحانه وتعالى : { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة٦٤].

---

٨٧) البخاري (٤٧٧٦) واللفظ له ومسلم (١٤٠١) عن أنس رضي الله عنه.

٨٨) هذه البيت للبوصيري من قصيدة له طويلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفيها من الغلو والإطراء والشرك والإستغاثة بغير الله الكثير. وهذا البيت ذكره بعد قوله :

فاق النبيين في خَلق وفي خُلُق * * * ولم يدانوه في علم ولا كرم

ثم قال: وكلهم من رسول الله ملتمس * * * غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

أي أن جميع الأنبياء السابقين قد نالوا والتمسوا من خاتم الأنبياء والرسل محمد -صلى الله عليه وسلم- فالسابق استفاد من اللاحق

أنظر: الجامع في المولد(٧/٤) وديوان البوصيري(٢٤٠) وقوادح عقدية في البردة. لـ/ د . عبد العزيز آل عبد اللطيف ص(٤).

في هذا إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى صفة اليدين. وصفة اليدين ثابتة في السنة أيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم : {إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض} رواه مسلم(٨٩) والبخاري معناه(٩٠)

قال :[وأجمع السلف على إثبات اليدين لله فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به. وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوهما ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وبوجه رابع: أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعا كقوله تعالى:{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ }[ص٧٥]. وقوله صلى الله عليه وسلم(وبيده الأخرى القبض)].

والذي سبق لنا أن نقول : إن قولكم يا أيها المعطلة أو يا أهل التعطيل خلاف ظاهر النصوص لأن الله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه يدين.أن قولكم خلاف ظاهر القرآن وخلاف ظاهر سنة النبي صلى الله عليه وسلم وخلاف طريقة السلف الصالح فإن السلف الصالح أثبتوا هذه الصفة لله سبحانه وتعالى ولم يتعرضوا لها.

---

٨٩) متفق عليه: رواه البخاري(٤٤٠٧، ٥٠٣٧، ٦٩٧٦، ٦٩٨٣، ٧٠٥٧) ومسلم(٩٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٩٠) بل رواه بنفس اللفظ برقم(٦٩٨٣). وأنظر اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان ص(٢٧٨).

فائدة: قال ابن بطال في شرحه للبخاري(١٠/٤٥٠): وأما قوله : [يمين الله ملأى] ففيه إثبات اليمين صفة ذات لله تعالى لا صفة فعل . وقوله : [ملأى] ليس حلول المال فيها ؛ لأن ذلك من صفات الأجسام وإنما هو إخبار منه (صلى الله عليه وسلم) عن أن ما يقدر عليه من النعم وإرزاق عباده لا غاية له ولا نفاذ.

وقال ابن حجر في الفتح :قال ابن بطال في هذه الآية [لما خلقت بيدي] إثبات يدين لله وهما صفتان من صفات ذاته وليستا بجارحتين خلافا للمشبهة من المثبتة وللجهمية من المعطلة ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة أنهم اجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة ولا قدرة له في قول النفاة لأنهم يقولون انه قادر لذاته ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى لإبليس [ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي] إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته ولقال إبليس وأي فضيلة له علي وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك فلما قال خلقتني من نار وخلقته من طين دل على اختصاص آدم بان الله خلقه بيديه قال ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق لأن النعم مخلوقة ولا يلزم من كونهما صفتي ذات أن يكونا جارحتين.

وقال بن التين: قوله [وبيده الأخرى الميزان] يدفع تأويل اليد هنا بالقدرة وكذا قوله في حديث بن عباس رفعه [أول ما خلق الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين] الحديث. (والحديث في الصحيحة برقم(٣١٣٦)

وقال بن فورك قيل اليد بمعنى الذات وهذا يستقيم في مثل قوله تعالى [مما عملت أيدينا] بخلاف قوله [لما خلقت بيدي] فإنه سيق للرد على إبليس فلو حمل على الذات لما اتجه الرد وقال غيره هذا يساق مساق التمثيل للتقريب لأنه عهد أن من اعتنى بشيء واهتم به باشره بيديه فيستفاد من ذلك أن العناية بخلق آدم كانت أتم من العناية بخلق غيره. الفتح(١٣/٣٩٣-٣٩٤).

فائدة : قال ابن عثيمين: الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها:

الأول: الإفراد: كقوله تعالى: [تبارك الذي بيده الملك] [الملك ١].

الثاني: التثنية : كقوله تعالى: [بل يداه مبسوطتان] [المائدة ٦٤].

الثالث: الجمع: كقوله تعالى: [أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً] [يس ٧١].

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثنية، على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً. أنظر شرح اللمعة ص(٥٠).

ومن الأدلة على إثبات صفة اليدين {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص٧٥]. وقوله تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الملك١]. وكذلك قوله تعالى : {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً } [يس٧١].

فعلى أية حال هذه الصفة ـ بارك الله فيكم ـ هذه الصفة طالما نطق بها القرآن وأفصحت عنها سنة النبي صلى الله عليه وسلم وحصل إثبات لها ممن اقتدوا واقتفوا آثار النبي صلى الله عليه وسلم فلا عبرة بالمخالف أياً كانت مخالفته فلا يؤخذ قوله ولا يعتد به لأنه سلك خلاف الجادة حاد عن القرآن وحاد عن السنة وحاد عن منهج السلف الصالح ورحمة الله على من قال :

فما خاب من يهدي بهدي محمد ولست تراه قارعاً سن نادم

* * * * *

* وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه قال:{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ }[المائدة١١٦].

.....

الشرح:

الصفة الثالثة: صفة النفس:

من هذه الآية نثبت لله سبحانه وتعالى صفة النفس. وكذلك أيضاً من قوله تعالى:{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }[الأنعام٥٤]. فيها أيضا إثبات صفة النفس لله سبحانه وتعالى وكذلك أيضاً حديث جويرية رضي الله عنها وهي من أمهات المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم :رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم:{ لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته }([٩١]) الشاهد : { ورضا نفسه } هذا من أذكار الصباح ويقال ثلاثاً.

كذلك أيضاً أجمع السلف الصالح على إثبات النفس أو صفة النفس لله سبحانه وتعالى ولكن إثباتها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل على حدّ قول الله سبحانه : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }[الشورى١١] .

* * * * *

الوجه الأول من الشريط الثالث فاضي **(ناقص هنا صفة المجيء والرضى والمحبة)**

* وقوله تعالى في الكفار: { وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ }[الفتح٦].

.....

الشرح:

---

٩١) رواه مسلم (٢٧٢٦) والبخاري في الأدب(٦٤٧) وأحمد(٣٣٠٨) وأبو داود(١٥٠٣) والترمذي(٣٥٥٥) والنسائي(١٣٥٢) وابن ماجة(٣٨٠٨) وغيرهم عن جويرية رضي الله عنها.

درسنا اليوم هو عن صفة من صفات الله سبحانه وتعالى الفعلية التي لها اتصال بمشيئته وإرادته سبحانه وتعالى فيقول رحمه الله : وقوله تعالى في الكفار:{ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } [الفتح٦].

قال الشيخ العثيمين رحمه الله :

[الصفة السابعة: الغضب:

الغضب:من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف قال الله تعالى فيمن قتل مؤمناً متعمداً : {وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ }[النساء٩٣].

إذن نثبت هذه الصفة للباري من الذي أثبتها ؟ هو سبحانه وهو معنى قول العلماء علماء العقيدة والتوحيد أن لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه فالآن سبحانه وتعالى يصف نفسه بهذه الصفة أنه قد يغضب ولكن على من ؟ على من استحق هذه الصفة أما بالنسبة لأوليائه وأصفيائه من ملائكته ورسله والصالحين من عباده فهو سبحانه وتعالى يحبهم ويقربهم ويحسن إليهم.

قال سبحانه:{فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ }[المائدة٥٤] وقال عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : { رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ }[التوبة١٠٠]. وآيات كثيرة في هذا الباب.

إذن إخواني نثبت لله هذه الصفة لأن الله أثبتها لنفسه فلا تعدوا ما أثبت الله سبحانه وتعالى لنفسه ولا نرد ولا نؤول ولا نكيف. كيف الغضب ؟ ما هو الغضب ؟ وإنما نقول كما قال مالك بن أنس : الإستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة([٩٢]) .

وقد ورد إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى في سنة النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله أعلم بنفسه من غيره ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بربه سبحانه وتعالى فهو المبلغ عن ربه سبحانه وتعالى الأسماء والصفات والتوحيد والأحكام والقصص والأخبار.

قال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }[المائدة٦٧].

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب أنه قال كما في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه:{إن الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي أو غلبت غضبي} والحديث متفق عليه([٩٣]) .

قال العثيمين :[وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.وهو غضب حقيقي يليق بالله. وفسره أهل التعطيل بالانتقام ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع: أن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى:{ فلما آسفونا }.أي أغضبونا [انتقمنا منهم] [الزخرف ٥٥]. فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره].

وأجمع السلف والمراد بالسلف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن سار على ما ساروا عليه: وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل لا نعطل هذه الصفة ولا تكييف تسأل تكيف ولا تمثيل مثل كذا وهو غضب حقيقي يليق بالله وفسره أهل التعطيل من جهمية ومعتزلة بالإنتقام.

---

٩٢) صحيح : وسيأتي في صفة العلو.

٩٣) رواه البخاري(٣٠٢٢، ٦٩٦٩، ٦٩٨٦، ٧٠١٥، ٧١١٤، ٧١١٥) ومسلم (٢٧٥١) وأحمد (٧٥٢٠) وابن ماجة(١٨٩) و النسائي في الكبرى: (٧٧٥١) وأبو يعلى(٦٤٣٢) وصحيح ابن حبان (٦١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تعرفون أن الجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي جحدوا الأسماء مع أوصافها والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزال أثبتوا الأسماء مجردة عن أوصافها وفسره أهل التعطيل بالإنتقام فقالوا غضب بمعنى انتقم .

ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة هذا الكلام تكرر معنا كثيراً وهو يصلح أن نرد به على أي مبطل في أي باب من أبواب العلم إن كابر أو خالف سواء كان صوفي معتزلي جهمي رافضي أشعري علماني حداثي شهواني كاذب عن الله مدعي العلم وهو ليس من أهله فيقال : إن كلامك خلاف ظاهر النصوص وخلاف ما أجمع عليه السلف وليس عليه دليل صحيح يعني كله بالنفي لماذا ؟ لأنهم مبطلون ومذهبهم مبني على البطلان .

وبوجه رابع : أن الله قد غاير بين الغضب والإنتقام فقال سبحانه:{ فلما آسفونا} أي أغضبونا {انتقمنا منهم }[الزخرف ٥٥] فجعل الإنتقام نتيجة للغضب فدلّ على أنه غيره.

فلو قال لك : كيف يغضب ؟ الله أعلم.

غضب الله على اليهود غضب الله على من قتل مؤمناً متعمداً.

الغضب يثبت لله سبحانه وتعالى دون أن يسأل بكيف ، دون أن يشبه دون أن يمثل ولا يعطل وإنما يثبت له سبحانه وتعالى. لكن نفهم أن الغضب ليس هو الرضا فالرضا للأولياء والغضب إنما يكون فيمن ارتكب شيئاً حرمه الله سبحانه وتعالى فكان الغضب نتيجة لإساءة هذا العبد وهكذا فهو مفهوم وتدركه الفطر السليمة لأنها مفطورة على التوحيد كما قال سبحانه وتعال في الحديث: { خلقت عبادي كلهم حنفاء }([٩٤]) .

* * * * *

* وقوله تعالى: { اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ } [محمد٢٨]

الشرح:

الصفة الثامنة: السخط: هذه صفة ثالثة من دروس هذا اليوم وهي صفة السخط.

قال العثيمين :[السخط من صفات الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى : { ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله }[محمد ٢٨].

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : { اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك .... } الحديث رواه مسلم([٩٥]).

وأجمع السلف على ثبوت السخط لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو سخط حقيقي يليق بالله وفسره أهل التعطيل بالإنتقام ونردّ عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة].

---

٩٤) رواه مسلم(٢٨٦٥) وأحمد(١٧٥١٩) والنسائي في الكبرى(٨٠٧٠) وابن حبان(٦٥٣) والطيالسي(١٠٧٩) والطبراني في الأوسط(٢٩٣٣) عن عياض بن حمار المجاشعي بن رضي الله عنه.

٩٥) رواه مسلم(٤٨٦) وأحمد(٢٤٣٥٧) وأبو داود(٨٧٩) والترمذي(٣٤٩٣) والنسائي(١٦٩) وابن ماجة (٣٨٤١).من حديث عائشة رضي الله عنها.

أن كلامكم خلاف ظاهر النصوص وخلاف ما عليه السلف الصالح وليس عليه دليل صريح .

* * * * *

* وقوله تعالى : { وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ }[التوبة٤٦].

.....

الشرح:

[الصفة التاسعة: الكراهة:

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف قال الله تعال : { وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ }[التوبة٤٦]. هذه في حق المنافقين .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال}([٩٦])

إيش تريد بعد هذا صفة ثبتت في القرآن ثبتت في السنة إذن حسبنا وكفانا ما هو في كتاب ربنا وفي سنة نبينا { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ }[الجاثية٦].

إذن إثبات الكراهة لمن ؟ لله سبحانه وتعالى

ولما نذكر مثل هذه الأوصاف ليس معنى أننا نفهم أننا نثبت السخط لله الكراهة لله الغضب الرحمة فقط لا بد أن تنعكس دروس مسلكية على جوارحنا على قلوبنا يعني نثبت المحبة لله إذن لماذا لا نعمل أشياء حتى يحبنا الله سبحانه وتعالى: { إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }[البقرة٢٢٢].

إذن نتوب ونتطهر ونتوب حتى يحبنا الله ، { وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[آل عمران١٣٤].

إذن نحسن حتى يحبنا الله وهكذا في باب الغضب لا نعمل شيئاً يخالف أمر الله حتى لا يغضب الله علينا ونعمل أشياء تقربنا من الله حتى يقربنا ربنا سبحانه وتعالى وهكذا في باب الكراهية لا تعمل شيئاً مثلما هو في هذا الحديث : { إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال }([٩٧])

الحديث في صحيح البخاري ومسلم لا نعمل شيئاً من هذه الخصال ولا من غيرها تسبب لنا أن يكرهنا الله. الإنسان منا يحرص أن لا يكرهه أولاده ولا أهله ولا أصدقاؤه ولا جيرانه ولا أصحابه في العمل فكيف إذا كان قد كرهك الله سبحانه وتعالى هذه مصيبة يا إخوان مصيبة أن الشخص يصلح أوضاعه مع البشر ويسخط رب البشر بالأخلاق والسلوكيات التي يتقدم بها إلى الله سبحانه وتعالى فالواجب أن نحرص كل الحرص على أن تكون أواصر الصلة بيننا وبين الله صحيحة قوية متصلة سليمة مائة في المائة على حدّ قول الناظم :

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الودّ فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب([٩٨]).

---

٩٦) البخاري:(١٤٠٧، ٢٢٧٧، ٥٦٣٠، ٦١٠٨، ٦٨٦٢) ومسلم:(١٢/٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

٩٧) وفي الصحيحين: وقد سبق تخريجه.

٩٨) هذه الأبيات لأبي فراس الحمداني وهي في ديوانه ص(٤٦) في عتاب ابن عمه سيف الدولة ضمن أبيات يقول فيها:

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع ... وفي كل يوم لقية وخطاب

فكيف وفيما بيننا ملك قيصر ... وللبحر حولي زخرة وعباب

قال : [وأجمع السلف على ثبوت ذلك فيجب إثباته من غير تحريف و لا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهي كراهة حقيقية من الله تليق به.
وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد ونردّ عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة].
وقد تقدم لكم معاني هذه القواعد وهي كراهة حقيقية من الله تليق به.
فالله يكره هل نثبت له صفة الكراهة ؟ نعم هل لها كيفية ؟ نعم ولكن لا ندرك هذه الكيفية لا تدركها عقولنا ولا ينبغي لنا أن نخوض في شيء لا نعرفه وقد فسرها أهل التعطيل بالإبعاد ونردّ عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وقد تقدم معنا كثيراً هذه القاعدة فأرجو أن تكون قد فهمت .
وبهذا القدر نكون قد أتينا إلى آخر آيات الصفات.

* * * * *

ذكر بعض أحاديث الصفات

[١٣] ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: { ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا }([٩٩]).

.....

.... الشرح ....

سنة النبي صلى الله عليه وسلم وما ثبت في السنة فهو مثل الذي ثبت في القرآن لا فرق بينهم البتة
ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم : { ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا }
هذا حديث ثابت عن نبينا عليه الصلاة والسلام متفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه .
قال العثيمين : [الصفة العاشرة : النزول

أمن بعد بذل النفس فيما تريده أثاب بمر العتب حين أثاب
[فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكأل هين وكل الذي فوق التراب تراب]

والأبيات الأخيرة لا تليق أن تقال في مخلوق وإنما تقال في حق الخالق سبحانه وبحمده ولهذا صرف العارفون هذه الأبيات فخاطبوا بها ربهم ومولاهم كما هو حال الكثير من العباد فقد كانت رابعة العدوية تخاطب مولاها بهذه الأبيات :
فليتك تحلو والحياة مريرة ..... وليتك ترضى والأنام غضاب .
إلى آخر الأبيات هذه. أنظر: قرى الضيف لابن أبي الدنيا(٩٥/١) والبداية والنهاية(٣١٦/١١) والمنتظم لابن الجوزي(٧١/٧)
قال ابن القيم في مدارج السالكين(٣٠١/٢): ولقد أحسن أبو فراس في هذا المعنى إلا أنه أساء كل الإساءة في قوله إذ يقوله لمخلوق لا يملك له ولا لنفسه نفعا ولا ضرا.
٩٩) متفق عليه: البخاري(١٠٩٤، ٥٩٦٢، ٧٩٥٦) ومسلم(٧٥٨) وأحمد(٧٥٨٢) وأبو داود(١٣١٥) والترمذي(٣٤٩٨) والنسائي في الكبرى(٧٧٦٨) وابن ماجة(١٣٦٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وقد ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد الخدري وجبير بن مطعم ورفاعة بن عرابة الجهني وعلي بن أبي طالب وعبد الله ابن مسعود وأبي الدرداء وعثمان بن أبي العاصي رضي الله عنهم أجمعين.
أنظر: الإرواء(١٩٥/٢) وسنن الترمذي(٥٢٦/٥).

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له في السنة وإجماع السلف قال النبي صلى الله عليه وسلم: { ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول من يدعوني فأستجيب له...} الحديث متفق عليه .

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو نزول حقيقي يليق بالله].

لا ينبغي للشخص أن يورد استشكالات في هذا الباب لا يجوز ومحرم على العبد أن يستشكل أمراً غيبياً أو أمراً قضى الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما التسليم لا بد أن يكون هناك تسليم لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

قال: [وفسره أهل التعطيل بنزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته.

ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة] : أن يقال لهم : إن كلامكم خلاف ظاهر القرآن والسنة وليس عليه دليل صحيح .

قال: [وبوجه رابع : أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول : من يدعوني فأستجيب له ..الخ].

يعني إذا كنتم تقولون أن المراد بالنزول هو نزول أمر الله فالله سبحانه وتعالى يقول : من يدعوني فأستجيب فلا يكون أمر الله هو القائل ادعوني هذا أمر يتنافى مع العقل ومع العقلية أيضا[**إذ أن الأمر مخلوق من مخلوقات الله . أَمْرُ الله هو شيء من عباد الله] [يحذف هذا الكلام]**.

لا يمكن لأمر أن يقول ادعوني أستجب لكم إذاً لا بد أن يكون النزول نزولاً حقيقياً يليق بالله سبحانه وتعالى لأنه عز وجل يقول: من يدعوني فأستجيب له ..... إلخ .

هذه صفة من صفات ربنا سبحانه تعرف على ربك من خلال الأسماء والصفات .

* * * * *

* وقوله صلى الله عليه وسلم : { يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة }([١٠٠]).

.....

.... الشـرح ....

قال العثيمين : [الصفة الحادية عشرة : العجب .

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف ، قال الله تعالى :{ بل عجبت ويسخرون }[الصافات:١٢] على قراءة ضم التاء].

قراءة حمزة والكسائي وخلف بضم التاء وهي من القراءات العشر.

[وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة } رواه أحمد وهو في المسند ص١٥١ج٤ عن عقبة بن عامر مرفوعا وفيه ابن لهيعة].

---

١٠٠) صحيح: رواه أحمد(١٧٤٠٩) والطبراني في الكبير(٨٥٣) وأبو يعلى(١٧٤٩) وغيرهم عن عقبة بن عامر وصححه الألباني في: الصحيحة(٢٨٤٣) وحسنه شعيب في تحقيق المسند(١٥١/٤). والصبوة: ميل إلى الهوى .

الحديث ضعيف قال : ونقل الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة تضعيف الحافظ ابن حجر له في فتاويه من أجل عبد الله بن لهيعة وضعفه الألباني في الضعيفة ، ويغني عنه حديث:{ يعجب ربك من راعي غنم على رأس شظية الجبل يؤذن للصلاة ويصلي }([١٠١]).

وحديث أبي طلحة : { عجب الله الليلة من صنيعكما }([١٠٢]) حينما جاء الضيف فتولى أبو طلحة وأهله إكرامه صابرين ومحتسبين ومصبرين أيضاً أولادهم احتساباً لوجه الله والضيافة من الدين وهي من الأخلاق الحميدة والشيم الرفيعة فينبغي للشخص أن يطبع نفسه على هذا الخلق الرفيع وهو إكرام الضيف إن جاء ضيف حاول أن تكرمه ولو بالكلمة الطيبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة وزوجته : { عجب الله الليلة من صنيعكما } فنثبت العجب لله.

ويستفاد أيضاً من قوله سبحانه : {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }[البقرة٢٨].

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }آل عمران:١٠٠ـ ١٠١]. هذا ليس عن طريق النص وإنما عن طريق الإستنباط .

قال: [وأجمع السلف على ثبوت العجب لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو عجب حقيقي يليق بالله. وفسره أهل التعطيل بالمجازاة .

ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

والعجب نوعان :

أحدهما: أن يكون صادر عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه وهذا النوع مستحيل على الله لأن الله لا يخفى عليه شيء .

الثاني: أن يكون سببه خروج شيء عن نظائره أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب وهذا هو الثابت لله تعالى].

* * * * *

* وقوله :{ يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة }([١٠٣]).

.....

الشرح:

الصفة الثانية عشرة الضحك :

قال ابن عثيمين : [الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة وإجماع السلف.

---

١٠١) صحيح: رواه أحمد(١٧٣٥٠، ومواضع) وأبو داود(١٢٠٣) والنسائي(٦٦٦) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، وصححه الألباني في : الإرواء(٢١٤) وصحيح الجامع(٨١٠٢) والصحيحة(٤١)

١٠٢) متفق عليه البخاري(٣٥٨٧، ٤٦٠٧) ومسلم(٢٠٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١٠٣) متفق عليه: رواه البخاري(٢٦٧١) ومسلم(١٨٩٠) وأحمد(٨٢٠٨) والنسائي(٣١٦٦) وابن ماجة(١٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: { يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة } .وتمام الحديث:{ يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد} متفق عليه .
وأجمع السلف على إثبات الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو ضحك حقيقي يليق بالله .وفسره أهل التعطيل بالثواب ونردّ عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة].

هذه الصفة أعني الضحك لله سبحانه وتعالى يثبتها أهل السنة والجماعة لأن الذي أثبتها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه جل وعلا فهو عليه الصلاة والسلام يخبر أن الله سبحانه وتعالى يضحك لكن هذا الضحك ليس كضحك ابن آدم فضحك ابن آدم الذي يحدثه هو الله سبحانه وتعالى.

جاء أن ابن عباس سئل: أيضحك المؤمن ؟ فقال : كيف لا يضحك والله سبحانه وتعالى يقول :{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى }[النجم٤٣](١٠٤).

فضحك الرب سبحانه وتعالى ضحك حقيقي يليق بكماله وجماله وجبروته وكبريائه لا يشبه أحداً من المخلوقين كما أن التفاوت حاصل في الصفات الذاتية بين الخالق والمخلوق فهكذا في الصفات الفعلية فإن كان الفارق حاصل بين الذات ، بين ذات الخالق وذات المخلوق فهكذا البون حاصل بين صفات الله وصفات خلقه .

ولا عبرة بقول المعطلة من الجهمية الذين جحدوا صفات الله ولا المعتزلة الذين جحدوا الصفات أيضاً وإن كانوا قد أثبتوا الأسماء لكن لا عبرة بإثباتها إذ أنهم نفوا مدلولات هذه الأسماء لا عبرة بهؤلاء إذ أنهم شواذّ في هذا الباب الجهمية الجبرية القدرية المرجئة في باب المخالفات الشرعية لا عبرة بأقوالهم بل نطرح أقوالهم جانباً ولا كرامة.

فإن وجدنا من يثبت الصفة ولكن يؤول يقول : الضحك يراد به الرضا أو يراد به الثواب أو إيصال الثواب نقول : لا ونثبت لله صفة الضحك وأنه يضحك متى شاء وكيف شاء.

فهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير ونردّ على هؤلاء بقولنا لهم دائماً إن قولكم هذا مخالف لظاهر النص ولما أجمع عليه أهل السنة والجماعة وليس له دليل يؤيده من الكتاب ولا من السنة الصحيحة فهذه ـ بارك الله فيكم ـ صفة حقيقية دل عليها دليلان :

الدليل الأول: حديث النبي صلى الله عليه وسلم(١٠٥).

---

١٠٤) لم أجده في المراجع التي اطلعت عليها ، ولكن وجدت عنه ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(١١٤١٢)عَنْ جُبَارٍ الطَّائِيِّ ، قَالَ : شَهِدْت جِنَازَةَ أُمِّ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَفِيهَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى أَتَانٍ لَهُ قمراء يقاد وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ، وَابْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : فَسَمِعُوا أَصْوَاتَ صَوَائِحَ ، قَالَ : قُلْتُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ يُصْنَعُ هَذَا وَأَنْتَ هَاهُنَا ؟ قَالَ : دَعْنَا مِنْك يَا جُبَارِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى.
فائدة: قيل لعمر : هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون ؟ قال : نعم! والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي] أخرجه ابن أبي شيبة(٣٥٧٧٧).

١٠٥) وقد جاءت أحاديث كثيرة في إثبات صفة الضحك لله تعالى غير هذا الحديث منها:
أ) ما جاء في البخاري(٣٥٨٧) ومسلم(٢٠٥٤)وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! أصابني الجهد. فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله؟". فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله! فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء؛ فنوميهم،

والدليل الثاني:الإجماع الحاصل من السلف في إثبات هذه الصفة الثابتة لربنا سبحانه وتعالى قال ابن القيم:

الحق معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليد يستويان([١٠٦])

* * * * *

[١٤] فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت رواته ، نؤمن به ، ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ، ولا بسمات المحدثين ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى : ١١] .
وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.

.....

الشرح:

فهذا وما أشبهه مما صح سنده يعني رجال السند كان صحيحاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعدلت رواته وهذه من شروط قبول الحديث الصحيح نؤمن به ....

وتعالي، فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة. ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ضحك الله الليلة (أو: عجب) من فعالكما »

ب) وروى ابن أبي الدنيا في قرى الضيف : عن أنس رضي الله عنه نحوه، وفيه ذكر الضحك بغير شك.

وفي البخاري(٦٢٠٢، ٧٠٧٣) ومسلم(١٨٦، ١٨٧) أيضا واللفظ لمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « آخر من يدخل الجنة رجل يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة ...." الحديث. وفي آخره أن الله تعالى يقول له: "يا ابن آدم! أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب! أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟". فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم ضحكت؟ قال: هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: "من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر »

ج) وفي البخاري(٧٧٣، ٦٢٠٤، ٧٠٠٠) ومسلم(١٨٧) أيضا من حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فذكر الحديث بطوله في رؤية الرب، وذكر الحشر والقضاء بين العباد، وفي آخره ذكر آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وفيه أنه « لا يزال يدعو الله » حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه؛ قال: ادخل الجنة » .

د) وروى: الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، وابن ماجه، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "كتاب السنة"، وأبو بكر الآجري في "كتاب الشريعة"وهو في الصحيحة برقم(٢٨١٠) عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَره". قال: قلت: يا رسول الله! أو يضحك الرب؟! قال: "نعم". قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا » .

هـ) وروى مسلم (١٩١) من حديث أبي الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يسأل عن الورود؛ قال: « نحن يوم القيامة على كذا فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك. فيتجلى لهم يضحك »الحديث.

و) وروى: الإمام أحمد، وابنه عبد الله في "كتاب السنة"، وأبو بكر الآجري في "كتاب الشريعة"؛ وهو في صحيح الجامع(٨٠١٨) عن أبي موسى رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يتجلى لنا ربنا يوم القيامة ضاحكا » .

إلى غير ذلك من الأحاديث في إثبات صفة الضحك لله تعالى، وفيها أبلغ رد على الجهمية ومن نحا نحوهم من أهل البدع.

١٠٦) هذا البيت لابن القيم : أنظر: متن القصيدة النونية ص(٩٩).

انتقل المؤلف رحمه الله إلى جمل أخرى منها أن مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم مما صحت أسانيده وعدلت رواته وجب علينا الإيمان به إذ أن هذا هو مدلول قول الله سبحانه وتعالى:{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}[البقرة٣].

هذا من الإيمان بالغيب الذي امتدح الله سبحانه وتعالى أصحابه :{الم{١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ{٢} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ{٣} والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ{٤} أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٥}[البقرة: ١ـ ٥]

* * * * *

[١٥] ومن ذلك قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[طه٥].

.....

الشرح:

الصفة الثالثة عشر: الإستواء على العرش:

ثم ذكر صاحب المتن صفة أخرى وهي الإستواء لله سبحانه وتعالى وهذه دار حولها نقاش بين أهل السنة والجماعة والمخالفين لهم في القديم وفي الحديث. في هذا الزمان من يجحد هذه الصفة وينفيها عن الله سبحانه وتعالى ويؤولها بتأويلات المعتزلة أو الجهمية.

فيقول الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله : [استواء الله على عرشه من صفاته الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف قال الله تعالى : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[طه٥]. وذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن وقال النبي صلى الله عليه وسلم :{ إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي } رواه البخاري](١٠٧).

هذان دليلان دليل من القرآن مكرر في سبعة مواضع(١٠٨).

ودليل من سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

الإمام الذهبي رحمه الله تعالى له في ذلك كتاب شامل جامع في هذا الباب هو كتاب العلوّ للعليّ الغفار وما ألف هذا الكتاب إلا لشدة الخلاف والنزاع حول هذه الصفة المباركة لله سبحانه وتعالى نقل عن بعض السلف قولهم إنه يحفظ ألف دليل على علوّ الله .

---

١٠٧)الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة: وقد سبق في صفة الغضب.

١٠٨) المواضع السبعة في القرآن التي ذكر فيه الإستواء:

الموضع الأول: في سورة الأعراف آية [٥٤]: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...}.

الموضع الثاني: في سورة يونس آية [٣]:{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...}.

الموضع الثالث: في سورة الرعد آية[٢]: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...}.

الموضع الرابع: في سورة طه آية [٥]: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }.

الموضع الخامس: في سورة الفرقان آية [٥٩]:{ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...}.

الموضع السادس: في سورة السجدة آية[٤]: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...}.

الموضع السابع: في سورة الحديد آية [٤]: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...}.

دليل الفطرة : دليل عظيم في هذا الباب حينما تبحث القلوب عن ربها تتجه إلى العلوّ باحثة عن الرب سبحانه وتعالى للدعاء والإستغاثة على أنه سبحانه وتعالى في كل مكان بعلمه وقدرته وسمعه وإحاطته وعنايته كما قال سبحانه :{ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}[الحديد ٤]. لكن ذات الله سبحانه وتعالى في السماء : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[طه٥]. وقال الله { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }[فاطر ١٠] .وقال سبحانه وتعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى }[الأعلى١] .

وهكذا المعراج إنما كان إلى السماء(١٠٩) وهكذا حينما يدعو العبد يشير بأصبعه إلى السماء وهكذا بيديه أيضاً هذا دليل على علوّ الله سبحانه وتعالى فلله علوّ القدر وعلوّ القهر وعلوّ الذات فهو سبحانه وتعالى خليق وحقيق وجدير بهذه الصفة وهي صفة العلو{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام١٨] .

قال العثيمين: [وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود في سننه {أن بعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاثة وسبعون سنة إلى أن قال في العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله فوق ذلك }.وأخرجه أيضاً الترمذي وابن ماجة (١١٠).

وفيه علة أجاب عنها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تهذيب سنن أبي داود ص(٩٢، ٩٣) ج(٧) وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.وهو استواء حقيقي معناه: العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى.وقد فسره أهل التعطيل بالاستيلاء. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة ونزيد وجهاً رابعاً: أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى.

ووجهاً خامساً: أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكاً لله ثم استولى عليه بعد].

هذا الحديث الذي ذكره فيه بعض الشبه بعض النكارة وكذلك أيضاً ركة في ألفاظه وقد جاءت رواية مفصلة في هذا وهو أنه ذكر الملائكة وشبههم بالتيوس ويعرف هذا الحديث بحديث الأوعال والوعل هو التيس الجبلي البري ليس هذا التيس المعروف وهذا الحديث لا يصح من جهة نكارة معناه ومن جهة إسناده أيضاً فقد تفرد سماك بروايته وهكذا جهالة عبد الله بن عميرة.ـ بارك الله

---

١٠٩) روى حديث الإسراء والمعراج البخاري(٣٠٣٥، ومواضع) ومسلم(١٦٤) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما.

وأنظر: الإسراء والمعراج..الرِّوَايَةُ المتَكَامِلَةُ الصَّحِيْحَةُ الوَحِيْدَةُ للشيخ / محمدُ بنُ رِزْقٍ بنِ طُرْهُونِيْ.

وكتاب الإسراء والمعراج للألباني، وللسيوطي أيضا كتاب بهذا العنوان.

١١٠) ضعيف : وهذا الحديث يعرف بحديث الأوعال: رواه أحمد(١٧٧٠) وأبو داود(٤٧٢٣)والترمذي(٣٣٢٠) وابن ماجة(١٩٣)والحاكم في المستدرك(٣١٣٧) والبزار في مسنده(١٣١٠) وابن قدامة في العلو ص(٥٩) والذهبي في العلو ص(٥٩، ٦٠) والسيوطي في جامع الأحاديث (٢٥٠٢٦) وابن الأثير: في جامع الأصول في أحاديث الرسول(١٩٩٤) والبيهقي في الأسماء والصفات(٨٤٧، ٨٤٩) وعثمان الدارمي في الرد على الجهمية(٧٢) وابن أبي شيبة في العرش(١٠) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

والحديث ضعفه الألباني في: ضعيف الجامع(٦٠٩٣) والضعيفة(١٢٤٧) وشرح الطحاوية ص(٣٠٥) وضعيف أبي داود (١٠١٤) وضعيف ابن ماجة(٣٤) وضعيف الترمذي(٣٥٥٤) وضعف الحديث الأرناؤوط في : تخريج المسند(١٧٧٠) وفي تعليقه على الطحاوية(٣٦٥/٢).

والخلاصة أن الحديث ضعيف وأدلة العلو والإستواء والفوقية في الكتاب والسنة كثيرة وصحيحة غير هذا والله أعلم .

فيكم وقد أشار بعض أهل الحديث إلى ضعفه منهم ابن عدي في الكامل وهكذا أيضاً الشيخ الألباني رحمه الله تعالى وكذلك الأرناؤوط. فالصحيح أن هذا الحديث ضعيف والحديث الضعيف لا يحتج به.

على أن هذه الصفات ثابتة في أدلة صحيحة متكاثرة في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم منها ما هو صريح الدلالة ومنها ما هو مستنبط فهذه الصفة ثابتة لله سبحانه وتعالى فنثبتها كما أثبتها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .وقد فسر أهل التعطيل الإستواء بالإستيلاء فيقولون استوى بمعنى استولى ولهم مغزى عجيب في هذا وهو أنهم يقصدون أنه صار لهذا العرش استيلاء من الله على إله قبله فكانت الغلبة لله فاستولى على ذلك وهذا غير صحيح فالله سبحانه وتعالى كان ولم يكن شيء قبله ودليل هؤلاء بيت من الشعر للأخطل النصراني([111]) حينما قال :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق ([112])

---

١١١) الأَخطَل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب.
شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل.نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، تياهاً، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حيناً في دمشق وحيناً في الجزيرة. [١٩ - ٩٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨ م]
أنظر: تراجم شعراء الموسوعة الشعرية وسير الأعلام(٥٨٩/٤ ترجمة: ٢٢٥) وطبقات ابن سلام(١ / ٤٥١) والشعر والشعراء (٣٩٣)والأغاني(٧ / ١٦٩) وتاريخ ابن عساكر(١٤ / ٧٣) وتاريخ الإسلام(٦ / ٢٨٥) وتأريخ دمشق(١٠٤/٤٨) ومعجم المؤلفين(٤٢/٨) وغيرها.

١١٢) البيت في: شذرات الذهب(٧٩/١) والبداية والنهاية(١٠/٩) قال ابن كثير: وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعني الاستيلاء، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه، تعالى الله عن قول الجهمية علوا كبيرا.فإنه إنما يقال استوى على الشئ إذ كان ذلك الشئ عاصيا عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء بشر على العراق، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه، وعرش الرب لم يكن ممتنعا عليه نفسا واحدا، حتى يقال استوى عليه، أو معنى الاستواء الاستيلاء،ولا تجد أضعف من حجج الجهمية، حتى أداهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله أعلم. البداية والنهاية(٢٩٠/٩).
فائدة : قال شيخ الإسلام ابن تيمية في : مجموع الفتاوى(١٤٦/٥): أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ أَنْ لَفْظَ اسْتَوَى فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى اسْتَوْلَى ؛ إذْ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ عُمْدَتُهُمْ الْبَيْتُ الْمَشْهُورُ : ثُمَّ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ * * * مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ
وَلَمْ يَثْبُتْ نَقْلٌ صَحِيحٌ أَنَّهُ شِعْرٌ عَرَبِيٌّ وَكَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ أَنْكَرُوهُ وَقَالُوا : إنَّهُ بَيْتٌ مَصْنُوعٌ لَا يُعْرَفُ فِي اللُّغَةِ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ احْتَجَّ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَاحْتَاجَ إلَى صِحَّتِهِ فَكَيْفَ بِبَيْتٍ مِنْ الشِّعْرِ لَا يُعْرَفُ إسْنَادُهُ وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ أَئِمَّةُ اللُّغَةِ وَذَكَرَ عَنْ الْخَلِيلِ كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو الْمُظَفَّرِ فِي كِتَابِهِ الْإِفْصَاحِ قَالَ : سُئِلَ الْخَلِيلُ هَلْ وَجَدْت فِي اللُّغَةِ اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى ؟ فَقَالَ : هَذَا مَا لَا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ ؛ وَلَا هُوَ جَائِزٌ فِي لُغَتِهَا وَهُوَ إمَامٌ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَا عُرِفَ مِنْ حَالِهِ فَحِينَئِذٍ حَمْلُهُ عَلَى مَا لَا يُعْرَفُ حَمْلٌ بَاطِلٌ .
وقال صاحب كتاب " استواء الله على العرش"ص(١٥) : وقد أنكر العلماء نسبة هذا البيت إلى الأخطل ، وقال بعضهم إنه هكذا :

بشر قد استولى على العراق * من غير سيف ودم مهراق

ولو ثبت عنه كما نقلوه لما كان مقبولا، فإن الأخطل نصراني سيء المعتقد، وهو القائل - يستهزئ بشعائر الإسلام :

ولست بقائم كالعير يدعو قُبيل الصبح حي على الفلاح
ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بسائق عيسا بكورا إلى بطحاء مكة للنجاح

ويقولون: معنى استوى أي استولى .
ورحمة الله على ابن القيم إذ يقول :

قبحاً لمن ترك الدليل وراءه وإذا استدل يقول قال الأخطل ([113])

لا يستدل لهذه الصفة ببيت من الشعر ثم أين تذهب بالآيات والأحاديث واستنباط السلف ومؤلفات السلف وإجماع السلف وتستدل ببيت للأخطل النصراني وقد فسره أهل التعطيل بالإستيلاء ونردّ عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وهو أن نقول : كلامكم هذا خلاف ظاهر النصوص وخلاف ما عليه السلف الصالح وليس عليه دليل ونزيد وجهاً رابعاً وهو أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى ووجهاً خامساً يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكاً لله ثم استولى عليه من بعد قال العثيمين [والعرش لغة: السرير الخاص بالملك ، وفي الشرع: العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله وهو أعلى المخلوقات وأكبرها وصفه الله بأنه عظيم([114]) وبأنه كريم([115]) كريم([115]) وبأنه مجيد].

كما قال سبحانه : {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ {١٤}ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ }[البروج١٤ ـ ١٥].

والعرش أكبر من الكرسي جاء في بعض: (أن الكرسي موضع القدمين)([116]).

والكرسي كما قال الله سبحانه وتعالى عنه : {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ }[البقرة٢٥٥].

يعني أن هذا الكرسي لضخامته وطوله وعرضه وسع السماوات والأرض وما فيها من الإنبساط والإتساع.

ولكني سأشربها شمولا وأسجد عند منبلج الصباح

ولو كان الأخطل مسلما لما قُبل منه هذا البيت أيضا فإنه من المولّدين الذين تأثرت عربيتهم بالعجمة ، فلا يحتج بقوله على تفسير الكلام الرباني ناهيك عن هذا الأمر الخطير الذي هو صفة من صفات الله العلية . ولقد شنّع على هذا المعتقد مع هذا الاحتجاج عدد من أهل العلم نظما ونثرا .

١١٣) هذا البيت لابن تيمية وهو في لاميته ضمن أبيات يقول فيها :

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي رزق الهدى من للهداية يسأل اسمع كلام محقق في قوله لا ينثني عنه ولا يتبدل
حب الصحابة كلهم لي مذهب ومودة القربى بها أتوسل ولكلهم قدر وفضل ساطع لكنما الصديق منهم أفضل
وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو القديم المنزل وجميع آيات الصفات أمرُّها حقاً كما نقل الطراز الأول
وأرد عهدتها إلى نقّالها وأصونها من كل ما يُتخيل قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه وإذا استدل يقول قال الأخطل.

أنظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص(٧٤). واللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية ص (٦٠).

١١٤) كما في: سورة التوبة آية[١٢٩]:{ الْعَظِيمِ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ } والمؤمنون آية[٨٦]: {وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } والنمل آية[٢٦]:{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }.

١١٥) كما في: سورة المؤمنون آية[١١٦]:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ }.

١١٦) صحيح موقوف: أخرجه الحاكم في المستدرك(٣١١٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. وعبد الله بن الإمام أحمد في : السنة(٥٨٦، ١٠٢٠، ١٠٢١) والطبراني في : الكبير(١٢٤٠٤) وقال الهيثمي في المجمع (٤٢/٧ رقم ١٠٨٧٨) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وابن خزيمة في التوحيد (٢٤٨/١، ٢٤٩) و أبو إسماعيل الهروي في الأربعين في دلائل التوحيد ص(٥٧) وابن منده في : الرد على الجهمية ص(٢١) وابن أبي شيبة في : كتاب العرش(٦١) وأبو الشيخ في العظمة(٢٧، ٢٨) والذهبي في العلو(١٦٣) والدارمي في "رده على بشر المريسي" (٤٠٠/١، ٤١٢، ٤٢٣)، والدارقطني في "الصفات" (ص٤٩) والبيهقي في الأسماء والصفات(٢٩٧/٢) وصححه الألباني في : تخريج شرح الطحاوية ص(٣١١) وفي مختصره للعلو ص(٧٥)

وقد جاء هذا الأثر عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في: السنة(٥٨٨، ١٠٢٢) وابن أبي شيبة في : العرش(٦٠) وأبو الشيخ في : العظمة(٥٦) والذهبي في : العلو(٢٧٣) وصححه الألباني في: مختصره للعلو(٧٥) والحديث جاء مرفوعا ولا يصح كما قال الألباني في : السلسلة الضعيفة حديث(٩٠٦)

والعرش أعظم من الكرسي والرحمن على العرش استوى فهو الكبير المتعال{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }[الأنعام١٨]. فهو أعظم من الكرسي ومن العرش.

جاء في بعض الروايات عن بعض الصحابة : [ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض "](١١٧).

فهذه ـ بارك الله فيكم ـ الصفة ثابتة عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحمد الله سبحانه وتعالى على الطمأنينة الحاصلة في قلوبنا لما عليه مذهب السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم جميعاً وقبحاً وبعداً لمن ترك هذا المعتقد لقول الأخطل أو لخزعبلات الجهمية أو المعتزلة ومن شابههم في هذا الباب

* * * * *

* وقوله تعالى : {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءُ}[الملك١٦].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : { ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك }(١١٨).

---

١١٧) صحيح : أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٥٧٩٤) وأبو الشيخ في العظمة(٣١، ٦٣) والسيوطي في : الدر المنثور (٤/ ٣٣٦) وابن كثير: في تفسيره(٦٨٠/١) والبيهقي في " الأسماء والصفات " (٥١٠) وابن حبان في صحيحه (٧٦/٢) رقم ٣٦١] . وأبو نعيم في الحلية (١٦٦/١)، وابن بطة في : الإبانة(١٣٦) والذهبي في :العلو(١١٥) وابن أبي شيبة في: العرش(٥٨) وكأن الحافظ ابن حجر مال إلى تقويته فإنه قال بعد ذكر تصحيح ابن حبان له : (وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في (التفسير) بسند صحيح عنه) أ.هـ .[فتح الباري (٤١١/١٣).

وصححه الألباني بمجموع طرقه: أنظر: تخريج شرح الطحاوية ص(٣١٢) والصحيحة(١٠٩) ومختصره للعلو ص(٧٥) عن أبي ذر مرفوعا.

وقال الألباني في : الصحيحة(١٠٨/١/ ح ١٠٩) ولا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث. وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئا معنويا

وأثر مجاهد أخرجه : عبد الله بن الإمام أحمد في : السنة(٤٥٦، ٥٩١) وأبو الشيخ في: العظمة(٥٩) وسعيد بن منصور في : التفسير(٤٠٣) وابن أبي شيبة في: العرش(٤٥)

١١٨) ضعيف: رواه أبو داود(٣٨٩٢) والنسائي في الكبرى(١٠٨٧٦) وفي عمل اليوم والليلة(١٠٣٧) والحاكم في: المستدرك (١٢٧٢، ٧٥١٢) والطبراني في : الأوسط(٨٦٣٦) والبيهقي في: الأسماء والصفات(٨٩٢) والدارمي في: الرد على الجهمية (٧٠) وابن قدامة في: العلو ص(٤٨)والذهبي في العلو(٥٢، ٣٠٥) من طريق زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه

وزيادة بن محمد الأنصاري ضعيف. قال البخاري في التأريخ(٤٤٦/٣ رقم١٤٩٠) منكر الحديث .

وقال ابن حبان في : المجروحين(٣٠٨/١ رقم ٣٦٨):زيادة بن محمد شيخ يروي عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد روى عنه الليث بن سعد منكر الحديث جدا يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك قال بن عدي زياد بن محمد الأنصاري أظنه مدني وقال البخاري منكر الحديث وقال بن عدي ما أعرف له إلا مقدار حديثين أو ثلاثة روى عنه الليث وابن لهيعة ومقدار ماله لا يتابع عليه قال وهو في جملة الضعفاء ويكتب حديثه على ضعفه وقد حدث عنه شعبة والثوري .

وقد روى الحديث أيضا أحمد(٢٤٠٠٣) وانظر:موسوعة أطراف الحديث(١٥٩١١١) وهو ضعيف أيضا لضعف أبي بكر بن أبي مريم .قال في الجرح والتعديل(٤٠٤/٢) قال عيسى بن يونس لو أردت أبا بكر بن أبى مريم أن يجمع لى فلان وفلان لفعل ـ يعنى يقول عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحبيب بن عبيد لفعل.

وقال أحمد: ضعيف كان عيسى لا يرضاه. وسئل يحيى بن معين عنه فضعفه.

وقال عبد الرحمن سمعت أبى يقول: أبو بكر بن أبى مريم ضعيف الحديث طرقته لصوص فأخذوا متاعه فاختلط.

وسئل أبو زرعة عن أبى بكر بن أبى مريم فقال: ضعيف الحديث منكر الحديث.

وقال للجارية:{ أين الله ؟ قالت: في السماء قال: اعتقها فإنها مؤمنة } رواه مالك بن أنس ومسلم([١١٩]) وغيرهما من الأئمة

[١٦] وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين : { كم إلهاً تعبد ؟ } قال : سبعة: ستة في الأرض وواحد في السماء. قال :{ من لرغبتك ورهبتك ؟} قال : الذي في السماء. قال:{ فاترك الستة واعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين فأسلم } وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول : { اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي}([١٢٠]).

[١٧] وفيما نقل من علامات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الكتب المتقدمة { أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء }([١٢١]).

[١٨] وروى أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا...} وذكر الخبر إلى قوله :{ وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك }([١٢٢]).

[١٩] فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله ولم يتعرضوا لردّه ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله.

الشرح:

الصفة الرابعة العاشرة: صفة العلوّ: كان درسنا بالأمس عن الإستواء

قال العثيمين : [العلوّ من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف قال سبحانه : {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }[البقرة٢٥٥] و[الشورى ٤] .

والحديث ضعفه الألباني في: ضعيف أبي داود(٨٣٩) وضعيف الترغيب(٢٠١٣) والمشكاة(١٥٥٥) وضعيف الجامع(٥٤٢٢) فالحديث ضعيف . وليس هو الدليل الوحيد على هذه المسألة حتى لا يأتي قائل ويقول : إنكم تحتجون لمذاهبكم بالأحاديث الضعيفة فغيره من الأحاديث الصحيحة في إثبات هذه الصفة كثير.

١١٩) رواه مسلم(٥٣٧) وأحمد(٢٣٨١٣) وأبو داود(٩٣٠) والنسائي(١٢١٨) وابن حبان(١٦٥) وأبو داود الطيالسي(١١٠٥) وغيرهم من الأئمة.عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه. في ورواه مالك الموطأ(١٤٦٨) عن عمر بن الحكم وهذا وهم عند جميع أهل العلم بالحديث وليس في الصحابة رجل يقال له عمر بن الحكم وإنما هو معاوية ابن الحكم كذلك قال فيه كل من روى هذا الحديث عن هلال وغيره.

وقال الطحاوي سمعت المزني يقول قال الشافعي مالك بن أنس يسمي هذا الرجل عمر بن الحكم وإنما هو معاوية بن الحكم قال الطحاوي وهو كما قال الشافعي. أنظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(٢٢/٧٥ـ ٧٨)

١٢٠) ضعيف: أخرجه الترمذي(٣٤٨٣) والطبراني في الكبير(٣٩٦) والأوسط(١٩٨٥) وفي الدعاء(١٣٩٣) والبزار في المسند (٣٥٨٠) وابن قدامة في العلو ص(٤٩) والذهبي في العلو(٤٣، ٤٤، ٤٥) والبخاري في خلق أفعال العباد(٩٢) واللالكائي في: اعتقاد أهل السنة(١١٨٤) وابن خزيمة في التوحيد(١/٢٧٨) والبيهقي في الأسماء والصفات(٨٩٤) وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة(٦٤) وأبو البركات خير الدين، الآلوسي في : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص(٤٠٠) وغيرهم.

والحديث ضعفه الألباني في: ضعيف الجامع(٤٠٩٨) والمشكاة(٢٤٧٦) وتحقيق رياض الصالحين(١٤٩٥)

١٢١) أخرجه ابن قدامة في العلو ص(٥١، ٥٢، ٩٨) بالسند إلى عدي بن عميرة بن فروة المعبدي والذهبي في العلو(٤٨، ٦٠) وقال: [هذا حديث غريب] وابن القيم في اجتماع الجيوش ص(٦٦) وحاشية ابن القيم على سنن أبي داود(١٣/٣١) وانظر: روضة المحدثين(٤٤١٥) والإصابة(٥٤٩١)

١٢٢) ضعيف: وقد سبق في صفة الاستواء وهو حديث الأوعال.

وسيأتي ما المراد بذلك فهو سبحانه له العلوّ المطلق في ذاته وله العلو أيضاً في قدره فيقولون : علو ذات وعلو قدر وعلو قهر فهو سبحانه وتعالى له العلو المطلق .

قال العثيمين: [وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته في السجود :{ سبحان ربي الأعلى} رواه مسلم([123]) من حديث حذيفة

وأجمع السلف على ثبوت العلو لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو علو حقيقي يليق بالله .

وينقسم إلى قسمين :

١ـ علو صفة: بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه...].

كما قال سبحانه وتعالى : { وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[الأعراف١٨٠]. وهكذا كل صفة اتصف الله سبحانه وتعالى بها فهي صفة علو بالنسبة للمخلوق .

٢ـ [وعلو ذات: بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ودليله مع ما سبق قوله سبحانه : {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءُ}[الملك١٦]]. ومعنى من في السماء أي الذي في السماء.

[وقول النبي صلى الله عليه وسلم : { ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك } الحديث رواه أبو داود وفيه زيادة ابن محمد قال البخاري : منكر الحديث]([124]).

وإذا قال البخاري في رجل منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه هذا الحديث ضعيف وإن كان ضعيفاً فغيره من الأدلة قوية في هذا الباب.

[وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية : { أين الله ؟ قالت : في السماء قال : اعتقها فإنها مؤمنة } رواه مسلم في قصة معاوية بن الحكم السلمي]([125]). قصة معروفة في صحيح الإمام مسلم.

قال : [وقوله صلى الله عليه وسلم لحصين بن عبيد الخزاعي والد عمران بن حصين : { اترك الستة واعبد الذي في السماء } هذا هو اللفظ الذي ذكره المؤلف وذكره في الإصابة من رواية ابن خزيمة في قصة إسلامه بلفظ غير هذا وفيه إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لحصين حين قال :{ ستة في الأرض وواحد في السماء}([126]) . وهذا ـ بارك الله فيكم ـ ضعيف.

ولكن الإمام الذهبي([127]) رحمه الله يحكم على الحديث هذا بالضعف لضعف عمران بن خالد بن طليق فهو ضعيف ([128]) في الحديث.

فليس هذا الحديث صحيحاً لكن مر بنا بالأمس أن قلت لكم : ألف الإمام الذهبي كتاباً في هذا الباب سمى العلو للعلي الغفار.

ونُقل عن بعض السلف قولهم : أنه يحفظ ألف دليل على علو الله سبحانه وتعالى([129]).

---

١٢٣) رواه مسلم(٧٧٢) وأحمد(٢٣٢٨٨) وأبو داود(٨٧١) والترمذي(٢٦٢) والنسائي(١٠٠٨) وابن ماجة(٨٨٨) وغيرهم. وعند بعضهم زيادة عن بعض في سياق الحديث.

١٢٤) الحديث ضعيف : وقد سبق في صفة العلو عند كلام صاحب المتن ابن قدامة.

١٢٥) صحيح رواه مسلم: وقد سبق في صفة العلو عند كلام صاحب المتن ابن قدامة.

١٢٦) الحديث ضعيف : وقد سبق في صفة العلو عند كلام صاحب المتن ابن قدامة.

١٢٧) الذهبي: سبقت ترجمته.

١٢٨) أنظر: العلو للذهبي(٤٣).

١٢٩) أنظر: الجواب الصحيح(٣١٨/٤) والصواعق المرسلة(١٢٢٢/٤) وإعلام الموقعين(٣٠٣/٢) وغيرها من كتب العقيدة.

فائدة: خرج الفخر الرازي يوماً من الأيام إلى السوق ومعه أكثر من ثلاثمائة تلميذ خلفه، فوقفت عجوز في بابها تتفكر، فقالت لأحد المارة: من هذا الملك -وكان تلميذاً من تلامذته-؟ فقال لها: ليس هذا ملكاً، هذا فخر الدين الرازي يقيم على وجود الله ألف دليل. عند ذلك ضحكت العجوز وقالت: واعجباً! والله لو لم يكن عنده ألف شك ما احتاج إلى أن يتعرف إلى ألف دليل، وهل وجود الله يحتاج إلى أدلة.

فائدة: قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى(٢٢٦/٥): قد وصف الله نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقية فى كتابه فى آيات كثيرة حتى قال بعض كبار أصحاب الشافعى فى القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله عال على الخلق وأنه فوق عباده. وقال في اجتماع الجيوش ص(٢١٣): ولو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألف دليل.

وقال في شفاء العليل(١٥٥): ولنا على صحة هذه المسألة أكثر من ألف دليل من القرآن والسنة والعقول.

وهذا يعني أنَّ أمر العلو ومسألة العلو والفوقية من المسائل المتواترة العظيمة التي دلالتها صريحة؛ بل دلالتها نصية فدلالتها إذاً قطعية. ولذا صَرَّحَ عدد من أهل العلم بتكفير من أنكر علو الله - عز وجل - على خلقه لأجل عِظَمْ الأدلة في هذا.

والأدلة التي دَلَّتْ على علو الله - عز وجل - على خلقه وعلى أنه سبحانه فوقهم بذاته وصفاته كثيرة جداً. لهذا جعلها ابن القيم أنواعا لأجل كثرتها، فجعلها ثمانية عشرة نوعا وكل نوع تحته جملة من الأدلة في الكتاب والسنة وهي كما يلي:

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونة بأداة من المعينة لفوقية الذات نحو [يخافون ربهم من فوقهم][النحل ٥٠].

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة كقوله [وهو القاهر فوق عباده][ال،عام ١٨ ، ٦١].

الثالث: لتصريح بالعروج إليه نحو [تعرج الملائكة والروح إليه][المعارج ٤].

الرابع: لتصريح بالصعود إليه كقوله [إليه يصعد الكلم الطيب][فاطر ١٠]

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله [بل رفعه الله إليه][النساء ١٥٨].

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرا وشرفا كقوله [وهو العلي العظيم][البقره ٢٥٥].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله [تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم][الزمر ١].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض كقوله [إن الذين عند ربك].

[الأعراف٢٠٦] وقوله [وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون][الأنبياء١٩].

ففرق بين من له عموما ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصا

التاسع: التصريح بأنه سبحانه في السماء وهذا عند أهل السنة على أحد وجهين إما أن تكون في بمعنى على وإما أن يراد بالسماء العلو لا يختلفون في ذلك ولا يجوز حمل النص على غيره. كقوله [ءأمنتم من في السماء][الملك ١٦]

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونا بأداة على . كقوله [الرحمن على العرش استوى][طه ٥]

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله سبحانه كقوله صلى الله عليه وسلم - إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا] [صحيح: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن سلمان وهو في: صحيح الجامع(١٧٥٧)].

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى أسفل..

الثالث عشر: الإشارة إليه حسا إلى العلو كما أشار إليه من هو أعلم به ..فكان يرفع أصبعه إلى السماء ويقول[اللهم اشهد]متفق عليه

الرابع عشر: التصريح بلفظ الأين . يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم للجارية[أين الله ؟ قالت في السماء]. أي في العلو

الخامس عشر: شهادته التي هي أصدق شهادة لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان. يعني قوله في الجارية: [اعتقها فإنها مؤمنة] السادس عشر: إخباره سبحانه عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فيكذبه. كما في [غافر ٣٦، ٣٧]

السابع عشر: إخباره صلى الله عليه وسلم - أنه تردد بين موسى وبين الله ويقول له موسى ارجع إلى ربك فسله التخفيف فيرجع إليه ثم ينزل إلى موسى فيأمره بالرجوع إليه سبحانه فيصعد إليه سبحانه ثم ينزل من عنده إلى موسى [كان ذلك في قصة الإسراء والمعراج وهي في الصحيحين]

الثامن عشر: إخباره تعالى عن نفسه وإخبار رسوله عنه أن المؤمنين يرونه عيانا جهرة كرؤية الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما في حديث جابر الذي في المسند وغيره[بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار قد أشرف عليهم من فوقهم][ضعيف الجامع٢٣٦٣]

فهذه أنواع من الأدلة السمعية المحكمة إذا بسطت أفرادها كانت ألف دليل على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه

ومن لم يقرأ في هذا الباب ظن أن الأمر سهل فيما يتعلق بهذه القضية وما حصل فيها من الخلاف المحتدم الكثير في ذلك الزمان.

أما في أيامنا هذه فكانت الفتن العصرية غيرها غير تلك لأنه لكل عصر فتنة فكانت في بعض العصور فتن المذهبية يعني من قال هو مالكي أو حنبلي أو شافعي أو أوزاعي أو ثوري.

وبعض الأزمنة كانت فتنة القدرية المعتزلة الجهمية الرافضة ما بين الرافضة وأهل السنة ما بين الشيعة وأهل السنة ما بين أهل السنة والقدرية ما بين أهل الحديث وأهل الرأي والحنابلة فتن كذلك مسألة خلق القرآن مسألة الإرجاء والعمل يعني لكل عصر فتنة.

فنحن فتنتنا في هذا العصر حقيقة أقول إنها قد غطت كل بلاء حاصل يعني في العهد القديم ما كان من السهل أن يفتي مفتي بأن لمس المرأة الحائض للمصحف جائز هذا لا يمكن أن يقوله عالم وإن كان يعتقده على أن هذا مذهب الظاهرية يقولون يجوز للمرأة الحائض أن تمس المصحف مثلاً وهناك أدلة لبعض العلماء على عدم الجواز ويستدلون بأثر سلمان حينما قال له بعض طلابه :[يا أبا عبد الله توضأ لعلنا نسألك عن آي من القرآن فقال : فإني لا أمسه فإنه لا يمسه إلا المطهرون]([١٣٠]).هذا دليل وما نقل من الإجماع نقله إسحاق بن راهوية أنه قال : أجمع الصحابة على عدم جواز مس الحائض للمصحف. وبعضهم، وبعضهم يستدل كالمالكية بقوله سبحانه:{لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ }[الواقعة٧٩] هذه مسألة خلافية بين أهل العلم ما كان يستطيع أن يقول شخص في زمنه أن يقول إنه يجوز للمرأة أن تمس المصحف حال حيضتها وإنما يفتي بما هو سائد وإن كانت المسألة خلافية ،.الظاهرية يقولون بالجواز([١٣١]) ، وغيرهم يقولون : بعدم الجواز([١٣٢])

على أن الصحيح في هذه المسألة لا يجوز من باب قوله تعالى:{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ }[الحج٣٢]. ومن أخذ بالرأي الآخر غير مبال وإنما رأى أن المسألة اجتهادية لكن ما كان بهذا المستوى الذي نحن نتصوره أنه يجوز أن تقول كذا فمن أخذ بكذا أخذ بكذا الأمر في ذلك سهل ، لا فهو مرغوم أن يأخذ بقول المفتي في ذلك الزمان وأن لا يخالف إذا خالف ربما هجر ربما بدع ربما قتل ربما سجن يعني بلاء بسبب فتوى في باب الحيض في باب الطهارة في باب النجاسات في أحكام المياه نحن في هذا الزمان ما كانت فتننا من هذا الباب هذا الباب قل ما تشاء ودع ما تشاء ، الأمر في ذلك سهل جداً هذه والله يا إخوان نعمة يجب علينا أن نستشعر قدرها التي لطالب العلم أن يقول في دين الله ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى مدللاً بآية أو حديث أو بإجماع أو بقول السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لكن فتننا من وجه آخر الحزبية الإنتخابات التكفير التبديع التفسيق التخريب التفجير سفك الدماء سيطرة دول النصارى على دول

أنظر: إعلام الموقعين(٢/٣٠٠ـ ٣٠٣) بتصرف.

١٣٠) صحيح موقوف على سلمان: أخرجه الحاكم في المستدرك(٣٧٨٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي والدارقطني(٩، ١٠) والبيهقي(٤٢٦) وابن أبي شيبة في مصنفه(١١٠٠) وعبد الرزاق في مصنفه(١٣٢٥) والطحاوي في أحكام القرآن(١٤٢) وغيرهم عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان رضي الله عنه.

١٣١) أنظر: المحلى لابن حزم(١/٧٨/مسالة ١١٦).

١٣٢) أنظر: المبسوط للسرخسي(٣/ ٢٧٧) والفتاوى الهندية في مذهب أبي حنيفة(١/٣٨، ٣٩) والمحيط البرهاني(١/٢٨٧) والفواكه الدواني (١/٣٥٤) الحاوي الكبير (١/٧٦٢، ٧٦٣) والمجموع شرح المهذب(٢/٣٥٨) والتهذيب المقنع في إختصار الشرح الممتع(١/٧٦) والعدة شرح العمد(١/٤٥) وغيرها من كتب الفقه.

الإسلام فتن الشهوات على أرقى وأرفع المستويات فأعداء الإسلام غزو المسلمين من هذا الباب فنحن لا زلنا في فتنة وكما يقال : ديمة وإن اختلف بابها هي ديمة واحدة([١٣٣]) وهذا مصداق قوله سبحانه وتعالى :{ الم{١} أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ{٢} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ{٣}[العنكبوت١-٣]

قال العثيمين: [وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء وفسروا معناها أن في السماء ملكه وسلطانه ونحوه ونردّ عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وبوجه رابع أن ملك الله وسلطانه في السماء وفي الأرض أيضاً.

وبوجه خامس : وهي دلالة العقل عليه لأنه صفة كمال.

وبوجه سادس وهو دلالة الفطرة عليه لأن الخلق مفطورون على أن الله في السماء .

معنى كون الله في السماء:

المعنى الصحيح لكون الله في السماء أن الله تعالى على السماء ففي بمعنى على وليس للظرفية لأن السماء لا تحيط بالله أو إنه في العلوّ فالسماء بمعنى العلوّ وليس المراد بها السماء المبنية].

ليست هذه السماء الأجرام هذه والطباق ظرف حاجز عن الله سبحانه وتعالى وإنما الآية : {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءُ}[الملك١٦]. بمعنى على السماء.

وقال الله تعالى : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[طه٥]. أي علا وارتفع .

قال:[تنبيه : ذكر المؤلف رحمه الله أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء وهذا النقل غير صحيح لأنه لا سند له ولأن الإيمان بعلوّ الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة ولأن التعبير بالزعم في هذا الأمر ليس بمدح لأن أكثر ما يأتي الزعم فيما يشك فيه].

* * * * *

[٢٠] سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل: يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه٥] كيف استوى ؟ فقال : الإستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأخرج([١٣٤]) .

---

١٣٣) الديمة ـ هنا بالفتح ـ لغة دارجة بمعنى الغرفة.

والديمة بالكسر مطر يَدومُ في سُكونٍ بلا رَعْدٍ وبَرْقٍ أو يَدومُ خَمْسَةَ أيامٍ أو سِتَّةً أو سبْعَةً أو يَوْماً ولَيْلَةً وأقَلُّهُ ثُلُثُ النهارِ أو اللَّيلِ وأكْثَرُهُ ما بَلَغَتْ من العدة جمعه : دِيَمٌ ودُيومٌ.

أنظر: لسان العرب(٢١٩/١٢) ومختار الصحاح ص(٢١٨) والقاموس المحيط ص(١٤٣٢).

١٣٤) الأثر صحيح : أخرجه القرطبي في تفسيره(١٩٥/٧) والزركشي في البرهان(٧٨/٢)والزرقاني في مناهل العرفان(٢٠٧/٢) والذهبي في العلو(ص١٤٢، ١٤١) وهو في الملل والنحل(٩١/١) وشرح الطحاوية لابن أبي العز(١٢٤/١) وتخريج الطحاوية للألباني(ص٥٥) و سير الأعلام (١٠٠/٨ـ ١٠١/ عند ترجمة (١٠) وقد جاء الأثر من طرق يقوي بعضها بعض ، وجوّد سنده ابن حجر في الفتح حيث قال: وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك ... فذكره.

الشرح:

قال المحقق : أثر صحيح أخرجه ابن قدامة في العلو والذهبي في العلوّ وأبو نعيم في الحلية وعثمان بن سعيد الدارمي في الردّ على الجهمية ... وصححه الذهبي في العلوّ وكذا قواه الألباني في مختصره للعلوّ. وقال الحافظ في الفتح : وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب به ... فذكره([١٣٥]).

قال العثيمين : [جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك وليس أبوه أنس بن مالك ، الصحابي بل غيره وكان جدّ مالك من كبار التابعين وأبو جده من الصحابة ولد مالك سنة ثلاثة وتسعين هجرية بالمدينة ومات فيها سنة هـ١٧٩وهو في عصر تابعي التابعين. سئل مالك فقيل : يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[طه٥] كيف استوى ؟ فقال رحمه الله : الإستواء غير مجهول أي معلوم المعنى وهو العلوّ والإستقرار والكيف غير معقول أي كيفية الإستواء غير مدركة بالعقل لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته والإيمان به أي الإستواء واجب لوروده في الكتاب والسنة والسؤال عنه أي عن الكيف بدعة لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفاً من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيراً له بمنعه من مجالس العلم] .

وجاء أيضاً مثل هذا عن ربيعة بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك المعروف بربيعة الرأي وهو من العلماء الكبار .

* * * * *

فصل كلام الله تعالى:

[٢١] ومن صفات الله تعال أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة وسمعه جبريل ومن أذن له من الملائكة من ملائكته ورسله

الشرح:

حتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج تكلم الله عز وجل إليه كفاحاً .

فائدة: قال ابن تيمية في درء التعارض(٢٣٦/٣) : وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس صاحب ربيعة من وجوه متعددة يقول في بعضها : الاستواء معلوم وفي بعضها : غير مجهول وفي بعضها : استواؤه غير مجهول فيثبت العلم بالاستواء وينفي العلم بالكيفية. وجاء هذا الأثر عن أم سلمة مرفوعا ولا يصح وموقوفا صحيح أخرجه الزركشي في البرهان(٧٨/٢) والكرمي في أقاويل الثقات ص(٦١) وابن قدامة في ذم التأويل ص(٢٥/ رقم(٤١)وصححه موقوفا على مالك وأم سلمة الألباني في: شرح الطحاوية ص(٣١٣). وثبت هذا الجواب أيضا عن ربيعة شيخ مالك كما في ذم التأويل (ص٢٥/ رقم٤٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٥٢٧/٣/ رقم٩٢٩) ومختصر العلو للألباني(ص٤٨).

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى(٣٦٥/٥) بعد ذكر قول مالك قال: ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك.

١٣٥)أنظر: تحقيق اللمعة لأشرف ص(٦٩) حاشية(٣٤).

وهكذا من أذن له من ملائكته ورسله وأوليائه أو من عباده ليدخل في ذلك أبو جابر عبد الله بن حرام الأنصاري قال جابر : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي:{ يا جابر ما لي أراك منكسرا ؟} قلت يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وترك عيالا ودينا قال {أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟} قال قلت بلى يا رسول الله.قال:{ ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحاً فقال يا عبدي تمن علي أعطك} قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب عز وجل إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال وأنزلت هذه الآية: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ{١٦٩} فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ{١٧٠} يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ {١٧١} [آل عمران ١٦٩- ١٧١](١٣٦).

فكلمه الله سبحانه وتعالى كفاحاً مزية له ودليل إخلاص وإقبال

* * * * *

[٢٢] وإنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ويأذن لهم فيزورونه.

قال تعالى: { وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً }[النساء١٦٤] .

وقال سبحانه : { يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي }[الأعراف١٤٤].

وقال سبحانه : { مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ }[البقرة ٢٥٣].

وقال سبحانه : {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ }[الشورى٥١].

وقال سبحانه : {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى {١١}إِنِّي أَنَا رَبُّكَ }[طه ١١- ١٢].

وقال سبحانه : {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي }[طه١٤].

وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .

.....

الشرح:

ولا يصلح هذا الكلام أن يكون من البشر لأن الجهمية يقولون الشجرة هي التي تكلمت غير صحيح تصلح تقول الشجرة : إني أنا ربك ؟

* * * * *

[٢٣] وقال ابن مسعود رضي الله عنه : [إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء] روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم(١٣٧).

---

١٣٦) صحيح : رواه الترمذي(٣٠١٠) وابن ماجة(١٩٠، ٢٨٠٠) وابن حبان(٧٠٢٢) والحاكم(٤٩١٤) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٧٩٠٥).

١٣٧) صحيح موقوف ومرفوع : رواه البخاري معلقا في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى [ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له] (٦/ ٢٧١٩)عن ابن مسعود موقوفا.ووصل البخاري في: خلق أفعال العباد(٣٤١) ووصله مرفوعا أبو داود (٤٧٣٨)

[٢٤] وروى عبد الله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:{ يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب :{ أنا الملك أنا الديان } رواه الأئمة واستشهد به البخاري([١٣٨]).

[٢٥] وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه يا موسى فأجاب سريعاً استئناساً بالصوت فقال : لبيك لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال : أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى قال : كذلك أنت يا إلهي فكلامك أسمع أم كلام رسولك قال : بل كلامي يا موسى }([١٣٩]) .

واللالكائي في: اعتقاد أهل السنة(٥٤٨) والبيهقي في الأسماء والصفات(٤٣٢، ٤٣٤, ٤٣٣) وابن خزيمة في التوحيد(٢٠٧) وابن حجر في تغليق التعليق(٣٥٣/٥) وابن حبان في صحيحه(٣٧) وغيرهم

قال الشيخ الألباني في: السلسلة الصحيحة(١٢٩٣): وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. ثم قال: و الموقوف و إن كان أصح من المرفوع ، و لذلك علقه البخاري في " صحيحه " فإنه لا يعل المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي كما هو ظاهر ، لاسيما و له شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعا نحوه . أخرجه البخاري ...] .

أنظر: الصحيحة[٣٦٧/٣]. وللحديث شواهد أخرى صحيحة في كتب السنة. وانظر لطرق الحديث : فتح الباري (١٣/ ٤٥٦).

وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان(٢٢٣/١) : إسناده صحيح .

١٣٨) صحيح: رواه البخاري في موضعين من صحيحه.

الموضع الأول : في كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم:(٤١/١) بصيغة الجزم حيث قال: « ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنيس في حديث واحد » .

الموضع الثاني : في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى [ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له] (٦ / ٢٧١٩) بصيغة التمريض حيث قال: « ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أُنيس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله العباد... » .

هكذا رواه البخاري في صحيحه تعليقًا بصيغة المبني للمجهول ... ».

والحديث وصله البخاري في: الأدب المفرد(٩٧٠) وفي خلق أفعال العباد(٣٣٩) وابن حجر في : تغليق التعليق(٣٥٥/٥)، وأحمد في: المسند(١٦٠٨٥) والمنذري في : الترغيب والترهيب (٥٤٦٠) وحسنه والحاكم (٣٦٣٨/ ٨٧١٥) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط(٨٥٩٣) وابن قدامة في: العلو ص(٧٢) والبيهقي في: الأسماء والصفات(٦٠٠) وابن أبي عاصم في: السنة ص(٥١٤) والضياء المقدسي في المختارة(٣٨١/٣) وتمام الرازي في الفوائد (٩٢٨) وابن عبد البر في جامع بيان العلم(٣٧٠).

فائدة: قال الحافظ في الفتح(١ / ١٧٤): وللحديث طريق أخرى أخرجها الطبراني في: مسند الشاميين وتمام في: فوائده : من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر وإسناده صالح . وله طريق ثالثة أخرجها الخطيب في الرحلة من طريق أبي الجارود العنسي وهو بالنون الساكنة عن جابر قال بلغني حديث في القصاص فذكر الحديث نحوه وفي إسناده ضعف وللمزيد انظر: فتح الباري(١٣ / ٤٥٧) ومقدمة الفتح (ص ٧١).

وقال الشيخ الألباني في: ظلال الجنة في تخريج السنة (٥١٤): صحيح . ورد على الكوثري طعنه وتدليسه في تعليقاته على الأسماء والصفات للبيهقي.

وانظر تخريج الحديث في: المسند الجامع للسيد النوري(٥٦٤٩) وتغليق التعليق(٣٥٥/٥) وكنز العمال(٣٨٩٥٣) وظلال الجنة في تخريج السنة(٢٢٥/١) للألباني -رحمه الله-

١٣٩) ضعيف: هذا الأثر أثر إسرائيلي ضعيف لا يؤخذ به، وهو من رواية وهب بن منبه ، ووهب بن منبه معروف برواية الإسرائيليات، وقد أورد هذا المقطع من قصة موسى السيوطي في تفسيره الدر المنثور(٥٥٤/٥) عند آية(١٠) من سورة طه حيث ذكر أثراً طويلاً جداً بلغ صفحات، وذكر منه هذا وأخرجه أيضا ابن قدامة في: المناظرة في القرآن ص(٤٣) وفي تحريم النظر في كتب الكلام ص(٦١)، وشمس الدين السفاريني في: لوامع الأنوار البهية(١٦٩/١)، وابن النجار في: شرح الكوكب المنير(٨٧/٢) والإمام أحمد في الزهد ص (٦١)، وابن الجوزي في: التبصرة(١٩١/١)، وابن تيمية في شرح حديث النزول ص(٦١) وفي مجموع الفتاوى(٤٠٨/٥)، وابن قتيبة الينوري في: تأويل مختلف الحديث ص(٢٧٥)، وابن ابي حاتم

الشرح:

قوله: حفاة أي غير منتعلين غرلاً أي غير مختونين بهماً هذا من حيث اللون([١٤٠]).

الصفة الخامسة عشرة : الكلام :

قال العثيمين :[الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال سبحانه : { وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً }[النساء١٦٤].وقال : { مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ }[البقرة ٢٥٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي } أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم]([١٤١]). هذا المستند الشرعي لإثبات هذه الصفة

قال : [وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل وهو كلام حقيقي يليق بالله تعالى بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة].

قوله من غير تحريف: لا المعنى ولا اللفظ ولا تعطيل لا يعطل اللفظ ولا المعنى ولا تكيف لا يسأل كيف ولا تمثيل أي لا يقال مثل كذا.

وفي الحديث:{إن الله سبحانه وتعالى ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويتكلم أحسن الحديث}([١٤٢]).

قال: [والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى :{ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه}[الأعراف ١٤٣] فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدلّ على أنه متعلق بمشيئته تعالى.

المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى:

في تفسره (٢٨٤٣/٩ رقم ١٦١٢٢) عند الآية(٨) من سورة النمل، والألوسي في تفسيره (١٦٨/١٦) عند آية(١٢) من سورة طه، والبغوي في تفسيره (٢٦٦/٥) عند آية(١٢) من سورة طه، وابن عساكر في: تأريخ دمشق(٤٤/٦١) عن وهب ابن منبه.
فهذا الأثر من كلام وهب بن منبه، وهو أثر إسرائيلي لا يعتدّ به. والأولى بمثل هذا الأثر أن يُطرح ولا يؤخذ به.
والقضية التي أشار إليها ابن قدامة رحمه الله تعالى قد وردت لها أدلة أخرى في الأحاديث الصحيحة ، فمثل هذه الآثار الإسرائيلية لا حاجة إليها، والله أعلم . وانظر: تيسير اللمعة لـ/ عبد الرحمن المحمود فقد حكم على الأثر بالضعف والله أعلم.

١٤٠) فائدة: (حفاة) بلا خف ولا نعل. (عراة) بلا ثياب تستر أجسامهم. (غرلا) معناه غير مختونين جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شئ حتى الغرلة تكون معهم. (بهما) ليس معهم شيء كما عند أحمد(١٦٠٨٥) وصححه الألباني في: الظلال(٥١٤) وقيل بهما: أصحاء. انظر: كتب غريب الحديث.

١٤١) ضعيف : أخرجه أبو الشيخ في العظمة(٤٦) والبيهقي في الأسماء والصفات(٤٣٥) وابن خزيمة في التوحيد (٢٠٦) وابن أبي عاصم في السنة (٥١٥) وأبو نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة(٢٣٦/١)، وابن القيم في حاشيته على سنن أبي داود(٤٨/١٣) والحديث في تفسير ابن كثير (٥١٦/٦) والقرطبي (١٤/ ٢٩٦) والسيوطي(٦٩٨/٦) والطبري(٣٦٧/٢٠) والبغوي(٣٩٨/٦). والحديث ضعفه الألباني في الظلال(٥١٥) حيث قال: إسناده ضعيف نعيم بن حماد سيء الحفظ خرج له البخاري مقرونا بغيره واتهمه الأزدي وقال الحافظ في التقريب صدوق يخطىء كثيرا
والوليد بن مسلم ثقة لكنه كان يدلس تدليس التسوية. أنظر: ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم(٢٦٧/١).

١٤٢) صحيح: رواه أحمد(٢٣٧٣٦) والبيهقي في الأسماء والصفات(٩٨٨) والآجري في الشريعة ص(٢٧٢) والطحاوي في شرح مشكل الآثار(٥٢٢٠). وابن أبى الدنيا فى كتاب المطر (ص ١١١ ، رقم ٩١) ، وأبو الشيخ في العظمة(١٢٤٣/٤ ، رقم ٧١٨١١) ، والرامهرمزى فى أمثال الحديث (١٥٥/١ ، رقم ١٢٥) و ابن منده في " المعرفة (٢ / ٢٧٩/ ١) وأخرجه أيضًا : العقيلى (٣٥/١ ، ترجمة ١٨ أمية بن سعيد الأموى) وقال الهيثمى (٣٢٩٧) : رجاله رجال الصحيح.والحديث في تفسير ابن كثير(٤٤١/٤) والقرطبي(٥٩/٩) وفتح القدير(١٠٩/٣) والدر المنثور(٤٠٠/١)
وصححه الألباني في : صحيح الجامع(١٩٢٠) والصحيحة(١٦٦٥)

خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين:

الطائفة الأولى: الجهمية، قالوا: ليس الكلام من صفات الله وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء، أو في المحل الذي يسمع منه وإضافته إلى الله إضافة خلق، أو تشريف مثل ناقة الله، وبيت الله.

ونرد عليهم بما يلي:

١- أنه خلاف إجماع السلف.

٢- أنه خلاف المعقول، لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم.

٣- أن موسى سمع الله يقول: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي }[طه١٤].

ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى].

الطائفة الأولى : الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان من سمرقند قالوا : ليس الكلام من صفات الله وإنما هو خلق من مخلوقات الله أعوذ بالله وعاشوا من زمن المأمون إلى أيام المعتصم الله أعلم عشر أو عشرين سنة وهم يختبرون الناس ويفتنونهم من أجل هذه القضية على أنه ما يجوز لهم أن يفتحوا هذا الباب .

وهؤلاء عطلوا الصفة عن الله سبحانه وتعالى وقالوا : نعم كلام الله يتكلم ولكن كلامه مخلوق.

والله سبحانه وتعالى فرق بين الخلق والأمر فقال سبحانه وتعالى: {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ}[الأعراف٥٤] وكانوا يستدلون مثلاً بقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً }[الزخرف٣] ويقولون أن جعلنا بمعنى خلقنا فاستدل عليهم الإمام أحمد كما في كتابه : الردّ على الجهمية ، بقوله تعالى: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [الفيل٥].قال لأحمد بن أبي دؤاد : أفجعلهم خلقهم ؟ فانقطع ابن أبي دؤاد(١٤٣).ومعنى جعلهم كعصف مأكول أي صيرهم(١٤٤) .؟

المهم يا إخوان بلية من البلايا وشيء أراده الله سبحانه وتعالى ولكل عصر فتنة وفتنة ذلك العصر القول بخلق القرآن وكان من لم يقل : إن القرآن مخلوق يحبس حتى يعمى أو يموت أو يرجع عن

---

١٤٣) أنظر: الرد على الجهمية ص(٢٢) دون ذكر أن الخطاب موجه لأحمد بن أبي دؤاد.

١٤٤) قال الباقلاني في الإنصاف: فإن احتجوا بقوله تعالى: " إنا جعلناه قرآناً عربياً " والمجعول مخلوق، بدليل قوله تعالى: " وجعلنا من الماء كل شيء حي " أي خلقنا؛ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن معنى ذلك: إنما سميناه قرآناً عربياً، والجعل يكون بمعنى التسمية، بدليل قوله عز وجل: " الذين جعلوا القرآن عضين " يعني سموه؛ فبعضهم سماه شعراً، وبعضهم سحراً. وبعضهم كهانة، إلى غير ذلك. ولم يرد أنهم خلقوه. وكذلك قوله تعالى: " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً " يعني سموهم وحكموا عليهم بذلك، ولم يرد أنهم خلقوهم. وكذلك قوله تعالى: " وجعلوا لله أنداداً " يعني سموا. وفي القرآن مثل هذا كثير.

الجواب الثاني: أنه أراد: إنا جعلنا قراءته وتلاوته بلسان العرب، وأفهمنا أحكامه. والمراد به باللسان العربي، وتكون الفائدة في ذلك الفرق بينه وبين التوراة والإنجيل، لأنه جعل تلاوة الكتابين المذكورين وإفهام أحكامهما باللسان العبراني والسرياني، وجعل تلاوة هذا الكتاب وإفهام أحكامه والمراد به بلسان العرب، ولو عرفوا الفرق بين التلاوة والمتلو لم يموهوا بمثل هذا التمويه.

والجواب الثالث: أن الجعل إذا عدي إلى مفعول واحد كان ظاهره الخلق، وإذا عدي إلى مفعولين كان ظاهره الحكم والتسمية، في أكثر الاستعمال. ولذلك لا يجوز أن يقول القائل: جعلت النجم والرجل، ويسكت حتى يصله بقوله: جعلت النجم هادياً ودليلاً، وجعلت الرجل صديقاً وصاحباً. فلما قال الله تعالى: " إنا جعلناه قرآناً عربياً " تعدى إلى مفعولين، فيكون بمعنى الحكم والتسمية.

قوله : أعوذ بالله ابتلاء وثبت الإمام أحمد رحمه الله رافعاً صوته بالدليل من الكتاب والسنة على أن القرآن كلام الله صفة من صفاته الثابتة له وهو كلام حقيقي ليس بمخلوق حتى قال ابن المديني رحمه الله : نصر الله الدين بأبي بكر يوم الردة وبأحمد يوم المحنة (١٤٥)، وجلد وضرب وعودي في ذات الله رحمه الله حتى أنه في بعض الآثار أنهم لما رفعوه على علم يعني نزلت سراويله حتى كادت أن تتبين عورته فدعا الله سبحانه وتعالى فارتفعت سراويلاته والناس ينظرون ، كان من الأولياء رحمه الله رحمة واسعة حتى أن ابن الجوزي يذكر أن بعض الناس يلتمس مجاورة أحمد أن يكون مثلاً مجاوراً له في القبر فيذهب إلى السلطان فيخرج صك بجواز أن يقبر في مقبرة أحمد بن حنبل في بغداد(١٤٦) ولا ينفعه ذلك وإنما ينفعه أكل الحلال يعني فعل المأمور وترك المحذور أو كلام نحوه ، ذكر هذا في صيد الخاطر وهذا الكتاب ينبغي لطالب العلم أن يجعله أنيساً له قبل نومه وبعده كالدواء اقرأ منه فهو كلام عالم وطبيب مجرب مفسر مقرئ محدث لغوي عاقل خطيب جمع ما شاء من الصفات الحميدة هذه هي الطائفة الأولى .

[الطائفة الثانية: الأشعرية، قالوا : كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله.

ونرد عليهم بما يلي:

١ـ أنه خلاف إجماع السلف.

٢ـ أنه خلاف الأدلة لأنها تدل على أن كلام الله يسمع، ولا يسمع إلا الصوت ولا يسمع المعنى القائم بالنفس.

٣ـ أنه خلاف المعهود لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه].

الطائفة الثانية : الأشاعرة : نسبة إلى رجل قد تبرأ من هذا المنهج وهو أبو الحسن الأشعري كان أولاً على مذهب الجهمية ثم سار على طريق محمد بن كلاب ثم في نهاية المجال صار على منهج أهل السنة وكان عالماً كبيراً رحمه الله.

قال: [والدليل على أنه حروف قوله تعالى: { يا موسى{١١} إني أنا ربك }[طه ١١ـ ١٢].

فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله.والدليل على أنه بصوت قوله تعالى:{وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا}[مريم ٥٢].

والنداء والمناجاة لا تكون بصوت. وروي عن عبدالله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال:

"يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان".

علقه البخاري بصيغة التمريض، قال في الفتح: وأخرجه المصنف في الأدب المفرد وأحمد، وأبو يعلى في مسنديهما وذكر له طريقين آخرين].وقال المحقق : حديث حسن(١٤٧).

---

١٤٥) سبق عند كلام السلف في الصفات.

١٤٦) أنظر: صيد الخاطر ص(٤٩١).

١٤٧) الحديث صحيح: وقد سبق عند كلام صاحب المتن على صفة الكلام.

قال:[وكلام الله تعالى قديم النوع، حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع أن الله لم يزل، ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن. ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء].

لو تأملنا إلى ما عليه الخوارج ، الجهمية والأشاعرة لوجدنا أن الأشاعرة في هذا الباب أشر من الجهمية ، الجهمية يثبتون صفة الكلام لكن يقولون مخلوق الأشاعرة يقولون : كلامه نفسه يعني يتهمون الله سبحانه وتعالى بالبكم أعوذ بالله يقولون كلام نفسي وأن جبريل عبر عما في نفس الله فتعالى الله عن هذا يا أخوان علواً كبيراً افتئات على الله سبحانه وتعالى من ادعاء علم الغيب تكلموا بكلام لا يعلمونه قالوا : فجبريل هو المعبر إن كان توراة فعبرانية وإن كانت إنجيل فسريانية وإن كان قرآن لغة عربية هذا كلام غير معقول إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: {إذا أحب الله البعدَ نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل}([148]).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب :{إن الله أمرني أن أقرأ عليك [لم يكن الذين كفروا]. قال : وسماني }([149]) كيف سماه ؟ ما نعرف إلا أنه ذكره باسمه بصوت وحرف.

ثم هذه القضايا قضية القرآن ما خاض الصحابة فيها ولو كان هذا خير لسبقنا إليه الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار ولكن يا إخوان البدعة هذه بدعة دخلت على المسلمين في ذلك الزمان الآن موجودة لكن ليس هذا العصر ، هذه القضية فتنته وإنما هناك قضايا أخرى حزبيات وعلمنة وعلمانية وحداثة وشبكات أنترنت شبكات عنكبوتية فيها ما فيها من الدهاء والمكر بالإسلام والمسلمين .

قال: [وقوله{يأذن لهم فيزورونه } لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ...} الحديث رواه ابن ماجة والترمذي وقال : غريب وضعفه الألباني]([150]).

في سنده رجل يلقب بكاتب الأوزاعي وهو عبد الحميد حبيب بن أبي العشرين ضعيف وضعفه أيضاً الترمذي ، فالحديث ضعيف لم يثبت سنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لضعف هذا الرجل .

قال :[وقوله: وقال ابن مسعود : [إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء } وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ وذكر ابن خزيمة طرقه في كتاب التوحيد بألفاظ منها : [سمع أهل السماوات للسماوات صلصلة }([151]). وأما المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً : { إذا أراد الله أن يوحي بأمره

---

١٤٨) متفق عليه: البخاري(٣٠٣٧، ٥٦٩٣، ٧٠٤٧) ومسلم(٢٦٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١٤٩) متفق عليه: البخاري(٣٥٩٨، ٤٦٧٦، ٤٦٧٧) ومسلم(٧٩٩) عن أنس رضي الله عنه.

١٥٠) ضعيف: وهو جزء من حديث طويل رواه الترمذي(٢٥٤٩) وابن ماجة(٤٣٣٦) وابن حبان(٧٤٣٨) وابن أبي عاصم في السنة(٧٨٥) وتمام الرازي في " الفوائد (٢٢٤/٢) والآجري في التصديق بالنظر إلى الله(٤٦/١ رقم٣١) وفي الشريعة ص(٢٤٨) وابن بطة في الإبانة(٨٨/٣رقم ٦٦) والسفاريني في لوامع الأنوار البهية(٢٤٤/٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع(١٨٣١) والضعيفة(١٧٢٢)والظلال(٥٨٥) والمشكاة(٥٦٤٧)

١٥١) صحيح موقوف ومرفوع: وقد سبق تخريجه.

تكلم بالوحي فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة من خوف الله فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا..}الحديث رواه ابن خزيمة وابن أبي حاتم](١٥٢).

لدينا ـ بارك الله فيكم ـ أثران أثر موقوف وأثر مرفوع.المعلق هنا أشرف عبد المقصود حفظه الله فصل المرفوع وكذلك أيضاً الموقوف قال : [أما الموقوف فعلقه البخاري في صحيحه(٤٥٣/١٣ـ فتح).

وقد وصله ابن خزيمة في التوحيد ص(١٤٦، ١٤٧) وابن جرير(٩٠/٢٢) وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٣٧) والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٠١) وغيرهم من طريق أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله به موقوفاً بلفظ : { إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماوات للسماء صلصلة كحجر السلسلة على الصفا فيصعقون } قال : وسنده صحيح .

وفي لفظ آخر عند عبد الله بن أحمد في السنة(٥٣٦):{إذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع صوته أهل السماء} الحديث وعزاه ابن قدامة.

في البرهان في بيان القرآن ص(٨٤، ٨٥) لعبد الله بن أحمد في الردّ على الجهمية قال : قلت : يا أبي إن الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت فقال : كذبوا إنما يدورون على التعطيل ثم قال : حدثني عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال فذكره وإسناده جيد. وقد عزاه شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل(٣٨/٢) للخلال عن يعقوب بن بختان عن أحمد].

إذن صح الأثر الموقوف عن ابن مسعود مع أنه معلق في صحيح البخاري ، الحديث المرفوع قريب من هذا ،

قال : [وأما المرفوع فأخرجه أبو داود(٤٧٣٨) وابن خزيمة في التوحيد(٩٥، ٩٦) والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٠٠) عن أبي معاوية عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة }. وقال الألباني في الصحيحة(١٢٩٣) وإسناده صحيح على شرط الشيخين ثم قال : والموقوف وإن كان أصح من المرفوع ولذلك علقه البخاري في صحيحه فإنه لا يعل المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي كما هو ظاهر.

ثم ذكر له شاهداً من حديث أبي هريرة عند البخاري(٤٧٠١، ٤٨٠٠) قال : قلت : وأيضاً من حديث ابن عباس عند مسلم(٢٢٢٩) وأحمد(٢١٨/١) والترمذي(٣٢٧٧) وأيضاً من حديث النواس بن سمعان الذي أشار إليه الشيخ العثيمين وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات ص(٢٦٣، ٢٦٤) والطبراني كما في المجمع(٩٤/٧، ٩٥) وقال الهيثمي : رواه الطبراني عن شيخه يحي بن عثمان بن صالح وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين وبقية رجاله ثقات] أ.هـ.(١٥٣).

هذا كله تتمة للحديث لإثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى أهل السنة يثبتون هذه الصفة لله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل و لا تكييف ولا تمثيل على حدّ قوله سبحانه : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

---

١٥٢) ضعيف: وقد سبق تخريجه.

١٥٣) أنظر: شرح اللمعة للعثيمين تعليق أشرف ص(٧٦) حاشية(٤٢).

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى : ١١] . فأهل السنة يثبتون صفة الكلام لله وأن الله يتكلم متى شاء بما شاء وكيف شاء ولمن شاء من عباده قال سبحانه:{وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً }[النساء١٦٤].
وقال في بعض الرسل :{ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ }[البقرة ٢٥٣]. ماذا نريد بعد هذا .
جاء أحد الفرقة الضالة الجهمية وهو الجهم بن صفوان إلى عاصم بن أبي النجود فقال له : اقرأ :{وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}[النساء١٦٤]. يكون الله هو المكلَّم وموسى هو المكلِّم مع أن الآية هي:{ وَكَلَّمَ اللّهُ ً }[النساء١٦٤]. فالله فاعل فقال له : وإن قرأناها فكيف تقرأ { ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه }[الأعراف ١٤٣]. فانقطع وسقط بين يديه([١٥٤]) .
وهكذا كما قيل : الغريق يتشبث بطحلب .

* * * * *

فصل القرآن كلام الله:

[٢٦] ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.
[٢٧] وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلوّ بالألسنة محفوظ في الصدور مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهي
{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }[فصلت٤٢].
وقوله تعالى : {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }[الإسراء٨٨].

.....

الشرح:
فصل القرآن كلام الله كان الدرس السابق عن كلام الله عموماً وخص هذا الفصل بالقرآن الكريم الذي هو معروف بين المسلمين هذا كلامه رحمه الله تعالى بالنص. والمراد بإعراب القرآن التلاوة وفهم المعنى.
وكلام الله عز وجل أعم من ذلك فالقرآن من كلام الله والتوراة من كلام الله والإنجيل من كلام الله والحديث القدسي من كلام الله.

---

١٥٤) لم أجد القصة عن عاصم ولكن ذكرها بن أبي العز في شرح الطحاوية ص(١٧٠) وابن القيم في الصواعق(٣/ ١٠٣٧) وابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية(١٢/٢) أنها من قول أبي عمرو بن العلاء لعمر بن عبيد.
وأنظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٤) والبداية والنهاية(٣١٢/٥). ولترجمة أبي عمرو بن العلاء ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٠٧/٦) ومعرفة القراء الكبار للذهبي(١٠٠/١).

كذلك يتكلم الله سبحانه وتعالى في الثلث الأخير من الليل يقول صلى الله عليه وسلم:{ ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له }([١٥٥]).

كذلك يرفع الله دعوة المظلوم يقول : { وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين }([١٥٦]). ويتكلم سبحانه وتعالى في عرصات القيامة فيقبض الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول:{أنا الملك أين ملوك الأرض}([١٥٧]) فمن كلام الله سبحانه وتعالى القرآن.

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله معلق على كلام ابن قدامة:

[القول في القرآن:

القرآن الكريم من كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فهو كلام الله حروفه ومعانيه دليل أنه من كلام الله قال تعالى : { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله } [التوبة ٦] يعني القرآن .

ودليل أنه منزل قوله تعالى: { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده}[الفرقان ١].

ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى : { ألا له الخلق والأمر }[الأعراف ٥٤] فجعل الأمر غير الخلق ، والقرآن من الأمر لقوله تعالى : { وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا }[الشورى ٥٢]. { ذلك أمر الله أنزله إليكم }[الطلاق ٥].

ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة].

هنا محك الفرس كما يقال ، صفات الله ليست مخلوقة كما أنها ذاته غير مخلوقة فكذلك صفاته فالكلام صفة من صفات الله ، فلا ينبغي أن يقال : مخلوق هذا قول الجهمية الذين أبطلوا صفة الكلام لله سبحانه وتعالى وقالوا عن القرآن أنه مخلوق وكذلك أيضاً هو قول الأشاعرة الذين أبطلوا صفة الكلام تماماً وقالوا : هو عبارة عن كلام نفسي عرفه جبريل .

ثم قال العثيمين مواصلاً : [ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة ودليل أنه منه بدأ أن الله أضافه إليه ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدأ. ودليل أنه إليه يعود أنه ورد في بعض الآثار{أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان }]([١٥٨]).

---

١٥٥) متفق عليه: وقد سبق

١٥٦) صحيح بطرقه وشواهده: رواه أحمد(٨٠٣٠، ٩٧٤١) والترمذي(٢٥٢٦، ٣٥٩٨) وابن ماجة(١٧٥٢) وابن خزيمة (١٩٠١) وابن حبان(٨٧٤) وأبو داود الطيالسي(٢٥٨٤) والبيهقي في الشعب(٧١٠١) وفي السنن الكبرى(٦١٨٦)عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الطبراني في الكبير(٣٧١٨) وفي الدعاء(١٣١٧) والقضاعي في المسند(٧٣٣) والسيوطي في الدر المنثور(٧٦/٢) والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (٦٣١) والدينورى فى المجالسة (٣١٧٣) والدولابى فى الأسماء والكنى (١٨٢٩)عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه. قال المنذرى (١٣٠/٣) : لا بأس بإسناده فى المتابعات .

وانظر: صحيح الجامع(١١٧) والصحيحة(٨٧٠) وصحيح الترغيب(٢٢٣٠) وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند (٢٠٤/٢ رقم ٨٠٣٠، ٤٤٥/٢ رقم ٩٧٤١) وفي صحيح ابن حبان(١٥٨/٣ رقم٨٧٤) وأنظر: الجامع الصحيح للوادعي(٢/ ٤٤٩)

١٥٧) متفق عليه: البخاري(٤٥٣٤، ٦١٥٤، ٦٩٤٧) ومسلم(٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وجاء في البخاري(٦٩٧٧) ومسلم(٢٧٨٨) واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ[أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟].

١٥٨) يشير إلى حديث حذيفة الذي ذكره الشيخ بعد كلام العثيمين

جاء حديث في سنن ابن ماجة وهو من الأمهات الست من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : {يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب . حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك . ولا صدقة . وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة . فلا يبقى في الأرض منه أية . وتبقى طوائف من الناس والشيخ الكبير والعجوز . يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله . فنحن نقولها}([١٥٩])

يسرى على كتاب الله يعني هذه المصاحف ستصير أوراقاً بيضاء ما فيها شيء فإذا جاء الناس يريدون الصلاة فلا يجدون في صدورهم شيئاً فإن عادوا إلى السطور يريدون مراجعتها لا يجدون شيئاً وهذا والله أعلم أنه يكون آخر الزمان قرب الساعة تماماً قبل نزول العشر الآيات الكبرى..

* * * * *

[٢٨] وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا :{ لن نؤمن بهذا القرآن}[سبأ ٣١].
وقال بعضهم : { إن هذا إلا قول البشر}[المدثر ٢٥] فقال الله سبحانه:{ سأصليه سقر}[المدثر ٢٦] وقال بعضهم : هو شعر فقال الله تعالى : { وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين}[يس ٦٩].
فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآناً لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد أنه شعر.
[٢٩] وقال عز وجل { وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله }[البقرة ٢٣]. ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدرى ما هو ولا يعقل.
[٣٠] وقال تعالى :{ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي }[يونس ١٥]. فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم .
[٣١] قال تعالى : { بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم}[العنكبوت ٤٩].
وقال تعالى : { إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون}[الواقعة ٧٧ـ ٧٩].

---

١٥٩) صحيح: رواه ابن ماجة(٤٠٤٩) والحاكم(٨٤٦٠، ٨٦٣٦) والبزار(٢٨٣٨) والبيهقي في الشعب(١٨٧٠)وصححه الألباني: في الصحيحة(٨٧) وصحيح الجامع(٨٠٧٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه أيضا البوصيري في " مصباح الزجاجة " وقواه الحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (١٣ / ١٦) أنظر حكم تارك الصلاة للألباني ص(١٤).
فائدة: قال الألباني في الصحيحة بعد حديث حذيفة هذا: في هذا الحديث نبأ خطير ، و هو أنه سوف يأتي يوم على الإسلام يمحى أثره وعلى القرآن فيرفع فلا يبقى منه و لا آية واحدة ، و ذلك لا يكون قطعا إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها تكون كلمته فيها هي العليا كما هو نص قول الله تبارك و تعالى(هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله) ، و كما شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في أحاديث كثيرة ....
و ما رفع القرآن الكريم في آخر الزمان إلا تمهيدا لإقامة الساعة على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئا من الإسلام البتة ، حتى و لا توحيده !
و في الحديث إشارة إلى عظمة القرآن ، و أن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم و رسوخ بنيانه و ما ذلك إلا بتدارسه و تدبره و تفهمه و لذلك تعهد الله تبارك و تعالى بحفظه ، إلى أن يأذن الله برفعه . فما أبعد ضلال بعض المقلدة الذين يذهبون إلى أن الدين محفوظ بالمذاهب الأربعة ، و أنه لا ضير على المسلمين من ضياع قرآنهم لو فرض وقوع ذلك أ.هـ.

بعد أن أقسم على ذلك .

[٣٢] وقال سبحانه :{ كهيعص }[مريم ١] { حم. عسق}[الشورى ١].

وافتتح تسعاً وعشرين سورة بالحروف المقطعة

[٣٣] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات ، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة } حديث صحيح (١٦٠) .

[٣٤] وقال عليه الصلاة والسلام : { اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه }(١٦١)

[٣٥] وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه (١٦٢).

[٣٦] وقال علي رضي الله عنه : من كفر بحرف منه فقد كفر به كله (١٦٣).

[٣٧] واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه .

---

١٦٠) الحديث موضوع : رواه الطبراني في الأوسط(٧٥٧٤) من طريق نهشل عن الضحاك عن أبي الأحوص عن ابن مسعود .قال الهيثمي في المجمع (١٦٣/٧) :" وفيه نهشل ، وهو متروك.

وقد روي الحديث من طرق أخرى عن ابن مسعود وغيره بألفاظ قريبة من هذا ،ويزيد بعضهم على بعض ، ولا يصح شيء منها ، وبعضها أشد ضعفا من بعض ،فقد جاء الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة وعمر وابن عمر وعائشة كما قال الألباني في السلسلة الضعيفة(٣٧٠/٥ رقم ٢٣٤٨). ويغني عن هذا الحديث حديث ابن مسعود المرفوع الذي رواه الترمذي(٢٩١٠) وصححه الألباني في الصحيحة(٣٣٢٧) وصحيح الجامع(٦٤٦٩): [من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة و الحسنة بعشر أمثالها لا أقول : { ألم } حرف و لكن : ألف حرف و لام حرف و ميم حرف] .

١٦١) صحيح: رواه أحمد(١٤٨٩٨) وأبو داود(٨٣٠) أبو يعلى(٢١٩٧) وعبد الرزاق (٦٠٣٤) والبيهقي في الشعب (٢٦٤٢) عن جابر رضي الله عنه. وأنظر: الصحيحة للألباني(٢٥٩).

١٦٢) الأثر ضعيف: أخرجه القرطبي في التفسير(٢٣/١) والسيوطي في الإتقان(٤٦٥/٢)وابن قدامة في المناظرة ص(٣٨) وأبو بكر بن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء (١ \ ٢٠) وفيه جابر ابن يزيد قال النسائي: متروك، وكذبه بعضهم، ورواه أيضا أبو عبيد في فضائل القرآن ص (٢٠٨- ٢٠٩) وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠ \ ٤٥٦)، ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبنحوه أيضا عند ابن أبي شيبة (٦ \ ٢٩٩٠٩) وابن تيمية في المجموع(٤٠٢/٣)والأثر ضعيف فيه ضعف وانقطاع فيه جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف، وفيه شريك القاضي صدوق يخطئ كثيرا وتغير حفظه ، وفيه انقطاع بين أبي بكر وعمر وبين الراوي عنهما. أنظر: تعليق بدر البدر على اللمعة ص(١٩).

١٦٣) صحيح موقوف: ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - هذا الأثر عن علي في المناظرة ص(٣٣، ٣٨)، وفي الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم (ص ٣٢)، ولم أقف عليه عند غيره عن علي رضي الله عنه، لكن أخرجه ابن جرير في التفسير (١ / ٥٥ رقم٥٨) وعبد الرزاق في مصنفه (٨ / ٤٧٢ رقم ١٥٩٤٦)، ومن طريقه ابن حزم في المحلى (٨ / ٣٣) عن سفيان الثوريَ عن الأعمش عن إبراهيم النخعي عن ابن مسعود وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢ / ٢٣٢ رقم٣٧٩) من طريق سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن أبي كنف قال: قال عبد الله، وذكره بنحوه والهروي في ذم الكلام(٢٠/٢ رقم ١٧٩).

وصححه شيخ الإسلام في التسعينية (١ / ٢٩٢) وقال في الفتاوى الكبرى(٤٩٤/٦): [وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ بِنَقْلِ الْعُدُولِ..].وأخرجه ابن جرير في تفسيره(٥٤/١ رقم ٥٦) والبيهقي في الشعب(٢٠٧٧) وابن أبي شيبة(١٠/ ٥١٣ رقم ٣٠٧٣٣) من طريق شعيب يعني ابن الحَبْحَاب - قال: كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل: "ليس كما يقرأ" وإنما يقول: أما أنا فأقرأ كذا وكذا. قال: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي، فقال: أرى صاحبك قد سمع: "[أنّ من كفَر بحرفٍ منه فقدْ كفر به كله] وإسناده صحيح كما في تخريج اللمعة لأشرف ص(٨٢) وانظر: تيسير اللمعة لـ/ عبد الرحمن المحمود ص(١٨١) فقد صحح الأثر عن علي رضي الله عنه.

[٣٨] ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه أنه كافر ، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف .

.....

الشرح:

أما الحديث الذي ساق المؤلف معناه وهو: { من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة }([١٦٤]) قال: هو حديث صحيح. والصحيح أنه ضعيف بل ضعيف جداً في سنده نهشل الورداني وهو متروك وقد كذبه إسحاق بن راهويه وهو من أقران الإمام أحمد بل سئل أحمد عن إسحاق قال : مثل إسحاق يسأل عنه ، هذا الحديث ضعيف.

وأما حديث : { اقرءوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه }([١٦٥]) حديث صحيح أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة وذكره الشيخ الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث صحيح.

وخلاصة القول هو تتمة لما تقدم من الدرس الأول عن كلام الله سبحانه وتعالى وفيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى ومن أعظم وأجل وأرفع ما تكلم الله سبحانه وتعالى به هذا القرآن الذي فيه عزنا وشرفنا وكرامتنا إن نحن تمسكنا به قال سبحانه : { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي}يعني عن القرآن{ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى }[طه١٢٣ـ ١٢٤].

أعوذ بالله! قرآن واضح في غاية الوضوح فمن تمسك به رفعه الله ومن أعرض عنه أذله الله قال سبحانه : {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ }[المجادلة٢٠]

* * * * *

فصل رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

[٣٩] والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورنه ويكلمهم ويكلمونه،

قال الله تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {٢٢}إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }[القيامة٢٢ـ ٢٣].

وقال تعالى:{ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ } [المطففين١٥].

[٤٠] فلما حجب أولئك في حال السخط دلّ على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا وإلا لم يكن بينهما فرق

[٤١] وقال النبي صلى الله عليه وسلم :{ إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته} حديث صحيح متفق عليه ([١٦٦]).

---

١٦٤) ضعيف: وقد سبق هنا في هذا الفصل من كلام ابن قدامة رحمه الله تعالى.

١٦٥) صحيح: وقد سبق هنا في هذا الفصل من كلام ابن قدامة رحمه الله تعالى.

[٤٢] وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

الشرح:

قال العثيمين : [رؤية الله في الآخرة:

رؤية الله في الدنيا مستحيلة لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله : { لن تراني }[الأعراف ١٤٣] وهذا هو الصحيح في لن أنها تفيد التأميد لا التأبيد خلافاً للزمخشري(١٦٧).

قال : ورؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف قال الله تعالى : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {٢٢}إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }[القيامة٢٢ـ ٢٣}. ناضرة من النضارة يجعل الله تلك الوجوه فيها نضرة {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ }[المطففين٢٤]

---

١٦٦) رواه الجماعة: البخاري(٥٢٩، ٥٤٧، ٤٥٧٠، ٦٩٩٧، ٦٩٩٨، ٦٩٩٩) ومسلم(٦٣٣) وأحمد(١٩٢١٣) وأبو داود (٤٧٢٩) والترمذي(٢٥٥١) والنسائي في الكبرى(٤٦٠) وابن ماجة(١٧٧)وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

فائدة: قال ابن حجر رحمه الله في الفتح(٤٣٤/١٣): بعد نهايته من شرح أحاديث الرؤية التي أوردها البخاري. تكملة: جمع الدارقطني طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين، وتتبعها ابن القيم في حادي الأرواح فبلغت الثلاثين وأكثرها جياد، وأسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال: عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح) أهـ .

فائدة: قال ابن القيم في حادي الأرواح ص(٢٠٥): بعد أن ذكر الأدلة من القرآن الكريم.

فصل: وأما الأحاديث عن النبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها عنه، أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة ابن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحديثه موقوف، وأبي ابن كعب، وكعب ابن عجرة، وفضالة بن عبيد، ورجل من أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- غير مسمى

ثم قال: فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن، وتلقّها بالقبول والتسليم، وانشراح الصدر، لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن، ولا تكذب بها، فمن كذّب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان يوم القيامة من المحجوبين).

فأحاديث رؤية الله في الدار الآخرة كثيرة ومتواتره ومن أراد الوقوف على تفصيل القول في هذه المسألة وذِكر الأدلة من الكتاب والسنة يُمكنه ذلك بالرجوع إلى كتب أهل السنة، ومن ذلك كتاب : حادي الأرواح لابن القيم ص (١٩٦ ـ ٢٤٢) وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص(١٨٩).

وقد أفردت هذه المسألة بالمؤلفات وممن أفردها الآجري وكتابه التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة، والدارقطني وأسمى كتابه رؤية الله، وعبد الرحمن الأهدل وأسمى كتابه عِظَمُ المِنَّةْ في رؤيَةِ المؤمنِيْنَ رَبهم في الجنَّةِ وابن النحاس وكتابه رؤية الله، وشيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة لأهل البحرين في رؤية الكفار ربهم ـ وفيه خلاف ذكره ـ وذكر رؤية المؤمنين لربهم .

١٦٧) الزمخشري: (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ ـ ١١٤٤م) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والاداب. كان واسع العلم، كبير الفضل متفننًا في علوم شتى.صاحب التصانيف: ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله: وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الانكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. قال الذهبي: كان علامة الأدب، ونسابة العرب.

أنظر: الأعلام للزركلي(١٧٨/٧) وسير الأعلام (٢٠/ ١٥١ ترجمة ٩١) وتأريخ الإسلام(٣٦/ ٤٨٧ـ ٤٩٠) وشذرات الذهب (١١٨/٤ـ ١٢١) وطبقات الحنفية(٤٩٣) وطبقات المفسرين للسيوطي ص(١٠٤)وغيرها

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { نضر الله امرئً سمع مقالتي فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع }([١٦٨]). { إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }[القيامة ٢٣]. أي نظر حقيقي تنظر إلى ربها نظر حقيقي كذلك جاء في حديث الشفاعة الحديث الطويل :{ فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا }([١٦٩]).

ثم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي بلغت مبلغ التواتر

ومما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤيــة شفاعـة والحـوض ومسـح خفيـن وهذا بعض

ثم كيف نعبد رباً حجب نفسه عنا في الدنيا ولا نراه في الآخرة فالله تبارك وتعالى أخبر أن الكفار والمنافقين محجوبون عن رؤيته .

وقال بعضهم : رؤية رحمة دلّ ذلك على أن المؤمنين الصادقين المفلحين يتلذذون بالنظر إلى الله قال نبيكم صلى الله عليه وسلم :{ إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل }([١٧٠]).

وهكذا أيضاً قوله تعالى : { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس ٢٦] فسر نبينا صلى الله عليه وسلم الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى([١٧١]).

ورحمة الله على القاضي أحمد بن أحمد سلامة إمام وخطيب الجامع الكبير بصنعاء نزل إلى مدرسة الرفض والإعتزال بذمار فناظرهم حول هذه القضية حول الرؤية وحول الشفاعة .

فقال لهم : أنتم يوم القيامة امتنعوا إذا طلب منكم ربكم أن تنظروا إليه قولوا : لا نحن مذهبنا أننا لا يمكن أن نراك وإذا أدخل بعضكم النار فأراد أن يخرجكم قولوا : لا نحن لا نؤمن بالشفاعة ولا نقول بها فتبقون في النار ، فتراجع كثير منهم تراجعوا إلى مذهب أهل السنة .

مذهبهم مذهب ضلال وهذا الآن موجود يعني مذهب عدم إمكان رؤية في الآخرة تدرس دراسة تأصيلية في مدارس الرافضة والإباضية وعقيدة المعتزلة والجهمية تدرس على أنه لا يرى سبحانه وتعالى في الآخرة ويؤولون هذه النصوص كلها بل ويقدحون في أبي هريرة وفي جرير وفي كل الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا أحاديث الرؤيا أعوذ بالله والله إن لم يكن هذا الضلال بعينه فلا ندري كيف يكون الضلال.

وقال سبحانه:{كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ }[المطففين١٥].

---

١٦٨) صحيح: رواه أحمد(٤١٥٧) والترمذي(٢٦٥٧) وابن ماجة(٢٣٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه ورواه أحمد(٢١٦٣٠) وأبو داود(٣٦٦٠) والترمذي(٢٦٥٦) وابن ماجة(٢٣٠) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه والحديث جاء عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم في السنن وغيرها. وصححه الألباني في : صحيح الجامع(٦٧٦٤, ٦٧٦٣، ٦٧٦٥، ٦٧٦٦) والصحيحة(٤٠٤) وغيرهما.

١٦٩) متفق عليه: البخاري(٧٧٣) ومسلم(١٨٢) من حديث أبي هريرة رصي الله عنه. وهو عند البخاري(٤٣٠٥) ومسلم(١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو جزء من حديث: آخر أهل الجنة دخولا الجنة.

١٧٠) صحيح: رواه مسلم(١٨١) عن صهيب الرومي رضي الله عنه.

١٧١) كما في صحيح مسلم رقم(٢٩٨/١٨١) عن صهيب رض الله عنه.

قال:[فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :{ إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته } متفق عليه(١٧٢) وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي لأن الله ليس كمثله شيء ولا شبيه له ولا نظير.

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله دون الكفار بدليل الآية الثانية يرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى. وهي رؤية حقيقية تليق بالله .وفسرها أهل التعطيل بأن المراد بها رؤية ثواب الله أو أن المراد بها رؤية العلم واليقين ، ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق في القاعدة الرابعة] .

وهذا الكلام يتكرر معنا دائماً ويمكن أن نرد به على كل مبطل كلامك خلاف ظواهر النصوص وخلاف ما عليه أهل السنة والجماعة وليس عليه دليل صحيح صريح .

قال: [وباعتبار التأويل الثاني بذلك وبوجه رابع أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا وسيحصل للفجار في الآخرة].

هذا كلام مختصر والحمد لله هذه هي عقيدتنا وهي عقيدة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

* * * * *

فصل القضاء والقدر

[٤٣] ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره و لا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور أراد ما العالم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم يهدي من يشاء بحكمته،

قال الله تعالى: { لا يسأل عما يفعل وهم يسألون }[الأنبياء ٢٣].

وقال الله تعالى: { إنا كل شيء خلقناه بقدر }[القمر ٤٩].

وقال تعالى: { وخلق كل شيء فقدره تقديراً }[الفرقان ٢].

وقال تعالى : { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير }[الحديد ٢٢]. وقال تعالى: { ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً }[الأنعام ١٢٥] .

[٤٤] وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره فقال جبريل : صدقت } رواه مسلم(١٧٣).

---

١٧٢) سبق في هذا الفصل عند كلام صاحب المتن .

١٧٣) رواه مسلم(٨) وأحمد:(٣٦٧) وأبو داود(٤٦٩٥) والترمذي(٢٦١٠) والنسائي(٤٩٩٠) وابن ماجة(٦٣) وغيرهم.

[٤٥] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره }([١٧٤]).
[٤٦] ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: {وقني شر ما قضيت }([١٧٥]).

الشرح:

المرد بالقدر : هو علم الله السابق النافذ وبعضهم قال : هو سر الله في خلقه ، وسئل الإمام أحمد عن القدر فقال : القدر قدرة الله([١٧٦]) هكذا .

الفرق بين القضاء والقدر :

القدر هو علم الله السابق ، والقضاء تنفيذ لذلك القدر وكما يقول أهل العلم : إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا بمعنى إذا قلت القضاء فهو القدر وإذا قلت القدر فهو القضاء وإذا قلت قضاء وقدر أو قدر وقضاء افترقا في التعريف ، دل القدر على علم الله السابق ودل القضاء على ما أراد الله تنفيذه من علمه السابق .

فيقول ابن العثيمين شارحاً لما قاله ابن قدامة :

[القدر: من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد كما قال تعالى:{ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ }[هود١٠٧]. فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره بيده

والحديث قد جاء عن أبي هريرة عند البخاري:(٥٠، ٤٤٩٩) ومسلم:(٩، ١٠)
وجاء عن أنس وابن عباس وأبي عامر وأبي ذر وعمر وابن مسعود والحارث الأشعري وجرير بن عبد الله رضي الله عنهم .
أنظر: تفاصيلها في (الأضواء السماوية(ص/٥٢ ـ ٥٣) والإرواء رقم(٣).

١٧٤) ضعيف: هذا الحديث يذكره العلماء كمثال للحديث المسلسل بأحوال الرواة القولية والفعلية معاً حيث أن كل من رواه عن شيخه قبض لحيته.
أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص(٧٢) وقال وأنا أقول عن نية صادقة وعقيدة صحيحة : آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وأخذ بلحيته. وأخرجه ابن عساكر في تأريخ دمشق(٥/٢٥٠، ٢٥١) وفي مواضع أخرى،
وابن النجار عن أنس وأخذ بلحيته وقال : آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره).
والذهبى فى السير (٨/٢٨٧) ، وقال : هو كلام صحيح ، لكن الحديث واه لمكان الرقاشى .
والسيوطي في جامع الأحاديث(٩٣٨، ٣٦٠٤٠) وفي تدريب الراوي(٢/١٨٨) وأبو الفيض الفاداني في: العجالة في الأحاديث المسلسلة ص (٩٦، ٩٧) وأبو إسحاق الأبناسي الشافعي في الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح ص(٤٥٨/٢) وعزاه في كنز العمال(٤٣٧٦٣) لابن النجار والعراقي في شرح التبصرة والتذكرة ص(١٩٦) والسخاوي في فتح المغيث(٥٨/٣) وابن تيمية في المجموع(٢٠/١٤)
والحديث فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف ضعفه الجمهور. قال أحمد لا يكتب عنه شيء كان منكر الحديث وقال يحيى كان رجلا صالحا ولكن حديثه ليس بشيء وقال النسائي متروك الحديث وقال الدراقطني ضعيف. وقال شعبة لأن أزني أحب إلي من أن أحدث عن يزيد الرقاشي. أنظر الضعفاء لابن الجوزي(٣/٢٠٦، ٢٠٧) والجرح والتعديل(٩/ ٢٥١، ٢٥٢) وتقريب التهذيب(٧٦٨٣).

١٧٥) صحيح: رواه أحمد(١٧١٨) وأبو داود(١٤٢٥) والترمذي(٤٦٤) والنسائي(١٧٤٥) وابن ماجة(١١٧٨) وصححه الألباني في: الإرواء (٤٢٩) والمشكاة(١٢٧٣) وفي تحقيقه للسنن الأربع. وصححه أيضا شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند(١/١٩٩).

١٧٦) أنظر: الإبانة لابن بطة(٢/ ٢٦٢ رقم١٨٧٩) والسنة للخلال(٣/٥٤٤ رقم٩٠٤) ومنهاج السنة لشيخ الإسلام (٣/١٥١) وشفاء العليل لابن القيم ص(٢٨).

ملكوت السماوات والأرض يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون لأنهم مربوبون محكومون.

والإيمان بالقدر واجب وهو أحد أركان الإيمان الستة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره } رواه مسلم وغيره.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره }.]

هذه اللفظة ضعيفة في سندها يزيد الرقاشي وهو ضعيف وقال النسائي : متروك وقال أحمد بن حنبل : منكر الحديث. لكن لا بأس من قولتها لا أنها حديث ولكن هكذا لا بد أن تؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره لأن كل شيء من الله.

من علم هذا وعرفه استراح والله غاية الراحة لا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره

وكل شيء بالقضاء والقدر وكل مقدور فما منه مفر
فكن له مسلماً كي تسلما واتبع سبيل الناسكين العلماء

قال :[فالخير والشر باعتبار العاقبة والحلاوة والمرارة باعتباره وقت إصابته. وخير القدر ما كان نافعاً وشره ما كان ضاراً ومؤذياً .

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته فإن منه ما يكون خيراً كالطاعات والصحة والغنى ومنه ما يكون شراً كالمعاصي والمرض والفقر.

أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال إنه شر لقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء القنوت الذي علمه الحسن بن علي : { وقني شر ما قضيت } فأضاف الشر إلى ما قضاه لا إلى قضائه].

بل تأدباً مع الله لا يضاف الشر إليه قال موسى عليه الصلاة والسلام : { رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }[القصص٢٤] تأدب مع الله.

وهكذا الجن قالوا : { وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً }[الجن١٠] فنسبوا الخير إلى الله ولم ينسبوا الشر إليه مع أنه هو رب الخير والشر ولكن تأدباً مع الله .

أركان القدر:

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أركان هذه الأركان تسمى أركان القدر(١٧٧):

١ـ الركن الأول: العلم.
٢ـ الركن الثاني: الكتابة.
٣ـ الركن الثالث: المشيئة.
٤ـ الركن الرابع: الخلق.

فلا بد أن يكون طالب العلم ملما بها
علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو أعجاز وتكوين

١٧٧) وتسمى أيضل مراتب القدر كما في كتب العقيدة.

الركن الأول: العلم: ودليله قوله تعالى : {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }[الحج٧٠] وقال الله حاكيا عن فرعون أنه قال لموسى: { فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى}[طه ٥١- ٥٢].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء }([178]).

وحديث عبادة في سنن أبي داود : { إن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : ما كان وما يكون إلى قيام الساعة }([179]) هذا هو الركن الأول للقدر وهو العلم .

الركن الثاني: الكتابة : قال تعالى : { وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها}[الحديد ٢٢]. وقوله صلى الله عليه وسلم: { رفعت الأقلام وجفت الصحف }([180]).وقال النبي صلى الله عليه وسلم:{ إن الله فرغ إلى كل عبد من خمس من وأجله ورزقه وأثره وشقي أو سعيد}([181]).وحديث كتابة الملائكة قال : { ثم يؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد }([182]) هذا الركن الثاني وهو الكتابة .

الركن الثالث: المشيئة : فالله سبحانه وتعالى له مشيئة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

قال سبحانه : {يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }[الإنسان٣١].

وقال : {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }[الأنعام١٢٥].

مشيئته فالله له مشيئة ولا بد أن تكون مشيئتنا تحت مشيئة الله فيتصرف فينا.

مشيئة كما يشاء هو سبحانه ، مشيئة كونية وهذه لا قدرة ولا حول ولا قوة للعبد أن يدفع شيئاً منها نافذة ، ومشيئة شرعية وهي الآيات والأحاديث الأوامر والنواهي فالله سبحانه وتعالى يشاء مشيئة كونية ومشيئة شرعية فعلى العبد أن يستسلم لكلا المشيئتين ، ما شئت يا ربنا سمعنا وأطعنا وما نهيتنا عنه انتهينا هذا كان لسان حال المؤمنين ومقالهم أيضاً : {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[النور ٥١].

وقال تعالى{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً }[الأحزاب٣٦] .

الركن الرابع : الخلق: قال سبحانه : {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }[القمر٤٩].

---

١٧٨) رواه مسلم(٢٦٥٣)

١٧٩) صحيح: أخرجه أحمد:(٢٢٧٥٧، ٢٢٧٥٩) والترمذي(٢١٥٥، ٣٣١٩) وأبو داود(٤٧٠٠) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٢٠١٧، ٢٠١٨) والمشكاة(٩٤) والظلال(١٠٢، ١٠٧) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

١٨٠) صحيح: رواه أحمد(٢٦٦٩) والترمذي(٢٥١٦) والحاكم(٦٣٠٣) وأبو يعلى(٢٥٥٦) وصححه الألباني في: صحيح الجامع (٧٩٥٧) والشيخ مقبل الوادعي في: الصحيح المسند(٦٩٩). عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٨١) صحيح: رواه أحمد(٢١٧٧٠، ٢١٧٧١) والطبراني في الأوسط(٣١٢٠) والطيالسي (٩٨٤) وابن أبي عاصم في السنة (٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة(٨٥٩) عن أبي الدرداء رضي الله عنه وصححه الألباني: صحيح الجامع: (٤٢٠١، ٤٢٠٢)

١٨٢) رواه الجماعة: رواه البخاري (٣٠٣٦، ٣١٥٤، ٦٢٢١، ٧٠١٦) ومسلم (٢٦٤٣) وأحمد (٣٦٢٤، ٣٩٣٤، ٤٠٩١) وأبو داود(٤٧٠٨) والترمذي (٢١٣٧) والنسائي في الكبرى(١١٢٤٦) وابن ماجة:(٧٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال : {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }[الصافات٩٦]. وقال: { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً }[الفرقان٢]. فلا يتم إيمان عبد بالقضاء والقدر إلا إذا استيقن هذه الأربعة الأركان ، أن يعلم أن هذا القدر بناه الله سبحانه وتعالى على علم وكتابة ومشيئة وخلق ماذا تريد بعد هذا ؟

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

أيش تخاف ؟ لا تخاف من قطع رزق ولا من إزهاق روحك ولا من أكل طعامك ولا من أحد من البشر أن يتصرف في قلبك أو في شيء من خصوصك التي أراده الله سبحانه وتعالى فما شاء الله كان وتأمل في يونس بن متى يوم أن دخل في جوف الحوت أراد الله سبحانه وتعالى أن لا يموت فما مات ما هشم منه شيئاً خرج على حالته :{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }[الأنبياء٨٧] أخرجه الله من تلك الظلمات وهو بكامل أعضائه وأراد الله له أن يعيش.

وموسى قهر الله به فرعون ، على أن فرعون ما كان يريد موسى يعيش فعاش موسى رغم أنف فرعون ، بل فرعون هو الذي غذاه بنعمه وبهباته وأعطياته وهداياه سبحان الله.

وهكذا أراد الله عدم ذبح إسماعيل فما ذبح.

وأراد إخوة يوسف أن لا يعيش يوسف وأراد الله أن يعيش فعاش رموه في غيابة الجب وأرادوا أن يتخلصوا منه ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وأراد كفار قريش أن لا يعيش محمد صلى الله عليه وسلم وأراد الله ألن تعيش فعاش واستمرت دعوته فقال سبحانه : { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }[المائدة ٦٧].

فعلى المسلم أن يطمئن وأن يعلم أن الأمور كلها دقيقها وجليلها أولها وآخرها صغيرها وكبيرها بيد الله الواحد القهار وعليه أن يرضى فلا يهتم ويغتم ويكثر التفكير ويستبق .

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

فلا تنظر إلى غياهب الأمور فتصاب بالهم ولا تنظر إلى الماضي وتندب الأطلال القديمة وتقع في الحزن والأسى ولكن ارض بالقضاء والقدر وكن راضياً بما أراده الله وبما قضاه واعلم أن هذا القضاء والقدر له أسباب لأنه لو قلنا كل شيء بقضاء وقدر لا يعني ذلك أن يقول الشخص إذا كان كل شيء بقضاء وقدر إذن أنا آخذ بطانية ووسادة وأرقد ويجئني الشيء إلى عندي لا ، لا بد من السبب لكل شيء سبباً الزرع لا ينبت إلا بالبذر والولد لا يأتي إلا بالزواج ولولا أني الآن أتكلم في الميكرفون لما حصل ضجة صوت لكن إنا أتكلم فيشع صوت وهكذا إذا جاءت الرياح رأيت الأشجار تلعب والأغصان تتراقص والتراب كذلك يسبب أتربة وغبار وغير ذلك له أسباب.

والجوع يطرد بالطعام والعطش يطرد بالماء فيحدث الري والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً }([١٨٣]).

---

١٨٣) صحيح: رواه أحمد(٢٠٥) والترمذي(٢٣٤٤) وابن ماجة(٤١٦٤) وابن حبان(٧٣٠) والحاكم(٧٨٩٤) والطيالسي(٥١)
وأبو يعلى(٢٤٧) والبزار(٣٤٠) والبيهقي في الشعب(١١٨٢) وغيرهم .عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٥٢٥٤) والصحيحة(٣١٠)

فلا بد من السبب لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سبباً إذن تأتي بهذه الأسباب.
والأسباب كثيرة: الدعاء، السعي، سؤال الله سبحانه وتعالى، والإلحاح فكل شيء له سبب وهذا السبب لا بد أن يكون شرعي لا أن يكون بدعي ولا أن يكون محرماً وإنما يكون سبباً شرعياً حتى تنال به ما قضاه الله سبحانه وتعالى لك في هذه الدنيا ، جاء من حديث أبي عزة في سنن الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة أو قال بها حاجة }(١٨٤). أراد الله أن يقبض روح فلان في الهند مثلاً يجعل له حاجة يموت هناك

مشيناها خطاً كتبت علينا ومن كتبت عليه خطاً مشاها
وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها(١٨٥).

هل الذنوب والمعاصي بقدر الله وأن العبد ليس له مفر من ذلك ؟
أراد الله المعاصي كوناً المعاصي والذنوب والكفر كوناً وأباها شرعاً وديناً أراد الله كفر فرعون في الأزل لكن أرسل له موسى وأقام عليه الحجة فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم{وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ }[الزمر]. يرضى لنا الشكر ويأبى علينا الكفر ولا ينبغي للشخص أن يتعمق في باب القدر فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:{إذا ذكر القدر فأمسكوا}(١٨٦).
فربما أفضى بالشخص إذا تعمق في هذا الباب إلى الإعتراض ولكن عليك أن توقن أن الله سبحانه وتعالى أراد الخير ولم يرد الشر وهو الذي قدر هذا وقدر هذا بل قد اعترض هناك بعض اليهود وجعل قصيدة كبيرة ألقاها على شيخ الإسلام ابن تيمية اعتراض يقول : كيف قضى بكفري ومع ذلك يعذبني اعتراض فارتجز له شيخ الإسلام ابن تيمية قصيدة مدوية جاء في مطلعها :

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية

تسمى القصيدة التائية ردّ بها على أحد اليهود يهودي وعنده علم من هذا الباب يقول : كيف جعلني يهودياً ومع ذلك سيعذبني وهو الذي قدر عليّ ذلك ولكن عليك أن تعلم يقيناً أن الله سبحانه وتعالى له حكمته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاسأل ربك النجاة والخلاص والتمس رضا الله وسل ربك التوفيق والسداد حتى يتوفاك من المسلمين
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

---

١٨٤) صحيح: رواه أحمد(١٥٥٧٨) والترمذي(٢١٤٧) والحاكم(١٢٧) وغيرهم. عن أبي عزة .
ورواه أحمد(٢٢٠٣٥) والترمذي(٢١٤٦) والحاكم(١٢٥)وغيرهم. عن مطر بن عكامس.
والحديث جاء عن غيرهم من الصحابة. وصححه الألباني: صحيح الجامع(٧٣٥) والصحيحة(١٢٢٢).
١٨٥) هذه الأبيات في: المستطرف(٥٥٣/٢) وتفسير روح البيان(٧٨/٧) وفيض القدير(٥٣٤/١)والتذكرة للقرطبي (٩٣/١)
١٨٦) صحيح: رواه الطبراني في الكبير(١٠٤٤٨) وأبو نعيم في الحلية(١٠٨/٤) والهيثمي في زوائد مسند الحارث(٧٤٢) وابن عدى (٢٤/٧ ، ترجمة ١٩٦٣ النضر بن معبد) والديلمى (٣٣٦/١ ، رقم ١٣٣٧) وابن أبي زمنين في رياض الجنة(١٨٦). عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه الطبراني في الكبير(١٤٢٧) عن ثوبان رضي الله عنه.
ورواه ابن عدى (١٦٢/٦ ترجمة ١٦٥٠ حمد بن الفضل بن عطية) عن ابن عمر. وأبو القاسم الجرجاني في تاريخ جرجان (٤٩٤) . وصححه الألباني في : صحيح الجامع(٥٤٥) والصحيحة(٣٤).

* * * * *

[٤٧] ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل.
قال الله تعالى : { لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل }[النساء ١٦٥] .

.....

الشرح:
قال الشيخ محمد الصالح العثيمين : [القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية:
أفعال العباد كلها من طاعات ومعاص كلها مخلوقة لله كما سبق ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية وذلك لأدلة كثيرة منها :
١ـ إن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسباً له فقال:{ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت }[غافر ١٧] ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقُدرة عليه ما نسب إليه .
٢ـ إن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع لقوله تعالى:{ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها } [البقرة٢٨٦] { فاتقوا الله ما استطعتم }[التغابن].
ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل أو الكف لأن المجبور لا يستطيع التخلص . ٣ـ أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الإختياري والإجباري وأن الأول يستطيع التخلص منه .
٤ـ أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قُدِّر له وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول : هذا ما قُدِّر لي .
٥ـ أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة :{ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء:١٦٥] ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل].
هذه فائدة مهمة جداً : وهو أن علماءنا يقولون : لا يجوز للعاصي أياً كانت هذه المعاصي كبائر صغائر أو حتى شرك لا يجوز له أن يحتج بقدر الله بعد فعله للمعصية عمل المعصية إذا بكّت قال : قدر علي سرق قال : قدر الله عليّ السرقة زنا قال : قدر الله عليّ أن أزني قتل قال : قدر الله عليّ أن أقتل فعل كذا وكذا من المعاصي صغيرها وكبيرها قال : قدرها الله سبحانه وتعالى ، هذا كلام صحيح ولكن الإحتجاج بالقدر على الفعل غير صحيح فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل إقامة الحجة على الناس وقدر الله سبحانه وتعالى عقوبات ، أولاً حرمها وقال سبحانه :{ تلك حدود الله } [البقرة ١٨٧] جعل الله سبحانه وتعالى حدود وآيات وأحاديث زاجرة في هذا الباب حتى لا يغتر بها العبد فإن فعل العبد شيئاً من ذلك صحيح أنه بتقدير من الله لكن أيضاً باختيار من العبد نفسه قال تعالى : {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ }[الشورى٣٠].وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[الروم٤١].

فكان هذا من كسب العبد فالقدرية حينما سلبوا القدرة عن الله سبحانه وتعالى مخطئون وكذلك أيضاً الجبرية لما جعلوا العبد مجبور على كل شيء وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتصرف فيه .

القدرية سلبوا القدرة عن الخالق فبعضهم نفى القدر عن الله وبعضهم قال : يعلم الأمر أنف أي بعد وقوعه وبعضهم قال : يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات وهذا كله افتئات وتجرؤ على أرحم الراحمين فالله سبحانه وتعالى علم وكتب وخلق وشاء وهذه هي أركان القدر قال فرعون لموسى : { فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى}[طه ٥١ـ ٥٢].

وآيات كثيرة في هذا الباب.

وقال صلى الله عليه وسلم: { رفعت الأقلام وجفت الصحف }([١٨٧]).

فالقدرية يقولون : الله سبحانه وتعالى لا يعلم وبعضهم قال : إن علم فبعد وقوع الشيء .

والجبرية سلبوا القدرة من العبد وجعلوا هذا العبد بمثابة الريشة في مهب الريح تميلها الرياح يمنة ويسرة لا اعتراض لهذه الريشة على هذا الهواء أو على هذه الرياح وهذا كلام غير صحيح فالله سبحانه وتعالى له إرادة وله مشيئة وللعبد أيضاً مشيئة وإرادة فمن قدم على الخمر على الزنا على البلاء على السرقة ما كان مجبور. تقدم وهو مختار راضي بل هناك أثر ذكره الشيخ العثيمين الله أعلم بصحته أن عمر بن الخطاب رفع إليه رجل قد سرق قال : سرقت ؟ قال : قدر الله عليّ يا أمير المؤمنين قال : وأنا قدر الله أن أقطع يدك([١٨٨]).

فإذا زنى الزاني فلا بد إن كان محصناً يرجم وإن كان بكراً يجلد والقاتل إن قتل عمداً يقتل إلا إذا سمحوا عفوا أو اكتفوا بالدية ، وهكذا إذا أتى الرجل أهله في نهار رمضان وهو صحيح عقلياً يطالب بكفارة مغلظة وهكذا من حلف يميناً فحنث فيها لا بد أن يكفرها هذه كلها أيش المراد منها ؟ االمراد منها أن العبد مكلف مختار وليس مجبور على فعله لهذه الأشياء وإن الله قد أقام الحجة من الكتاب والسنة بالأدلة على هذا العبد فكان الله سبحانه وتعالى رحيماً بهذا العبد رؤوفاً به أيضاً حينما أرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتب فلا يجوز لمحتج أن يحتج بالقدر على فعله للمعاصي والسيئات أنا عملتها قدر الله عليّ. لكن هنا سؤال هل يجوز للعاصي أن يحتج بالقدر ؟

الجواب لا يجوز. وهل يجوز له أن يحتج بالقدر بعد أن يتوب إلى الله ؟ يجوز إذا كان قد تاب إلى الله سبحانه وتعالى ورجع فجاء من يبكته ويذكره بالذنب ويقول له : أنت كذا مثلما بكت فرعون موسى قال { وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ[الشعراء: ١٩ـ ٢٠]. مع أن فرعون هو أبو الفعائل يعني قتل النساء وفعل الأفاعيل بأهل مصر ولكن كما يقال : لا حول ولا قوة إلا بالله : باؤكم تجر وباؤنا لا تجر فباء فرعون كانت تجر أما باء موسى لا تجر فموسى قتل رجلاً واحداً وما أراد قتله وإنما لكمه كما قال الله في كتابه الكريم :{ فَوَكَزَهُ

---

١٨٧) صحيح: رواه أحمد(٢٦٦٩) والترمذي(٢٥١٦) والحاكم(٦٣٠٣) وأبو يعلى(٢٥٥٦) وغيرهم. عن ابن عباس . وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٧٩٥٧) والشيخ مقبل الوادعي في: الصحيح المسند(٦٩٩).

١٨٨) أخرجه ابن أبي العز في شرح الطحاوية ص(١٤٧) ط/ دار السلام وابن تيمية في منهاج السنة(١٣٧/٣).

مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ }[القصص ١٥] فإنه ما ضربه بآلة كما قال بعض المفسرين وإنما لكمه بيده فأراد الله سبحانه وتعالى قتله فمات.

فالإحتجاج بالقدر بعد التوبة جائز ما الدليل ؟

جاء في الصحيحين:{ احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى مرتين}([١٨٩]). بمعنى غلب آدم بحجته موسى عليه الصلاة والسلام ، وهذا من تفريج وتنفيس الله سبحانه وتعالى لأهل المعاصي والسيئات{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر٥٣] سمعت في بعض الأشرطة أن رجلاً لبس ثياب الصلاح وهو يحمل قلب خربان فجلس يغازل فتاة بالتلفون وبعدين على شاشة الإنترنت وكذا المهم المرأة المسكينة الرجل يمثل عليها وهي تظن أنه عفيف وكان أيضاً وقت الصلوات يستأذن يقول : الآن وقت صلاة فازدادت به ثقة على أنه رجل خربان ولكن ولا حول ولا قوة إلا بالله كما قيل([١٩٠]) :

تسمى بنور الدين وهو ظلامه ... وهذا بشمس الدين وهو له خسف

إلى أن استطاع أن يطيح بها أن يعرف أسرارها وأسرار أبيها وأمها وبيتها ووعدها بالزواج وبعدين أخذ لها صور في نهاية المطاف طلب منها الزنا فرفضت البنت تماماً وشعرت بالفضيحة والندم قالت : أما هذا فلا فقال : إن لم تمكنيني من نفسك فأنا أهددك بهذا وأشار بالشريط وهي لا تدري أنه يصورها وكذا المهم ذكر صاحب القصة أنها صارت حبيسة بيتها وكانت تجن وا..وا.. من هذا القبيل وهذا كله من الجهل وإلا كان الأولى بهذه الفتاة أن تتقي الله سبحانه وتعالى ، والحمد لله ما زالت بكراً وما زالت عفيفة والحمد لله هذه ذنوب ومعاصي تسأل من ربها سبحانه وتعالى أن يتوب عليها إن بكتها أحد وذكرها بالماضي تقول : هذا أمر قدره الله سبحانه وتعالى عليّ فيجوز للعاصي بعد أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى إن جاء من يذكره أن يحتج بالقدر لأن كثيراً من الناس إذا تاب والتزم وبُكِّت ربما ترك الإلتزام.

ذكر لنا بعض العلماء أن رجل كان في البلاد يؤذي الناس كان يسرق على الناس دجاج وبيض على قدر ذلك الزمان فمرّ جماعة التبليغ قالوا له : اخرج معنا دعوة فخرج معهم دعوة إلى الله فجلس معهم يمكن أربعين يوم ثم ذهب إلى البلاد يا إخواني اتقوا الله وخافوا الله فقال له واحد : اسكت أنت إلى أمس تسرق علينا الدجاج والبيض.

ما يجوز مثل هذا لكن ولو قيل له مثل هذا يقول صحيح أنا كنت أفعل هذا ولكن تبت إلى الله سبحانه وتعالى ورجعت إليه فعلى أية حال يا إخوان لا يجوز الإحتجاج بالقدر مطلقاً إلا بعد إحداث توبة إذا حدثت توبة وجاء من يذكرك بالذنب وحداثته فلك أن تقول هذا أمر قدره الله سبحانه وتعالى عليّ ، وأنا تائب إلى الله سبحانه وتعالى وأسأل الله أن يهديني .

---

١٨٩) متفق عليه: البخاري(٣٢٢٨، ٤٤٥٩، ٤٤٦١، ٦٢٤٠، ٧٠٧٧) ومسلم(٢٦٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١٩٠) البيت لابن الأمير الصنعاني وهو ضمن جملة أبيات في ديوانه تكلم فيها على الألقاب التي تحمل التزكية لأصحابها.

سبق وأن ذكرنا أركان القدر ولم نذكر مراتبه فمراتب القدر([١٩١]) أربع([١٩٢]):

١ـ التقدير الأزلي .
٢ـ التقدير العمري .
٣ـ التقدير السنوي .
٤ـ التقدير اليومي .

المرتبة الأولى: التقدير الأزلي: تقدمت لنا بعض الأدلة منها قوله تعالى: { وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير}[الحديد ٢٢].

وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم{ إن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : ما كان وما يكون إلى قيام الساعة }([١٩٣]).

وحديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم:{كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وكان عرشه على الماء }([١٩٤]). هذا التقدير الأزلي ومنه حديث ابن عباس : { رفعت الأقلام وجفت الصحف }([١٩٥]).

وحديث أبي الدرداء في مسند أحمد ذكره شيخنا مقبل في مسنده الصحيح في القدر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ إن الله فرغ إلى كل عبد من خمس من وأجله ورزقه وأثره وشقي أو سعيد}([١٩٦]). وحديث أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :{ إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وتستكمل أجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحمل أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته}([١٩٧]).

---

١٩١) الصواب : أن هذه الأمور متعلقة بمرتبة ـ أو ركن ـ الكتابة فقط.

١٩٢) فائدة : زاد بعض العلماء تقديراً خامساً: وهو تقدير كتابة الميثاق يوم ألست بربكم: وفيه خلاف.
قال السعدي في المعارج(٢٠٤/٢مكتبة الصفا / ١٤٢٤هـ) والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة مقادير:
الأول التقدير الأزلي : قبل خلق السماوات والأرض ، وذكر أدلته.
ثم قال : التقدير الثاني من تقادير الكتابة كتابة الميثاق يوم ألست بربكم قال تعالى: { وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نصرف الآيات ولعلهم يرجعون الأعراف ١٧٢ـ ١٧٤].
وقال تبارك وتعالى وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين} [الأعراف ١٠٢].وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم فقال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي وقال للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أبالي } رواه أحمد(٢٧٥٢٨) [وصححه الألباني في: المشكاة(١١٩) والصحيحة(٤٩). وذكر السعدي أدلة أخرى انظرها للفائدة.

١٩٣) صحيح: وقد سبق قريبا.

١٩٤) في مسلم: وقد سبق قريبا.

١٩٥) صحيح: وقد سبق قريبا.

١٩٦) صحيح : وقد سبق قريبا

١٩٧) صحيح: رواه الحاكم(٢١٣٦) والطبراني في الكبير(٧٦٩٤) وعبد الرزاق(٢٠١٠٠) والبيهقي في الشعب(١١٨٥) وأبو نعيم في الحلية(٢٧/١٠) وغيرهم.
وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٢٠٨٥) وصحيح الترغيب(١٧٠٠) والصحيحة(٢٨٦٦) والظلال (٤٢٠)،
والحديث جاء عن ابن مسعود وأبي أمامة وجابر وحذيفة رضي الله عنهم. وجاء عن غيرهم.

هذه المرتبة الأولى التقدير الأزلي وإذا علمنا هذا والله شعرنا بالراحة والسكينة والسعادة والطمأنينة والخير كله ، لما تشعر أن الله سبحانه وتعالى قد حكم وقضى وانتهى الأمر .

المرتبة الثانية: التقدير العمري : ودليل هذا حديث ابن مسعود لما قال ابن مسعود : حدثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : { إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك } قالوا العلقة الدماء المتجمدة {ثم مضغة مثل ذلك } قطعة من اللحم قال: { ثم يرسل إليه الملك وينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد }([١٩٨]).

هذا التقدير العمري وهذا فيما يكون بأيدي الملائكة .

المرتبة الثالثة : التقدير السنوي: وهذا ما عناه الله بقوله:{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }[القدر ١].

فقد قال بعض المفسرين : ليلة القدر من التقدير، وقال بعضهم: المراد بالقدر الشرف هذا رجل قدير بمعنى ذو شرف {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ }[القدر ٢] أعظم الله شأنها وأيضاً آية أخرى تفسر هذا قال سبحانه : {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ }[الدخان٤] فقد قال بعض المفسرين : المراد بذلك إعطاء أناس وحرمان آخرين وإعاشة أناس وإماتة آخرين.

هذا التقدير يكون لمدة عام يكون في ليلة القدر وهي في رمضان ليس كما يقول بعض الفقهاء أنها قد تكون في شعبان أو في رجب وبعضهم قال : تكون في جميع شهور السنة ، لا وإنما في شهر رمضان في وتر من العشر الأواخر كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم :{ التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى}([١٩٩])

قال صلى الله عليه وسلم : { تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان}([٢٠٠]).

هذا الذي استقر عليه رأي كثير من المحققين .

المرتبة الرابعة: التقدير اليومي: ودليله قوله سبحانه وتعالى:{ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}[الرحمن٢٩].

وحديث: { ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً }([٢٠١]).

فهذه المراتب هي مراتب القدر وكلها بيد الله سبحانه وتعالى ولو علم العبد مثل هذا استراح لأن أرزاقنا هي أصلاً قد أنزلها الله سبحانه وتعالى هي موجودة في الكون ولكن عبارة عن أيام يعني قد يصلك اليوم غداً بعد سنة بعد سنتين هو أمر قدره الله سبحانه وتعالى وانتهى وأمر مفروغ منه فلا ينبغي للشخص يعني إن يكثر الحسرة والوسوسة والسؤال والتجني بل ربما بعضهم والعياذ بالله سخط على الله وعلى أقدار الله سبحانه وتعالى وما الذي حمل الشيوعيين والدهريين إلا هذا وهو أنهم لم يرضوا بتقدير الله سبحانه وتعالى ما رضوا بتقدير الله سبحانه وتعالى وهكذا بعض الفلاسفة حينما نظروا إلى هذه الأدلة ما تلاءمت مع عقولهم فكان بعضهم عنده الرفض وبعضهم

---

١٩٨) رواه الجماعة: وقد سبق قريبا.

١٩٩) رواه البخاري(١٩١٧) وأحمد(٢٠٥٢) وأبو داود(١٣٨١) وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢٠٠) متفق عليه: رواه البخاري (١٩١٣، ١٩١٥، ١٩١٦) ومسلم(١١٦٩) عن عائشة رضي الله عنها

٢٠١) متفق عليه: رواه البخاري(١٣٧٤) ومسلم(١٠١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

التوسط وذلك أنهم لم يحكموا في ذلك أمر الله ولا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق الشاعر الذي ردّ على الشهرستاني([٢٠٢]) لما قال :

لعـلك أهمـلت الطـواف بمعهـد الرسول ومن والاه من كل عالم
فما خاب من يهدي بهدي محمد ولسـت تـراه قـارعـاً سـن نـادم

كتب ألفت في هذا الباب من أعظمها وأشملها شفاء العليل لابن القيم رحمه الله تعالى وابن تيمية له ردّ على أحد اليهود وقد كان معترضاً على القضاء والقدر كذلك أيضاً شيخنا مقبل رحمه الله ألف كتاباً بعنوان : الجامع الصحيح في القدر ، نقل من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وكذلك من كلام العز بن عبد السلام من شرح الطحاوية وكذلك ما ذكره البخاري في صحيحه واستدلّ بالآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب.

وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة فيجب على الشخص أن يعتصم به لا سيما في نوائب الحياة والزمان ، بعض الناس ربما تجده يخاف من ظله ، بل بعض الناس يفكر يقول : لو أمريكا مثلاً منعت علينا.. طيب بقي أمر الله الأمور بيد الله أين قدر الله أين قول الله سبحانه:{ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[البقرة٢٠] أيش معنى قوله : { قدير} فبعضهم والعياذ بالله يصاب بالإحباط واليأس والقنوط هذا ما يكون ناتج إلا عن جهل وقلة فقه وتصور وإلا فالمؤمن دائماً ينظر إلى الخير وإلى التفاؤل لماذا ؟

لأن الأمور بيد الله سبحانه وتعالى فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ماذا نريد بعد هذا ؟ الأمور بيد الله سبحانه وتعالى فما قضاه الله وقدره فلا بد أن يحله في هذا الكون لا بد أن يكون ما أراده الله سبحانه وتعالى.

في الفترة التي مرّ بها الجهاد الأفغاني مثلاً هددت روسيا الشيوعية المجاهدين الأفغان وكذلك بعض الدول القريبة من الأفغان هددت المجاهدين مجاملة لروسيا لأن روسيا كانت دولة عظمى ولا زالت إلى الآن عندها من القوة والصناعة والجنود والآلات ، فقالوا : نمنع عليكم الإمدادات لأن الإمدادات تأتي عن طريق الدول المجاورة فنمنع عليكم جميع الإمدادات هكذا فكان بعض المجاهدين كجميل الرحمن وغيره قالوا بقي باب السماء لن تستطيعوا أن تمنعوا علينا باب السماء ثم بعد ذلك تدخلت بعض الدول وفرج الله سبحانه وتعالى عنهم وأولئك تهددوهم إنما يعني بكلام وما أثر بهم ذلك شيء.

والخلاصة في هذا الباب أيها الأخوة أن الناس انقسموا في فهم القدر إلى طرفين ووسط .

فأما الطرف الأول: فهم غلاة في إثباته غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد القدرة تماماً وهم الجبرية قالوا الإنسان مجبور على كل شيء على فعل الطاعات والمعاصي وهذا فهم سقيم لأنهم نظروا إلى النصوص بعين عوراء أو عشواء ما فهموا النص استدلوا بقوله سبحانه:{ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى }[الأنفال١٧]. مهملين بقية النصوص في هذا الباب هذا هو القسم الأول وهم غلاة في إثباته أثبتوه حتى جعلوا العبد مسلوب الإرادة والقدرة والمشيئة والله سبحانه وتعالى أثبت لنا مشيئة وإرادة قال : {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ }[الإنسان٣٠]و[التكوير٢٩].

---

٢٠٢) الشهرستاني : سبقت ترجمته مع أبياته والرد عليها من هذا الشاعر هنا وهناك والشاعر الذي رد عليه هو ابن الأمير الصنعاني رحمه الله تعالى .

الطرف الثاني: غلاة في نفي القدر يقولون إن العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة ولا قدرة ولا خلق فجعلوا العبد شريكاً لله سبحانه وتعالى في تصرفاته وهؤلاء هم القدرية وأول من قال بالقدر معبد الجهني([٢٠٣]) في بلاد البصرة ولما جاء قوم إلى ابن عمر وسألوه عمن نفى القدر فقال للسائل: [إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر..] ([٢٠٤]) ثم حدثهم بحديث جبريل المشهور. هؤلاء جعلوا للعبد قدرة وسلبوها عن الله فبعضهم نفى علم الله والبعض نفى علمه بالجزئيات وقال : يعلم الكليات وبعضهم قال : إنما يعلمه أنف .

القول الوسط : هم أهل الأمة الوسط وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقبلهم الأنبياء ومن سار على ما ساروا عليه إلى يوم القيامة ، أهل السنة والجماعة مذهب السلف الصالح أثبتوا القدرة لله سبحانه وتعالى وأوجبوا على العبد أن يؤمن به خيره وشره وأن يرضى ويسلم كذلك أيضاً أثبتوا للعبد إرادة وقدرة ومشيئة وأن الله سبحانه وتعالى كلف هذا العبد بما يستطيع لا بما لا يستطيع فالله سبحانه رحيم وحكيم فكلفه بما يستطيع له ولن يعاقبه إلا على تفريط هو قادر على أن يفعله فلذلك رفع الله سبحانه وتعالى قلم التكليف عن المجنون وعن الصغير وعن النائم وعن المكره {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ }[النحل ١٠٦]. فهؤلاء هم الذين هداهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة هم الذين هداهم الله سبحانه وتعالى ففازوا بخيري الدنيا والآخرة إن شاء الله.

هنا بين يدي كلام هو لما تقدم لنا والشارح له هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله تعالى نقرؤه من باب الفائدة وتوثيقها أيضاً فيقول رحمه الله معلقاً على كلام ابن قدامة :[ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه].

قال حفظه الله: شرح: [مسألة القدر:انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام:

قسم أنكروا قدرة الله . وقسم احتجوا بالقدر.

وقسم توسطوا ولم يجعلوا القدر حجة لهم على المعاصي ولكنهم يحتجون به على المصائب بعد حدوثها.

---

٢٠٣) معبد الجهني: يقال انه ابن عبدالله بن عكيم ويقال ابن عبدالله ابن عويم ويقال ابن خالد. البصري: صدوق لكنه قدري مشهور نهى الحسن عن مجالسته وكان يقول هو ضال مضل: أول من قال بالقدر في البصرة في زمن الصحابة. أخذه عن رجل نصراني يقال له سوس وعنه أخذ غيلان بن مسلم الدمشقي وإليه تنسب الغيلانية.
سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما. روى عنه قتادة ومالك بن دينار وعوف الأعرابي. ثقة في الحديث، من التابعين وثقه العجلي وابن معين. قال الذهبي : كان من علماء الوقت على بدعته. حضر يوم التحكيم بين علي ومعاوية. وانتقل من البصرة إلى المدينة، فنشر فيها مذهبه. وخرج مع ابن الأشعث في الفتنة أيام الحجاج قتل سنة (٨٠هـ - ٦٩٩م) .
أنظر: الأعلام للزركلي(٢٦٤/٧) والتأريخ الكبير(٣٩٩/٧ رقم ١٧٤٥) والجرح والتعديل(٢٨٠/٨ رقم ١٢٨٢) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٣) والبداية والنهاية (٤٢/٩) وتهذيب الكمال(٢٤٤/٢٨ رقم ٦٠٧٩) وتأريخ الإسلام(١٩٩/٦) وسير الأعلام(١٨٥/٤ ترجمة: ٧٦)

٢٠٤) رواه مسلم(٨) وأبو داود(٤٦٩٥) والترمذي(٢٦١٠) وابن حبان(١٦٨) والبيهقي في الشعب(١٨٠) والكبرى(٢٠٦٦٠)

القسم الأول: المعتزلة خمسة، ولهم الذين أنكروا قدرة الله هم المعتزلة، وأصول كتاب مطبوع اسمه (الأصول الخمسة) للقاضي عبد الجبار، وأصولهم الخمسة أسماؤها حسنة، ولكن يدخل تحت تلك الأسماء بدع:

الأصل الأول: التوحيد، ويريدون به نفي الصفات.

والأصل الثاني: العدل، ويريدون به نفي قدرة الله على العباد كما سيأتي.

والأصل الثالث: المنزلة بين المنزلتين، ويريدون به إخراج العاصي من الإيمان وعدم إدخاله في الكفر.

والأصل الرابع: إنفاذ الوعيد، ويريدون به تخليد العصاة في النار.

والأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون به الخروج على الأئمة العصاة في زعمهم. فالذي يهمنا هو الأصل الثاني، وهو العدل، فالاسم حسن، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل) (النحل:٩٠)، (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)(النساء:٥٨)، ومعروف أن العدل هو التسوية بين الخصمين، والحكم بينهما بحكم وسط لا ظلم فيه ولا جور، ولا ميل مع أحدهما على الآخر كما في قوله تعالى: (اعدلوا هو أقرب للتقوى)(المائدة:٨). ولكن يريدون بالعدل أن الله تعالى لا يقدِّر المعصية على العاصي، ثم يعذبه عليها فإن ذلك يكون ظلماً، ويقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعله، وهو الذي يستقل بأفعاله، ولا قدرة لله على فعله، ولا يقدر على أن يهدي أو يضل، ولا يُقبل بقلب هذا، ولا يصد قلب هذا، فالله -عندهم- عاجز عن هذا - تعالى الله عما يقولون- بل العباد أنفسهم هم الذين يستقلون بأفعالهم. فجعلوا العبد خالقاً مع الله، ولهذا يسمون مجوس هذه الأمة؛ لأنهم جعلوا مع الله من يخلق؛ لأن المجوس جعلوا الكون صادراً عن خالقين: النور والظلمة، وأما المعتزلة فجعلوا العباد كلهم يخلقون؛ الطائع يخلق طاعته، والعاصي يخلق معصيته.

وقالوا: إن الله ليس له قدرة عليه بل العاصي يعصي الله، ولو شاء الله أن يرده ما قدر على أن يرده، إذا أراد العبد أن يفعل معصية، وأراد الله أن لا يفعلها غلبت قدرة العبد على قدرة الله، وإذا أراد الله أن تُفعل طاعة من العبد، والعبد أراد أن يفعلها غلبت قدرة العبد على قدرة الله، فهذا في زعمهم سموه عدلاً، حتى لا يعذب الخلق على الأمر الذي خلقه فيهم، هذا قول القدرية وهم المعتزلة.

القسم الثاني: يسمون الجبرية وهم طائفة من الأشاعرة غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته وإرادته، وقالوا: ليس للعبد أية اختيار، بل العبد مجبور على فعله مقسور عليه، ليس لديه أي نظر ولا همة ولا إرادة، ويتمثل بعضهم بقوله([٢٠٥]):

ألقاه في أليمّ مكتوفاً وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء

يقولون: إن الله هو الذي أوقعه في المعصية وخلقها فيه، وقدرها عليه، وألزمه بها، ومع ذلك يقول له: لا تعص، لا تقرب المعصية، لا تفعلها، فهو كمن كُتفت يداه، وألقي في البحر، وقيل له: لا تبل ثيابك بالماء، هذا غير ممكن.

---

٢٠٥) البيت ينسب للحلاج كما في وفيات الأعيان(١٤٣/٢) وعزاه المحقق إحسان عباس إلى ديوان الحلاج ص(١٢٢)

وذكروا أن يهودياً لعله قدري أو من هؤلاء الجبرية جاء إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ورفع إليه أبياتاً يقول في أولها:

أيـا علمـاء الـديـن ذمـي دينـكم تحيـر دلّـوه بـأوضـح حجـة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسدّ الباب دونـي فهل إلى دخولي سبيل بيّنوا لي قضيتـي

فيقول: هو بمنزلة من دعاني وسد الباب دوني ولامني على ذلك.

فأجاب شيخ الإسلام نظماً وارتجالاً وجعل يكتب وهو جالس، ويعتقدون أنه يكتب نثراً وإذا هو يكتب نظماً في المنظومة التائية الموجودة في المجلد الثامن من مجموع الفتاوى والتي أولها:

سؤالك يا هذا سؤال معانـدٍ مخاصم رب العرش باري البرية
ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلـى النـار طُـراً معشـر القدريـة
سواءٌ نفوه أو سعوا ليخاصـمـوا بـه الله أو مـاروا بـه فـي الخليقة[٢٠٦]

وقد زادت المنظومة على مائة وثلاثين بيتاً، أو نحوها، وبين له: إنك مخصوم، وإنك تقر على نفسك بأنك مخصوم، وإن الذين يحتجون بالقدر متناقضون، فهم يقولون هذه المقالات حتى يحتجوا على فعل المعاصي بوجودها، وأنشد ابن القيم في بعض كتبه[٢٠٧] قول بعضهم:

وضعوا اللحم للبزاة علـى ذروتـي عـدن
ثـم لامـوا البزاة إذ أطلقـوا لهـنّ الرسـن
لو أرادوا صيانتـي سترووا وجهك الحسن

يقول: إنهم يحتجون بالقدر كما يحتج الزاني مثلاً بأنهم دفعوه إلى الزنا، حيث إن النساء تكشفت أمامه فلم يملك نفسه أن اندفع؛ يقول: "لو أرادوا صيانتي ستروا وجهك الحسن) هكذا يحتجون، ولكن لا حجة لهم في ذلك لأنهم متناقضون.

ذكروا أن سارقاً جيء به إلى عمر رضي الله عنه فأراد أن يقطع يده، فقال ذلك السارق: سرقت بقدر الله فقال عمر: وأنا أقطع يدك بقدر الله [٢٠٨].؛ يعني هذا قدر وهذا قدر.

ولما توجه عمر رضي الله عنه إلى الشام وأقبل عليهم، وذكروا له أن الطاعون وقع في الشام عزم على الرجوع، فقال له أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله[٢٠٩].

يعني أن فعلنا هذا مقدر ولو فعلنا هذا لكان مقدوراً، فالقدر هو ما نفعله، القدر هو ما يهدينا الله له.

وفي الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها ودواءً نتداوى به وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟، فقال: { هي من قدر الله } [٢١٠] يعني قدَّر الله هذا المرض، وقدَّر أن العبد يتداوى فيشفى، وهذه الأدوية مكتوب أنها سوف تحصل وهي من قدر الله، جعلها الله تعالى سبباً.

---

٢٠٦) أنظر: مجموع الفتاوى(٢٤٥/٨)

٢٠٧) أنظر: طريق الهجرتين ص(١٥٢) ومدارج السالكين(١٩٠/١).

٢٠٨) سبق قريبا.

٢٠٩) رواه البخاري(٥٣٩٧، ٦٥٧٢) ومسلم(٢٢١٩) وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما

٢١٠) ضعيف: رواه أحمد(١٥٥١٠) والترمذي(٢٠٦٥) وابن ماجة(٣٤٣٧) وغيرهم عن الزهري عن أبي خزامة عن أبيه وضعفه الألباني في : ضعيف الترمذي(٣٥٩) وضعيف ابن ماجة(٧٤٩)وفي غيرها وكان قد حسنه في تخريج المشكلة(١١) وضعفه أيضا شعيب في تحقيق المسند(٤٢١/٣).

وعلى هذا فلا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي، وذلك لأن القدر إنما هو موافقة الأمر والنهي، فالإنسان مأمور بأن يفعل، فإذا فعل فقد وافق القدر، وليس له أن يحتج بالقدر على ترك الفعل أو على فعل المحرم (قل فلله الحجة البالغة)(الأنعام:١٤٩).

فكما أن الله تعالى أمرنا بفعل الأسباب الحسية وجعلها من القدر، فكذلك أمرنا بالأفعال المعنوية وجعلها من القدر، فنحن مأمورون مثلا بأن نتكسب ونطلب الرزق، ويكون هذا بقدر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: { لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً }([٢١١]) فكما أن الطير لا تجلس في وكناتها، ولا في أوكارها، بل تغدو وتذهب وتتطلب الرزق حتى تجده، فالإنسان يسعى ويفعل الأسباب ويكسب، ويطلب الرزق، ويمشي في الأسواق، ويبيع ويشتري ويحترف، وفعل هذا من قدر الله تعالى ومن قضائه المكتوب عليه.

وكذلك أيضاً لا يقول: سأسكت فلا أتكلم فإن هذا قدر، نقول له: انطق وتكلم وذلك أيضاً من القدر.

ولا يقول: سوف أمسك عن الأكل فإن الله قدر أن أعيش عشت، وإلا فلا، نقول: لا بل أطعم الطعام، وغذ بدنك فإن هذا مما أمرت به، وهو من الأسباب في حياتك، وهو أيضاً من القدر. ولا يقول: لا أتزوج فإن كان الله قدر لي أولاداً حصلوا بدون زواج، نقول: لا، بل تزوج حتى يحصل ما قُدّر لك. وهكذا التعلم وما أشبهه، كلها بقضاء وقدر، ولابد أن يفعل العبد هذه الأسباب حتى يوافق ما قدر الله وما كتبه.

نقول بعد ذلك: إن أهل السنة توسطوا في ذلك فجعلوا للعبد قدرة، وجعلوا لله تعالى قدرة، وقدرة الله تعالى غالبة على قدرة العبد، وبقدرة العبد التي أعطاه الله إياها والتي مكنه بها يحصل الثواب والعقاب على هذه القدرة.

فلا شك أن الإنسان معه قدرة، ومعه تمكن، وأنه لو لا هذه القدرة ما كُلف، وفي الآيات التي تقدمت ذكر الأدلة على ذلك: (لا يكُلف الله نفساً إلى وسعها)(البقرة:٢٨٦) فلو لم يكن للإنسان قدرة لما كلف، ولهذا لا يكلف المجنون، ولا العاجز، ولا المقعد، ولا المريض، ولا فاقد القدرة. وقوله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم)(التغابن:١٦) يعني أن للعباد استطاعة وقدرة يزاولون بها أعمالهم، وهكذا الآيات التي فيها الأوامر والنواهي التي يوجهها الله إلى العباد: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (المزمل:٢٠)، (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)(الإنعام:١٥١)، ونحو ذلك.

ولو لم يكن للعباد قدرة ما وجهت إليهم هذه الأوامر، فدل على أن الله أعطاهم قدرة يزاولون بها الأعمال، ويصح بها أن يكونوا مكلفين، ويصح أن تنسب إليهم أفعالهم فيقال: هذا هو القاتل فاقتلوه، هذا هو الزاني فارجموه، هذا هو السارق فاقطعوه، ويقال: هذا هو المصلي يستحق الثواب، هذا

ويغني عن هذا الحديث ما رواه أحمد(١٨٤٧٧) وأبو داود(٣٨٥٥) والترمذي(٢٠٣٨) والنسائي في الكبرى(٧٥٥٣) وابن ماجة(٣٤٣٦) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٢٩٣٠، ٧٩٣٤) والمشكاة(٤٥٣٢) عن أسامة بن شريك قال قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى ؟ قال نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو قال دواء إلا داء واحد قالوا يا رسول الله وما هو ؟ قال الهرم] وقد جاءت أحاديث صحيحة بهذا المعنى أنظر: غاية المرام ص(١٧٨ رقم ٢٩٢). والمعنى: كما أن الله قدر الداء فقد قدر الدواء.

٢١١) صحيح: وقد سبق.

هو الصائم له أجر صيامه، هذا هو المتصدق يضاعف الله أجره، فتنسب إليه أفعاله لأنها صدرت منه، وإن كانت مقدرة ومقضية ومخلوقة لله أزلاً، ولكن لما باشرها نسبت إليه فهي أفعاله.

فلا يجوز أن يقال: ليس للعبد أية قدرة أصلاً، فهذا قول الجبرية، ولا يقال: ليس لله قدرة أصلاً فهذا قول المعتزلة، بل لله قدرة عامة وللعبد قدرة خاصة، وقدرة الرب غالبة على قدرة العبد، ودليل ذلك في القرآن قوله تعالى: (لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله)(التكوير:٢٨-٢٩)، (فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله)(المدثر:٥٥-٥٦)، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً * وما تشاءون إلا أن يشاء الله)(الإنسان:٢٩-٣٠)، ونحو ذلك من الآيات.

فالاحتجاج بالقدر هو قول المشركين الذين يقولون: (لو شاء الرحمن ما عبدناهم)(الزخرف:٢٠)، (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه)(يس:٤٧)، فهؤلاء الجبرية الذين يحتجون بالقدر قولهم موافق لقول المشركين، والغالب أنهم لا يحتجون به إلا عند أهوائهم؛ ولهذا يقول ابن القيم في الميمية.

وعند مراد الله تفنى كميّت ... وعند مراد النفس تُسدي وتُلحِمُ

وعند خلاف الأمر تحتج بالقضا ... ظهيراً على الرحمن للجبر تزعم[٢١٢]

يعني تزعم أنك مجبور، فحصل في ذلك تقسيم الطوائف إلى ثلاث:

الذين يقولون: إن العبد هو المستقل بفعله، وهؤلاء هم القدرية، وكذلك ينكرون قدرة الله ويدعون أن الله يعصى قهراً.

وطائفة مجبرة؛ الذين ينكرون قدرة العبد أصلاً، ويقولون: ليس له شيء من الفعل، فحركته كحركة المرتعش الذي لا يقدر على إمساك يده، أو حركته كحركة الشجرة التي تحركها الرياح بدون اختيارها فليس له أية قدرة.

وقول أهل السنة: أن له قدرة وإرادة وأنه بحسبها يثاب ويعاقب وإن كانت خاضعة لقدرة الله تعالى]. هذا خلاصة ما ذكره الشيخ الجبرين حفظه الله تعالى[٢١٣] .

هذا ردّ ابن تيمية على اليهودي : قال : سؤال عن القدر أورده أحد علماء الذميين فقال :

أيا علماء الدين ذمّي دينكم * * * تحيّر دلوه بأوضح حجّة

إذا ما قضى ربّي بكفري بزعمكم * * * ولم يرضه منّي فما وجه حيلتي

دعاني وسدّ الباب عنّي ، فهل إلى * * * دخولي سبيلٌ بيّنوا لي قضيّتي

قضى بضلالي ثمّ قال ارْضَ بالقضا * * * فما أنا راض بالّذي فيه شقْوتي

فإنْ كُنْتُ بالْمَقْضيِّ يا قَوْمُ راضيا * * * فربّي لا يرْضى بشُؤْم بليّتي

فهَلْ لي رضا ما ليْسَ يرْضاهُ سيِّدي * * * فقَدْ حِرْتُ دُلُّوني عَلى كَشْفِ حيرَتي

إذا شاءَ ربِّي الْكُفْرَ منِّي مَشيئَةً * * * فهَلْ أنا عاصٍ في اتِّباعِ الْمَشيئَةِ

وهَلْ لي اخْتيارٌ أنْ أُخالِفَ حُكْمَهُ * * * فبِاللَّهِ فاشْفُوا بِالْبَراهِينِ عِلَّتي

فَأَجَابَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَد ابْنُ تَيْمِيَّة مُرْتَجِلًا :

الحمد لله رب العالمين

سُؤَالُكَ يَا هَذَا سُؤَالُ مُعَانِدٍ * * * مُخَاصِمِ رَبِّ الْعَرْشِ بَارِي الْبَرِيَّةِ

---

٢١٢) أنظر: طريق الهجرتين ص(٩٤)

٢١٣) أنظر: الإرشاد شرح لمعة الإعتقاد للجبرين ص(٢٢٥- ٢٣٣)

فَهَـذَا سُـؤَالٌ خَـاصَـمَ الْمَلأَ الْعُـلا * * * قَـدِيمًـا بِـهِ إِبْلِيسُ أَصْـلُ الْبَلِيّـَةِ
وَمَنْ يَكُ خَصْمًا لِلْمُهَيْمِنِ يَرْجِعَنْ * * * عَلَـى أُمِّ رَأْسٍ هَـاوِيًـا فِـي الْحَفِيـرَةِ
وَيُدْعَـى خُصُومُ اللَّهِ يـوْمَ مُعَـادِهِـمْ * * * إِلَـى النَّـارِ طَـرًّا مَعْشَـرَ الْقَـدَرِيَّـةِ
سَـوَاءٌ نَفَوْهُ ، أَوْ سَعَـوْا لِيُخَاصِـمُوا * * * بِـهِ اللَّـهَ أَوْ مَـارَوْا بِـهِ لِلشَّـرِيعَـةِ
وَأَصْلُ ضَلالِ الْخَلْقِ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ * * * هُوَ الْخَوْضُ فِي فِعْلِ الإِلَـهِ بِعِلَّـةِ
فـإنـهمـو لَـمْ يَفْـهَـمُـوا حِكْـمَـةً لَـهُ * * * فَصَـارُوا عَلَـى نَـوْعٍ مِنْ الْجَاهِلِيّـَةِ
فَـإِنَّ جَمِيـعَ الْكَـوْنِ أَوْجَـبَ فِعْلَـهُ * * * مَشِيـئَـةُ رَبِّ الْخَلْقِ بَـارِي الْخَلِيـقَةِ
وَذَاتُ إِلَـهِ الْخَلْـقِ وَاجِبَـةٌ بِمَـا * * * لَهَـا مِنْ صِفَـاتٍ وَاجِبَـاتٍ قَدِيـمَةِ
مَشِيـئَتُـهُ مَـعَ عِلْمِـهِ ثُـمَّ قُـدْرَةٌ * * * لَـوَازِمُ ذَاتِ اللَّـهِ قَـاضِـي الْقَضِـيَّةِ
وَإِبْـدَاعُـهُ مَـا شَـاءَ مِنْ مُبْدِعَـاتِـهِ * * * بِهَـا حِكْمَـةٌ فِيـهِ وَأَنْـوَاعُ رَحْمَـةِ
وَلَسْنـَا إِذَا قُلْنَـا جَـرَتْ بِمَشِيـئَـةٍ * * * مِـنْ الْمُنْكِـرِي آيَـاتِـهِ الْمُسْتَقِيـمَـةِ
بَلْ الْحَـقُّ أَنَّ الْحُكْمَ لِلّـَهِ وَحْـدَهُ * * * لَـهُ الْخَلْقُ وَالأَمْـرُ الَّذِي فِي الشَّرِيعَـةِ
هُـوَ الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ فِي كُـلِّ حَالَـةٍ * * * لَـهُ الْمُلْكُ مِـنْ غَيْـرِ انْتِقَاصٍ بِشِـرْكَةِ
فَمَـا شَـاءَ مَـوْلانَـا الإِلَـهُ فَـإِنَّـهُ * * * يَكُـونُ وَمَـا لا لا يَكُـونُ بِحِيـلَـةِ
وَقُدْرَتُـهُ لا نَـقْصَ فِيـهَا وَحُكْمُـهُ * * * يَعُـمُّ فَلا تَخْصِيصَ فِـي ذِي الْقَضِيَّةِ
أُرِيـدَ بِـذَا أَنَّ الْحَـوَادِثَ كُلّـَهَا * * * بِقُدْرَتِـهِ كَانَتْ وَمَحْـضِ الْمَشِيـئَـةِ
وَمَـالِكُنَا فِـي كُلِّ مَـا قَـدْ أَرَادَهُ * * * لَـهُ الْحَمْـدُ حَمْـدًا يَعْتَلِـي كُلَّ مَدْحَةِ
فَـإِنَّ لَهُ فِـي الْخَلْقِ رَحْمَتَـهُ سَـرَتْ * * * وَمَـنْ حَكَـمَ فَـوْقَ الْعُقُولِ الْحَكِيمَةِ
أُمُـورًا يَحَارُ الْعَقلُ فِيـهَا إِذَا رَأَى * * * مِـنْ الْحِكَـمِ الْعُلْيَـا وَكُـلَّ عَجِيـبَةِ
فنؤمـن أَنَّ اللّـَهَ عَـزَّ بِقُـدْرَةٍ * * * وَخَلْقٍ وَإِبْـرَامٍ لِحُكْمِ الْمَشِيـئَـةِ
فَنُـثْبِتُ هَـذَا كُلـَّهُ لِـإِلَـهِـنَـا * * * وَنُثْبِتُ مَـا فِـي ذَاكَ مِنْ كُلّ حكمـة
وَهَـذَا مَقَـامٌ طَالَمَا عَجَـزَ الأُولَى * * * نَفَـوْهُ وَكَـرُّوا رَاجِعِيـنَ بِحِيـرَةِ
وَتَحْقِيقُ مَـا فِيـهِ بِتَبْيِينِ غَـوْرِهِ * * * وَتَحْـرِيـرِ حَقِّ الْحَقِّ فِي ذِي الْحَقِيقَةِ
هُوَ الْمَطْلَبُ الأَقْصَى لِوُرَّادِ بَحْـرِهِ * * * وَذَا عُسْرٍ فِـي نَظْمِ هذي الْقَصِيـدَةِ
لِحَاجَتِـهِ إِلَـى بَيَـانٍ مُحَقّـقٍ * * * لأَوْصَافِ مَـوْلانَـا الإِلَـهِ الْكَرِيمَـةِ
وَأَسْمَائِـهِ الْحُسْنَـى وَأَحْكَامِ دِينِـهِ * * * وَأَفْعَالِـهِ فِـي كُلِّ هـذي الْخَلِـيـقَـةِ
وَهَـذَا بِحَمْـدِ اللَّهِ قَدْ بَانَ ظَاهِرًا * * * وَإِلْهَامُـهُ لِلْخَلْقِ أَفْضَـلُ نِعْمَـةِ
وقـد قِيـلَ فِـي هَذَا وَخَطُّ كِتَابِهِ * * * بَيَـانُ شِفَـاءٍ لِلنُّفُـوسِ السَّقِيـمَةِ
فَقَوْلُكَ:لِمَ قَدْ شَاءَ ؟ مِثْلُ سُؤَالِ مَنْ * * * يَقُـولُ : فَلِمَ قَـدْ كَانَ فِـي الأَزَلِيّـَةِ
وَذَاكَ سُـؤَالٌ يُبْطِلُ الْعَقْلُ وَجْهَـهُ * * * وَتَحْرِيمُهُ قَدْ جَاءَ فِي كُلِّ شِرْعَـةِ
وَفِي الْكَوْنِ تَخْصِيصٌ كَثِيرٌ يَدُلُّ مَنْ * * * لَـهُ نَـوْعُ عَقْـلٍ أَنَّـهُ بِـإِرَادَةِ
وَإِصْدَارُهُ عَـنْ وَاحِـدٍ بَعْدَ وَاحِـدٍ * * * أَوْ الْقَـوْلُ بِالتَّجْـوِيزِ رَمْيَةُ حِيرَةِ
وَلا رَيْبَ فِـي تَعْلِيقِ كُلِّ مُسَبَّبٍ * * * بِمَـا قَبْلَـهُ مِـنْ عِلّـَةٍ موجبـية
بَلْ الشَّأْنُ فِي الأَسْبَابِ أَسْبَابُ مَا تَرَى*وَإِصْدَارُهَا عَنْ الْحُكْمِ مَحْضُ الْمَشِيئَةِ

وَقَوْلُكَ : لِمَ شَاءَ الْإِلَهُ ؟ هُوَ الَّذِي * * * أَزَلَّ عُقُولَ الْخَلْقِ فِي قَعْرِ حُفْرَةِ
فَإِنَّ الْمَجُوسَ الْقَائِلِينَ بِخَالِقِ * * * لِنَفْعٍ وَرَبٍّ مُبْدِعٍ لِلْمَضَرَّةِ
سُؤَالُهُمْ عَنْ عِلَّةِ السِّرِّ أَوْقَعَتْ * * * أَوَائِلَهُمْ فِي شُبْهَةِ الثنوية
وَإِنَّ ملاحيد الْفَلاسِفَةِ الْأُولَى * * * يَقُولُونَ بِالْفِعْلِ الْقَدِيمِ لِعِلَّةِ
بَغَوْا عِلَّةً لِلْكَوْنِ بَعْدَ انْعِدَامِهِ * * * فَلَمْ يَجِدُوا ذَاكُمْ فَضَلُّوا بِضَلَّةِ
وَإِنَّ مبادي الشَّرِّ فِي كُلِّ أُمَّةٍ * * * ذَوِي مِلَّةٍ مَيْمُونَةٍ نَبَوِيَّةِ
بخوضهمو فِي ذَاكُمْ صَارَ شِرْكُهُمْ * * * وَجَاءَ دُرُوسُ الْبَيِّنَاتِ بِفَتْرَةِ
وَيَكْفِيكَ نَقْضًا أَنَّ مَا قَدْ سَأَلْتَهُ * * *مِنْ الْعُذْرِ مَرْدُودٌ لَدَى كُلِّ فِطْرَةِ
فَأَنْتَ تَعِيبُ الطَّاعِنِينَ جَمِيعَهُمْ * * * عَلَيْكَ وَتَرْمِيهِمْ بِكُلِّ مَذَمَّةِ
وَتَنْحَلُ مَنْ وَالَاكَ صَفْوَ مَوَدَّةٍ * * * وَتُبْغِضُ مَنْ ناواك مِنْ كُلِّ فِرْقَةِ
وَحَالُهُمْ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلَةٍ * * * كَحَالِكَ يَا هَذَا بِأَرْجَحِ حُجَّةِ
وَهَبْكَ كَفَفْتَ اللَّوْمَ عَنْ كُلِّ كَافِرٍ * * * وَكُلِّ غَوِيٍّ خَارِجٍ عَنْ مَحَبَّةِ
فَيَلْزَمُكَ الإِعْرَاضُ عَنْ كُلِّ ظَالِمٍ * * عَلَى النَّاسِ فِي نَفْسٍ وَمَالٍ وَحُرْمَةِ
وَلا تَغْضَبَنْ يَوْمًا عَلَى سَافِكٍ دَمًا * * * وَلا سَارِقٍ مَالاً لِصَاحِبِ فَاقَةِ
وَلا شَاتِمٍ عِرْضًا مَصُونًا وَإِنْ عَلا * * * وَلا نَاكِحٍ فَرْجًا عَلَى وَجْهِ غِيَّةِ
وَلا قَاطِعٍ لِلنَّاسِ نَهْجَ سَبِيلِهِمْ * * وَلا مُفْسِدٍ فِي الأَرْضِ فِي كُلِّ وجهة
وَلا شَاهِدٍ بِالزُّورِ إِفْكًا وَفِرْيَةً * * * وَلا قَاذِفٍ لِلْمُحْصَنَاتِ بِزَنْيَةِ
وَلَا مُهْلِكٍ لِلْحَرْثِ وَالنَّسْلِ عَامِدًا * * * وَلَا حَاكِمٍ لِلْعَالَمِينَ بِرِشْوَةِ
وَكُفَّ لِسَانَ اللَّوْمِ عَنْ كُلِّ مُفْسِدٍ * * * وَلَا تَأْخُذَنْ ذَا جرمة بِعُقُوبَةِ
وَسَهِّلْ سَبِيلَ الْكَاذِبِينَ تَعَمُّدًا * * * عَلَى رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ جَاءٍ بِفِرْيَةِ
وَإِنْ قَصَدُوا إِضْلالَ مَنْ يَسْتَجِيبُهُمْ * *بِرَوْمِ فَسَادِ النَّوْعِ ثُمَّ الرِّيَاسَةِ
وَجَادِلْ عَنْ الْمَلْعُونِ فِرْعَوْنَ إِذْ طَغَى * * * فَأُغْرِقَ فِي الْيَمِّ انْتِقَامًا بِغَضْبَةِ
وَكُلَّ كَفُورٍ مُشْرِكٍ بِإِلَهِهِ * * * وَآخَرَ طَاغٍ كَافِرٍ بِنُبُوَّةِ
كَعَادٍ ونمرود وَقَوْمٍ لِصَالِحِ * * * وَقَوْمٍ لِنُوحٍ ثُمَّ أَصْحَابِ أَيْكَةِ
وَخَاصِمْ لِمُوسَى ثُمَّ سَائِرِ مَنْ أَتَى * * * مِنْ الْأَنْبِيَاءِ مُحْيِيًا لِلشَّرِيعَةِ
عَلَى كَوْنِهِمْ قَدْ جَاهَدُوا النَّاسَ إِذْ بَغَوْا * * وَنَالُوا مِنْ الْمَعَاصِي بَلِيغَ الْعُقُوبَةِ
وَإِلَّا فَكُلُّ الْخَلْقِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ * * * وَلَحْظَةِ عَيْنٍ أَوْ تَحَرُّكِ شَعْرَةِ
وَبَطْشَةِ كَفٍّ أَوْ تَخَطِّي قَدِيمَةٍ * * * وَكُلِّ حَرَاكٍ بَلْ وَكُلِّ سَكِينَةِ
همو تَحْتَ أَقْدَارِ الْإِلَهِ وَحُكْمِهِ * * * كَمَا أَنْتَ فِيمَا قَدْ أَتَيْتَ بِحُجَّةِ
وَهَبْكَ رَفَعْتَ اللَّوْمَ عَنْ كُلِّ فَاعِلٍ * * * فِعَالَ رَدًى طَرْدًا لهذي الْمَقِيسَةِ
فَهَلْ يُمْكِنُ رَفْعُ الْمَلامِ جَمِيعِهِ * * * عَنْ النَّاسِ طَرًّا عِنْدَ كُلِّ قَبِيحَةٍ ؟
وَتَرْكُ عُقُوبَاتِ الَّذِينَ قَدْ اعْتَدَوْا * *وَتَرْكُ الْوَرَى الْإِنْصَافَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ
فَلا تُضْمَنَنْ نَفْسٌ وَمَالٌ بِمِثْلِهِ * * * وَلا يُعْقَبَنْ عَادٌ بِمِثْلِ الْجَرِيمَةِ
وَهَلْ فِي عُقُولِ النَّاسِ أَوْ فِي طِبَاعِهِمْ * * * قَبُولٌ لِقَوْلِ النَّذْلِ مَا وَجْهُ حِيلَتِي؟

وَيَكْفِيكَ نَقْضًا مَا بِجِسْمِ ابْنِ آدَمَ * * * صَبِيٍّ وَمَجْنُونٍ وَكُلٍّ بَهِيمَةِ
مِنْ الْأَلَمِ الْمَقْضِيِّ فِي غَيْرِ حِيلَةٍ * * * وَفِيمَا يَشَاءُ اللَّهُ أَكْمَلُ حِكْمَةِ
إذَا كَانَ فِي هَذَا لَهُ حِكْمَةٌ فَمَا * * * يُظَنُّ بِخَلْقِ الْفِعْلِ ثُمَّ الْعُقُوبَةِ ؟
وَكَيْفَ وَمِنْ هَذَا عَذَابٌ مُوَلَّدٌ * * *عَنْ الْفِعْلِ فِعْلِ الْعَبْدِ عِنْدَ الطَّبِيعَةِ ؟
كَآكِلِ سُمٍّ أَوْجَبَ الْمَوْتَ أَكْلُهُ * * * وَكُلٌّ بِتَقْدِيرِ لِرَبِّ الْبَرِيَّةِ
فَكُفْرُكَ يَا هَذَا كَسُمٍّ أَكَلْتَهُ * * * وَتَعْذِيبُ نَارٍ مِثْلُ جَرْعَةِ غُصَّةِ
أَلَسْتَ تَرَى فِي هَذِهِ الدَّارِ مَنْ جَنَى * * * يُعَاقَبُ إمَّا بِالْقضا أَوْ بِشِرْعَةِ ؟
وَلَا عُذْرَ لِلْجَانِي بِتَقْدِيرِ خَالِقٍ * * * كَذَلِكَ فِي الْأُخْرَى بِلا مَثْنَوِيَّةِ
وَتَقْدِيرُ رَبِّ الْخَلْقِ لِلذَّنْبِ مُوجِبٌ * * * لِتَقْدِيرِ عُقْبَى الذَّنْبِ إلا بِتَوْبَةِ
وَمَا كَانَ مِنْ جِنْسِ الْمَتَابِ لِرَفْعِهِ * * * عَوَاقِبَ أَفْعَالِ الْعِبَادِ الْخَبِيثَةِ
كَخَيْرٍ بِهِ تُمْحَى الذُّنُوبُ وَدَعْوَةٍ * * * تُجَابُ مِنْ الْجَانِي وَرَبِّ شَفَاعَةِ
وَقَوْلُ حَلِيفِ الشَّرِّ إنِّي مُقَدَّرٌ * * * عَلَيَّ كَقَوْلِ الذِّئْبِ هذي طَبِيعَتِي
وَتَقْدِيرُهُ لِلْفِعْلِ يَجْلِبُ نِقْمَةً * * * كَتَقْدِيرِهِ الأَشْيَاءَ طَرًّا بِعِلَّةِ
فَهَلْ يَنْفَعَنْ عُذْرُ الْمَلُومِ بِأَنَّهُ * * * كَذَا طَبْعُهُ أَمْ هَلْ يُقَالُ لِعَثْرَةِ ؟
أَمْ الذَّمُّ وَالتَّعْذِيبُ أَوْكَدُ لِلَّذِي * * * طَبِيعَتُهُ فِعْلُ الشُّرُورِ الشَّنِيعَةِ ؟
فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تُجَابَ بِمَا عَسَى * * * يُنْجِيكَ مِنْ نَارِ الإِلَهِ الْعَظِيمَةِ
فَدُونَكَ رَبُّ الْخَلْقِ فَاقْصِدْهُ ضَارِعًا * * * مُرِيدًا لأَنْ يَهْدِيَكَ نَحْوَ الْحَقِيقَةِ
وَذَلِّلْ قِيَادَ النَّفْسِ لِلْحَقِّ وَاسْمَعَنْ * * * وَلا تُعْرِضَنْ عَنْ فِكْرَةٍ مُسْتَقِيمَةِ
وَمَا بَانَ مِنْ حَقٍّ فَلا تَتْرُكَنَّهُ * * * وَلا تَعْصِ مَنْ يَدْعُو لأَقْوَمِ شِرْعَةِ
وَدَعْ دِينَ ذَا الْعَادَاتِ لا تَتْبَعَنَّهُ * * * وَعُجْ عَنْ سَبِيلِ الأُمَّةِ الْغَضَبِيَّةِ
وَمَنْ ضَلَّ عَنْ حَقٍّ فَلا تَقْفُوَنَّهُ * * * وَزِنْ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ بالمعدلية
هُنَالِكَ تَبْدُو طَالِعَاتٌ مِنْ الْهُدَى * * * تُبَشِّرُ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْحَنِيفِيَّةِ
بِمِلَّةِ إبْرَاهِيمَ ذَاكَ إمَامُنَا * * * وَدِينِ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
فَلا يَقْبَلُ الرَّحْمَنُ دِينًا سِوَى الَّذِي * * * بِهِ جَاءَتْ الرسل الْكِرَامُ السَّجِيَّةِ
وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْحَاشِرُ الْخَاتَمُ الَّذِي * * * حَوَى كُلَّ خَيْرٍ فِي عُمُومِ الرِّسَالَةِ
وَأَخْبَرَ عَنْ رَبِّ الْعِبَادِ بِأَنَّ مَنْ * * * غَدَا عَنْهُ فِي الْأُخْرَى بِأَقْبَحِ خَيْبَةِ
فهذي دِلالاتُ الْعِبَادِ لِحَائِرٍ * * * وَأَمَّا هُدَاهُ فَهُوَ فِعْلُ الرُّبُوبِيَّةِ
وَفَقْدُ الْهُدَى عِنْدَ الْوَرَى لَا يُفِيدُ مَنْ * * * غَدَا عَنْهُ بَلْ يَجْرِي بِلَا وَجْهِ حُجَّةِ
وَحُجَّةُ مُحْتَجٍّ بِتَقْدِيرِ رَبِّهِ * * * تَزِيدُ عَذَابًا كَاحْتِجَاجِ مَرِيضَةِ
وَأَمَّا رِضَانَا بِالْقَضَاءِ فَإِنَّمَا * * * أُمِرْنَا بِأَنْ نَرْضَى بِمِثْلِ الْمُصِيبَةِ
كَسَقَمٍ وَفَقْرٍ ثُمَّ ذُلٍّ وَغُرْبَةٍ * * * وَمَا كَانَ مِنْ مُؤْذٍ بِدُونِ جَرِيمَةِ
فَأَمَّا الأَفَاعِيلُ الَّتِي كُرِهَتْ لَنَا * * * فَلا تُرْتَضَى مَسْخُوطَةً لِمَشِيئَةِ
وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ لَا رِضًا * * * بِفِعْلِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ
وَقَالَ فَرِيقٌ نَرْتَضِي بِقَضَائِهِ * * * وَلا نَرْتَضِي الْمَقْضِيَّ أَقْبَحَ خَصْلَةِ

وَقَالَ فَرِيقٌ نَرْتَضِي بِإِضَافَةِ * * * إِلَيهِ وَمَا فِينَا فَنُلْقِي بِسَخْطَةِ
كَمَا أَنَّهَا لِلرَّبِّ خَلْقٌ وَإِنَّهَا * * * لِمَخْلُوقِهِ لَيْسَتْ كَفِعْلِ الْغَرِيزَةِ
فَنَرْضَى مِنْ الْوَجْهِ الَّذِي هُوَ خَلْقُهُ * * * وَنَسْخَطُ مِنْ وَجْهِ اكْتِسَابِ الْخَطِيئَةِ
وَمَعْصِيَةُ الْعَبْدِ الْمُكَلَّفِ تَرْكُهُ * * * لِمَا أَمَرَ الْمَوْلَى وَإِنْ بِمَشِيئَةِ
فَإِنَّ إِلَهَ الْخَلْقِ حَقٌّ مَقَالُهُ * * * بِأَنَّ الْعِبَادَ فِي جَحِيمٍ وَجَنَّةِ
كَمَا أَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ هَكَذَا * * * بَلْ الْبُهْمُ فِي الآلامِ أَيْضًا وَنِعْمَةِ
وَحِكْمَتُهُ الْعُلْيَا اقْتَضَتْ مَا اقْتَضَتْ * * * من الْفُرُوقِ بِعِلْمٍ ثُمَّ أَيْدٍ وَرَحْمَةِ
يَسُوقُ أُولِي التَّعْذِيبِ بِالسَّبَبِ الَّذِي * * * يُقَدِّرُهُ نَحْوَ الْعَذَابِ بِعِزَّةِ
وَيَهْدِي أُولِي التَّنْعِيمِ نَحْوَ نَعِيمِهِمْ * * * بِأَعْمَالِ صِدْقٍ فِي رَجَاءٍ وَخَشْيَةِ
وَأَمْرُ إِلَهِ الْخَلْقِ بَيِّنٌ مَا بِهِ * * * يَسُوقُ أُولِي التَّنْعِيمِ نَحْوَ السَّعَادَةِ
فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ أَثَّرَتْ * * * أَوَامِرُهُ فِيهِ بِتَيْسِيرِ صَنْعَةِ
وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ لَمْ يَنَلْ * * * بِأَمْرٍ وَلا نَهْيٍ بِتَقْدِيرِ شِقْوَةِ
وَلا مَخْرَجٌ لِلْعَبْدِ عَمَّا بِهِ قُضِيَ * * * وَلَكِنَّهُ مُخْتَارُ حُسْنٍ وَسَوْأَةِ
فَلَيْسَ بِمَجْبُورٍ عَدِيمِ الإِرَادَةِ * * * وَلَكِنَّهُ شَاءَ بِخَلْقِ الإِرَادَةِ
وَمِنْ أَعْجَبِ الأَشْيَاءِ خَلْقُ مَشِيئَةٍ * * * بِهَا صَارَ مُخْتَارَ الْهُدَى بِالضَّلالَةِ
فَقَوْلُكَ : هَلْ اخْتَارَ تَرْكًا لِحِكْمَةٍ ؟ * * * كَقَوْلِكَ : هَلْ اخْتَارَ تَرْكَ الْمَشِيئَةِ ؟
وَأَخْتَارُ أَنْ لا اخْتَارَ فِعْلَ ضَلالَةٍ * * * وَلَوْ نِلْتُ هَذَا التَّرْكَ فُزْتُ بِتَوْبَةِ
وَذَا مُمْكِنٌ لَكِنَّهُ مُتَوَقِّفٌ * * * عَلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ مِنْ ذِي الْمَشِيئَةِ
فَدُونَك فَافْهَمْ مَا بِهِ قَدْ أَجَبْت مِنْ * * * مَعَانٍ إذَا انْحَلَّتْ بِفَهْمٍ غَرِيزَةٍ
أَشَارَتْ إلَى أَصْلٍ يُشِيرُ إلَى الْهُدَى * * * وَلِلَّهِ رَبُّ الْخَلْقِ أَكْمَلُ مِدْحَةٍ
وَصَلَّى إلَهُ الْخَلْقِ جَلَّ جَلالُهُ * * * عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ[٢١٤]

* * * * *

[٤٨] ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك ، وأنه لم يجبر أحدا على معصية ، ولا اضطره إلى ترك طاعة ، قال الله تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: { الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ } [غافر: ١٧].

[٤٩] فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يجزى على حسنه بالثواب ، وعلى سيئه بالعقاب ، وهو واقع بقضاء الله وقدره .

الشرح: بقي هنا الشرح.

٢١٤) أنظر: مجموع الفتاوى(٨/٢٤٥).

* * * * *

فصل الإيمان قول وعمل

[٥٠] والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان ، وعقد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .
[٥١] قال الله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة : ٥] .
فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين .
[٥٢] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق }([٢١٥]) .
[٥٣] فجعل القول والعمل من الإيمان ، وقال تعالى : { فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا } [آل عمران : ١٧٣] ، وقال : { لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا } [الفتح : ٤] .
[٥٤] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان}([٢١٦]) ، فجعله متفاضلا

.....

الشرح:
قال ابن العثيمين :[الإيمان لغة التصديق] وفي بعض كتبه يقول : بمعنى الإقرار على أنه معروف أن الإيمان في لسان الشرع أوسع .
[واصطلاحاً: قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان].
[مثال القول: لا إله إلا الله] وهذا كله من الشرع [الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله قول] باللسان شهادة أن لا إله إلا الله
[ومثال العمل الركوع] وله دليل إماطة الأذى من الطريق.
[ومثال العقد] الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده وكما في حديث أبي هريرة: { والحياء شعبة من الإيمان }([٢١٧]). الحياء ينبعث من القلب يحمل الإنسان على ملازمة المروءة.
الدليل على أن هذا هو الإيمان قوله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة: ٥].
وقول النبي صلى الله عليه وسلم : { الإيمان بضع وسبعون شعبة ...} الحديث.
قال : [والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية].

الناس في الإيمان على ثلاثة مراتب:

---

٢١٥) البخاري(٩) بلفظ:(بضع و ستون..) ودون ذكر أعلاه وأدناه ومسلم(٣٥)واللفظ له وأحمد(٩٣٥٠) وأبو داود(٤٦٧٦) والترمذي(٢٦١٤) والنسائي(٥٠٠٥) وابن ماجة(٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ولا تعارض بين الروايتين. قال النووي: فان العرب قد تذكر للشيء عددا ولا تريد نفى ما سواه. شرح مسلم(٥/٢).
٢١٦) متفق عليه: البخاري برقم(٤٤، ٧٠٧١، ٧٠٧٢)ومسلم(١٩٣) وغيرهما.
والحديث قد جاء بألفاظ مختلفة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
٢١٧) متفق عليه: وهو حديث أبي هريرة [الإيمان بضع وسبعون...] وقد سبق.

الطائفة الأولى: هم المرجئة: وهي فرقة من الجهمية تستطيع أن تقول جيم وجيم وجيم فجهمية وجبرية ومرجئة([٢١٨]) فهذه هي المرجئة هؤلاء يقولون : أن الإيمان شيء واحد ويستوي عند الناس كلهم فلا فرق بين فلان وفلان من الناس هم على مرتبة واحدة فلا يزداد ولا ينقص يقولون :أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة فأخبث الناس وأكفر الناس في ميزانهم مؤمن. إبليس مؤمن ويقارنونه يمكن بأتقى الناس وفرعون كذلك حتى أنه قال من يرد عليهم :

والناس في الإيمان شيء واحد كالمشط عند تماثل الأسنان([٢١٩])

أي لا ترى فيه انخفاض ولا ارتفاع هؤلاء قولهم باطل لأن الله سبحانه وتعالى يثبت زيادة الإيمان فيقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : { فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا } [آل عمران : ١٧٣].

ويقول : { وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً}[المدثر: ٣١] .

النظر الصحيح يردّ عليهم فالإنسان إذا ازدادت عبادته ازدادت رغبته في الآخرة وإذا قلت عبادته وتلطخ ببعض المعاصي قسى قلبه وبدأ يبتعد عن الله سبحانه وتعالى ، إذن هذه الطائفة الأولى تسمى بالمرجئة والإرجاء بمعنى التأخير فعندهم يكفي أن يقر ذلك بالقلب إذا قال الشخص : أنا مؤمن يكفي لا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ولا يعمل شيء كسالى فمعتقدهم باطل يخالف الكتاب والسنة وفهم السلف وما عليه عامة المسلمين .

الطائفة الثانية : الخوارج هؤلاء متناقضون أيضاً الخوارج الذين يكفرون بمطلق المعاصي فالإيمان عندهم إما أن يزيد كله وإما أن ينقص كله إما أن يقولوا هذا مؤمن وإما أن يقولوا : هذا كافر إن عمل معصية حكموا بكفره وما يبقى عنده شيء من الإيمان وإن عمل طاعة حكموا بإيمانه وما يبقى عنده شيء من الصغائر أو من الكبائر هذه أيضاً ضلال على ضلال .

---

٢١٨) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى والجبرية أصناف :
فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا.
والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا. أنظر: الملل والنحل(٨٤/١).
والجهمية والمرجئة: سبق التعريف بهما.

٢١٩) هذا البيت لابن القيم وهو في نونيته ضمن أبيات رد بها على من يقول بالإرجاء ومنها هذه الأبيات:
قالوا وإقرار العباد بأنه... خلاقهم هو منتهى الإيمان * والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... ولاهم من عابدي الأوثان * وسل اليهود وكل أقلف مشرك ... عبد المسيح مقبل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم ... أعداء نوح أمة الطوفان* واسأل أبا الجن اللعين أتعرف ال . خلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرار الخلق أعني أمة ... لوطية هم ناكحو الذكران * واسأل كذاك إمام كل معطل ... فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الرب ... العظيم مكون الأكوان * فليبشروا ما فيهم من كافر... هم عند جهم كاملو الإيمان

أنظر: النونية لابن القيم ص(٨) والنونية (مع شرحها لخليل هراس)(٢٨/١).
والمعنى: اسألوا أبا جهل وشيعته واسأل اليهود وثمود وعاد وقوم نوح وإبليس وقوم لوط وفرعون وقارون وهامان هل فيهم من أنكر الخالق الرب العظيم؟ فإن جميع هؤلاء معترفون بالخالق سبحانه وتعالى وإن جحد بعضهم ظاهرا فهو مستيقن في قرارة نفسه معترفا بالله كما قال الله: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً] [النمل١٤]. فإذا كان الإيمان هو التصديق كما زعمت الجهمية فليبشر هؤلاء أن ليس فيهم كافر على مذهب الجهمية لأنهم مصدقون معترفون بالله سبحانه والله أعلم.
وأنظر: شروح النونية.

الطائفة الثالثة : الناجون من أهل الحق أهل السنة والجماعة يقولون : الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فهؤلاء من أحظى الناس بالآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب فلذا يقول العلماء : إن من اعتقد هذه العقيدة برئ من الإرجاء تماماً إذا قال الإيمان قول باللسان هذا من الإيمان كونك تذكر الله سبحان الله الحمد لله لا إله إلا الله الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله هذا من الإيمان تعتقد تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت وكل ما ثبت من الأمور الغيبية تؤمن بذلك ثم عمل بالأركان صلاة صيام زكاة حج عمرة أعمال برّ هذا كله من الإيمان{الإيمان بضع وسبعون شعبة} وهناك كتاب للبيهقي([٢٢٠]) بعنوان شعب الإيمان بعشرة مجلدات كبيرة فالنبي صلى الله عليه وسلم ربط بين أقصاها وأدناها ووسط بالحياء لا للحصر الجهاد من الإيمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان حلقات العلم من الإيمان الخروج في سبيل الله من الإيمان النصيحة من الإيمان الصدق من الإيمان السماحة في البيع والشراء من الإيمان الإحسان إلى الجار من الإيمان معاشرة الزوجة من الإيمان أشياء كثيرة جداً . وكتاب لابن منده([٢٢١]) بعنوان الإيمان. وكتاب لأبي عبيد القاسم بن سلام ([٢٢٢]) بعنوان الإيمان، وكتاب لشيخ الإسلام ابن تيمية بعنوان الإيمان.

فالدين كله أعمال الإسلام والإيمان هذه كلها من الدين وهي من الإيمان أيضاً فمن اعتقد هذه العقيدة سلم من بدعة الإرجاء وكان اعتقاده اعتقاداً صحيحاً.

لكن شخص على مذهب المرجئة تقول له أنت مؤمن ؟ قال مؤمن. قال تصلي؟ قال : لا .

أي إيمان في هذا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { سباب المسلم فسوق }([٢٢٣]) على مذهب الخوارج لا بد من إلغاء هذا الحديث على مذهب المرجئة هذا الحديث يلغى النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { سباب المسلم فسوق وقتاله كفر } كفر أصغر كفر النعمة.

---

٢٢٠) البيهقي : (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٦ م) هو الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي (١)، الخراساني. وبيهق: عدة قرى من أعمال نيسابور على يومين منها. ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده [بيهق].
قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه.
وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف.
صنف زهاء ألف جزء.انظر: سير الأعلام(١٨١٦٣ ترجمة:٨٦) والأعلام للزركلي(١١٦/١) وتذكرة الحفاظ(٣/ ١١٣٢).

٢٢١) ابن منده: (٣١٠ - ٣٩٥ هـ = ٩٢٢ - ١٠٠٥ م) الإمام الحافظ الجوال، محدث الإسلام، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده، أبو عبد الله العبدي (نسبة إلى عبد ياليل) الأصبهاني: من كبار حفاظ الحديث الراحلين في طلبه، المكثرين من التصنيف فيه. من كتبه (فتح الباب في الكنى والألقاب - ط) قطعة منه، و (الرد على الجهمية - خ) و (معرفة الصحابة - خ) جزء منه، و (التوحيد ومعرفة أسماء الله عزوجل وصفاته على الاتفاق والتفرد - خ) سبعة أجزاء، قال ابن أبي يعلى: بلغني عنه أنه قال: كتبت عن ألف وسبعمائة شيخ. أنظر: سير الأعلام(٢٨/١٧ ترجمة: ١٣) والأعلام للزركلي(٢٩/٦).

٢٢٢) أبو عُبيد القاسم بن سلاّم: (١٥٧ - ٢٢٤هـ، ٧٧٤-٨٣٨م). الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون.القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه ومن علماء القراءات . كان مؤدبا. من أهل هراة.ولد وتعلم بها وكان أبوه عبدًا روميًا لرجل من أهل هراة. ورحل إلى بغداد في طلب العلم، وروى اللغة والغريب عن الأئمة الأعلام، البصريين والكوفيين. انظر الأعلام(١٠/ ٤٩٠ ترجمة: ١٦٤)والأعلام للزركلي(١٧٦/٥).

فالنبي صلى الله عليه وسلم يخبر أن المسلم إذا سبّ المسلم ارتكب من الفسوق ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن }([224]).

فأيش تقول المرجئة في مثل هذ.

ا ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة فإذا أقلع رجع إليه }([225]).

فهذا وما شابهه من الأحاديث يدل على توثيق وتأكيد ما ذهب إليه أهل السنة وعلى زيف وخبط وخلط ما ذهبت إليه المرجئة والخوارج الذين يكفرون بمطلق الذنوب والمعاصي ورحمة الله على السفاريني([226]) وهو يقول :

إيماننا قول وقصد وعمل يزيد بالتقوى وينقص بالزلل([227])

بالمعاصي والذنوب يشعر الشخص أن قد ضعف إيمانه ولا ينبغي للشخص أن يكابر في مثل هذا.

والله الموفق.

* * * * *

فصل : الإيمان بكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم

[٥٥] ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه ، أو غاب عنا ، نعلم أنه حق ، وصدق ، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه ، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته ، ولم تنكر المنامات .

---

٢٢٣) متفق عليه: البخاري(٤٨، ٥٦٩٧، ٦٦٦٥) ومسلم(٦٤/ ١١٦) وأحمد(٣٦٤٧) والترمذي(١٩٨٣) والنسائي(٤١٠٨) وابن ماجة(٦٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه ابن ماجة(٣٩٤٠) عن أبي هريرة وبرقم(٣٩٤١) عن سعد بن أبي وقاص ورواه الطبراني في الكبير(٨٠) عن عمرو بن النعمان بن مقرن وفي الأوسط(٧٣٤) عن عبدالله بن مغفل والدارقطني في الأفراد عن جابر والمروزي في تعظيم قدر الصلاة(١١٠٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين

٢٢٤) متفق عليه: البخاري(٢٣٤٣، ٥٢٥٦، ٦٣٩٠، ٦٤٢٥) ومسلم(٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٢٥) صحيح: رواه أبو داود(٤٦٩٠) والترمذي تحت حديث(٢٦٢٥) والحاكم(٥٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا برواته وله شاهد على شرط مسلم ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب(٥٣٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٥٨٦) وصحيح الترغيب(٢٣٩٤) والصحيحة(٥٠٩).

٢٢٦) السفاريني: (١١١٤ - ١١٨٨ هـ = ١٧٠٢ - ١٧٧٤ م) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق.ولد في سفارين (من قرى نابلس) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها ، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها. نقلا عن : الأعلام للزركلي(١٤/٦)

٢٢٧) انظر: العقيدة السفارينية ص(٧١)

[٥٦] ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه (٢٢٨) ، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه .

الشرح:

قال العثيمين: [السمعيات كل ما ثبت بالسمع أي بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل وكل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار فهي حق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنا وسواء أدركناه بعقولنا أو لم ندركه لقوله تعالى : { إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم }[البقرة:١١٩] .

وقد ذكر المؤلف من ذلك أموراً:

الأمر الأول : الإسراء والمعراج : الإسراء لغة: السير بالشخص ليلاً وقيل: بمعنى سرى.

وشرعاً:سير جبريل بالنبي،صلى الله عليه وسلم،من مكة إلى بيت المقدس لقوله تعالى:

{سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى}[الإسراء ١].

والمعراج لغة: الآلة التي يعرج بها وهي المصعد.

---

٢٢٨) متفق عليه: البخاري(١٢٧٤، ٣٢٢٦) ومسلم(٢٣٧٢) والنسائي(٢٠٨٩) وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فائدة: قال ابن حبان بعد ذكر هذا الحديث: إن الله جل وعلا بعث رسول اله صلى الله عليه وسلم معلما لخلقه فأنزله موضع الإبانة عن مراده فبلغ صلى الله عليه وسلم رسالته وبين عن آياته بألفاظ مجملة ومفسرة عقلها عنه أصحابه أو بعضهم وهذا الخبر من الأخبارا التي يدرك معناه من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق

وذاك أن الله جل وعلا أرسل ملك الموت إلى موسى رسالة ابتلاء واختبار وأمره أن يقول له : أجب ربك أمر اختبار وابتلاء لا أمرا يريد الله جل وعلا إمضاءه كما أمر خليله صلى الله على نبينا وعليه بذبح ابنه أمر اختبار وابتلاء دون الأمر الذي أراد الله جل وعلا إمضاءه فلما عزم على ذبح ابنه وتله للجبين فداه بالذبح العظيم

وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها كدخول الملائكة على رسوله إبراهيم ولم يعرفهم حتى أوجس منهم خيفة وكمجيء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام فلم يعرفه المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى ولى

فكان مجيء ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليه السلام عليها وكان موسى غيورا فرأى في داره رجلا لم يعرفه فشال يده فلطمه فأتت لطمته على فقء عينه التي في الصورة التي يتصور بها لا الصورة التي خلقه الله عليها ولما كان المصرح عن نبينا صلى الله عليه وسلم في خبر ابن عباس حيث قال : (أمني جبريل عند البيت مرتين) فذكر الخبر وقال في آخرهن : (هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك) : كان في هذا الخبر البيان الواضح أن بعض شرائعنا قد تتفق ببعض شرائع من قبلنا من الأمم ولما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه أو الناظر إلى بيته بغير أمره من غير جناح على فاعله ولا حرج على مرتكبه للأخبار الجمة الواردة فيه التي أملیناها في غير موضع من كتبنا ـ : كان جائزا اتفاق هذه الشريعة بشريعة موسى بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحا له ولا حرج عليه في فعله

فلما رجع ملك الموت إلى ربه وأخبره بما كان من موسى فيه أمره ثانيا بأمر آخر أمر اختبار وابتلاء كما ذكرنا قبل إذ قال الله له : قل له : إن شئت فضع يدك على متن ثور فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة فلما علم موسى كليم الله صلى الله على نبينا وعليه أنه ملك الموت وأنه جاءه بالرسالة من عند الله طابت نفسه بالموت ولم يستمهل وقال : فالآن

فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمالة الحطب ورعاة الليل يجمعون ما لا ينتفعون به ويروون ما لا يؤجرون عليه ويقولون بما يبطله الإسلام جهلا منه لمعاني الأخبار وترك التفقه في الآثار معتمدا منه على رأيه المنكوس وقياسه المعكوس.

أنظر: صحيح ابن حبان(١١٢/١٤) حديث رقم(٦٢٢٣).

وشرعاً: السلم الذي عرج به رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، من الأرض إلى السماء لقوله تعالى:

{ والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى }[النجم ١-٢].

إلى قوله: { لقد رأى من آيات ربه الكبرى }[١٨].

وعلى وجه العموم يجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور العلمية والغيبية وهذه هي العقيدة التي دائماً نقول : يجب أن يكون اعتقاد الشخص سليماً يعتقد صحة وصدق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب ولا ينبغي أن يستعظمها أو يستشكلها فذكر من ذلك أمرين : الإسراء والمعراج ومجيء ملك الموت إلى موسى فلطمه حتى فقأ عينه والحديث في البخاري([٢٢٩]) والإسراء والمعراج أيضاً قصته في البخاري([٢٣٠]) وفي القرآن الكريم([٢٣١]) .

أولاً : { سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}[الإسراء ١]. هذه أمور غيبية وقد امتدح الله الذين يؤمنون بالغيب فقال سبحانه :{ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب}[البقرة ٢ـ ٣] كل ما غاب عنك تؤمن به إذا كان الله سبحانه وتعالى قد تحدث عنه أو رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه لا ينطق عن الهوى وإذا اعتقدت حصل عندك اطمئنان وإذا عرفت زاد إيمانك يوم أن تؤمن وتتيقن أنه في ليلة واحدة يذهب النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس مسافة شاسعة جداً كان العرب يرحلونها في قرابة ثلاثة أشهر وليس فقط إلى بيت المقدس ولكن إلى السماوات العلى في ليلة ثم يصبح معهم في مكة أما الأفاكون فهم مكذبون سواء حصل هذا أم لم يحصل الممارئ ممارئ والمجادل مجادل مهما جئت له هو لا يمكن إلا أن يشاء الله وأما الصادقون فإنهم يصدقون النبي صلى الله عليه وسلم في خبر السماء قال الله فيقولون : قال الله يأمرهم فيأتمرون فأما أبو بكر الصديق فكان من أول من آمن وقد جاءوا إليه يريدوا أن يخربوه على رسول الله في زعمهم ولكن ما زاده ذلك إلا إيماناً .

ذكر الشيخ تعريف الإسراء لغة : السير بالشخص ليلاً وقيل : بمعنى سرى ويسمى ساري أيضاً

عند الصباح يحمد القوم السرى ويتجلى عنهم غياهب الكرى

مرت معنا فائدة ذكر الآجري في كتاب الشريعة([٢٣٢]) فيما يتعلق بأمر السرى لما خاض الصحابة بدسيسة من المنافقين ، قال ذاك : يا للمهاجرين وقال ذاك : يا للأنصار وحصل فيهم من القيل والقال فسار بهم النبي صلى الله عليه وسلم الليل كله والنهار كله حتى طلعت الشمس فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول فما أن وصلت أجسادهم الأرض إلا ومالت ميلان الجدر نوم

---

٢٢٩) الحديث متفق عليه: وقد سبق.

٢٣٠) الحديث متفق عليه: انظر قصة الإسراء والمعراج في: البخاري(٣٤٢) ومسلم(١٦٣) عن أنس عن أبي ذر وفي البخاري(٣٠٣٥) ومسلم (١٦٤) عن أنس عن مالك بن صعصعة والقصة في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. وقد سبق.

٢٣١) انظر: سورة الإسراء وسورة النجم مع تفسيرهما من كتب التفسير.

٢٣٢) لم أجده في الشريعة للآجري .

([٢٣٣]). وذلك أنهم أرهقوا بسبب السرى فاستفاد الكاتب من هذا أننا نحتاج إلى سرى في كثير من الأعمال طلب علم وعبادة حتى لا ننشغل بغيرنا ننشغل بأنفسنا{ قوا أنفسكم} وبعدين{وأهليكم}[التحريم ٦]

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

وشرعاً : سير جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس لقوله سبحانه : {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى}[الإسراء ١].

[وكان في ليلة واحدة عند الجمهور ، وللعلماء خلاف متى كانت فيروى بسند منقطع عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أنها ليلة الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول ولم يعينا السنة رواه ابن أبي شيبة. ويروى عن الزهري وعروة أنها قبل الهجرة بسنة رواه البيهقي فتكون في ربيع الأول ولم يعينا الليلة وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووي. ويروى عن السدي أنها قبل الهجرة بستة عشر شهراً رواه الحاكم فتكون في ذي القعدة. وقيل : قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بخمس وقيل بست وكان يقظة لا مناماً لأن قريش أكبرته وأنكرته ولو كان مناماً لم تنكره لأنها لا تنكر المنامات]

الله أعلم هذه أقوال لم يثبت منها شيء ،

وبقي شيء هل كان بروحه وجسده أم بروحه ؟

الصحيح أنه كان بالروح والجسد.

محمد الغزالي يقول : يقول المستشرق حسين هيكل هذا ألف كتاب بعنوان محمد صلى الله عليه وسلم درامة النصارى يؤلفون حتى أن كتاب المنجد في اللغة ألفه أحد النصارى كما يقول العثيمين .

يذهب هيكل إلى أن الإسراء كان بالجسد فيأخذ الغزالي قوله وهذا غلط كان على الغزالي أن ينحو منحى العلماء الكبار قول أهل السنة وهو أن الإسراء كان بالروح وبالجسد

قال : [وقصته: [أي قصة الإسراء والمعراج] أن جبريل أمره الله أن يسري بالنبي، صلى الله عليه وسلم ، إلى بيت المقدس على البراق، ثم يعرج به إلى السموات العلا سماء، سماء، حتى بلغ مكاناً سمع فيه صريف الأقلام، وفرض الله عليه الصلوات الخمس، وأطلع على الجنة والنار، واتصل بالأنبياء الكرام، وصلى بهم إماماً، ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون، وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون].

[الأمر الثاني: مجيء ملك الموت إلى موسى صلى الله عليه وسلم:

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ليقبض روحه، فلطمه موسى ففقأ عينه، فرجع الملك إلى الله وقال: "أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت" فرد الله عليه عينه وقال: "ارجع إليه، وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة" فقال موسى:

---

٢٣٣) هذه القصة حصلت في غزوة بني المصطلق . أنظر البداية والنهاية(٤/ ١٧٥) وتأريخ الطبري(٢/ ١٠٩ـ ١١٠) وأصلها في الصحيحين

ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر، قال النبي، صلى الله عليه وسلم:"فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر".
وهذا الحديث ثابت في الصحيحين([٢٣٤]) وإنما أثبته المؤلف في العقيدة لأن بعض المبتدعة أنكره معللاً ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك].والغزالي أيضاً وقع في هذا المطب ينكر هذا.
[ونردّ عليهم بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو يطلب منه نفسه فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور]
وتعرفون موسى عليه الصلاة والسلام كان شديداً حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه ليلة الإسراء والمعراج قال :{ كأنه رجل من أزد شنوءة }([٢٣٥]) وهؤلاء فيهم من الغلظة والشدة وتعرفون : { فوكزه موسى فقضى عليه }[القصص ١٥] وكان عنده شدة في الحق ليس في الباطل وهو من أولي العزم فموسى دخل البيت فوجد ملك الموت أيش تريد ؟ قال : أنا أريد أقبض روحك ما تمالك موسى نفسه وكان ملك الموت يأتي بصورة إنسان لو واحد منا الآن رجع إلى بيته ما درى إلا وقد خرج له شخص من تحت السرير وإلا من الغرفة الثانية ما لك ؟ قال : والله أريد أقبض روحك يمكن يقتله وإلا لا ؟ فبيض الله وجه موسى فرجع الملك إلى ربه وقال : أرسلتني إلى من يكره الموت ..... القصة إذن هو يحب الموت فالمؤمن إذا مات ارتاح من عناء هذه الدنيا

حكم المنية في البرية ساري ... ما هذه الدنيا بدار قرار
طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار([٢٣٦]) .

* * * * *

[٥٧] ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله.
وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل .

الشرح:

٢٣٤) في الصحيحين: وقد سبق.
٢٣٥) متفق عليه: البخاري(٣٢١٤، ٣٢٥٤، ٤٤٣٢، ٥٢٥٤، ٥٢٨١) ومسلم(١٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في البخاري(٣٠٦٧، ومواضع) ومسلم(١٦٥) ومن حديث جابر رضي الله عنه في مسلم(١٦٧).
٢٣٦) هذه الأبيات للشاعر/علي بن محمد التهامي[شاعر وقته، له ديوان صغير وكان دينا، ورعا عن الهجاء. ولد باليمن، وقدم الشام والعراق والجبل، وامتدح ابن عباد، وصار معتزليا، ثم ولي خطابة الرملة، وزعم أنه علوي. وذهب إلى مصر بخبر لحسان بن مفرج، فقتل سرا سنة ست عشرة وأربع مئة / أنظر السير(١٧/٣٨١ ترجمة: ٢٤٢)] يرثي بها ولدا مات صغير وهي قصيدة جيدة تزيد عن ثمانين بيتا. منها الأبيات السابقة.
أنظر/ ديوانه ووفيات الأعيان(٣/٣٧٩ رقم ٤٧١) وتأريخ دمشق(٤٣/٢٢٣) وذيل تأريخ بغداد(٤/٣٧ رقم٨٤١)

قال ابن العثيمين :[الأشراط جمع شرط وهو لغة العلامة. والساعة لغة الوقت أو الحاضر منه والمراد بها هنا القيامة. فأشراط الساعة شرعاً العلامات الدالة على قرب يوم القيامة قال الله تعالى : { فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها }[محمد: ١٨].

وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي :

١ـ خروج الدجال: وهو لغة : صيغة مبالغة من الدجل وهو الكذب والتمويه ، وشرعاً : رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية.

وخروجه ثابت بالسنة والإجماع قال النبي صلى الله عليه وسلم : { قولوا اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات } رواه مسلم([237]) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ منه في الصلاة متفق عليه([238]) ، وأجمع المسلمون على خروجه.

وقصته : أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق فيدعو الناس إلى عبادته فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب ، ويتبعه سبعون ألف من يهود أصفهان فيسير في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح إلا مكة والمدينة فيمنع منهما ومدته أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وباقي أيامه كالعادة ، وهو أعور العين مكتوب بين عينيه(ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط .

وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت معه جنة ونار فجنته نار وناره جنة حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : { من سمع به فلينأ عنه ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف أو بفواتح سورة الكهف }]. رواه مسلم([239]) من حديث النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه.

هذه من العلامات الكبرى وهي خروج المسيح الدجال وجاء في بعض الأحاديث { أنه يخرج من عضبة يعضبها }([240]).

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا وبما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات من غير اعتراض بـ(لم وكيف).

هذا الحديث بين يدي من صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط [المراد بكلمة قطط أي أنه جعد الشعر شعره متجعد مربط] عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن

---

٢٣٧) رواه الجماعة إلا البخاري: فقد رواه مسلم(٥٩٠) وأحمد(٢١٦٨) وأبو داود(٩٨٤) والترمذي(٣٤٩٤) والنسائي(٢٠٦٣) وابن ماجة(٣٨٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما

٢٣٨) متفق عليه: البخاري(٧٩٨) ومسلم(٥٨٧، ٥٨٩) عن عائشة رضي الله عنها وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري(١٣١١) ومسلم(٥٨٨)

٢٣٩) أنظر: الحديث في مسلم(١١٠/٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

٢٤٠) رواه مسلم(٢٩٣٢) عن حفصة رضي الله عنها.

أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا[قال بعض الشراح : كأنه صلى الله عليه وسلم يرى وأنه سريع الحركة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم فعاث يميناً وعاث شمالاً] قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا اقدروا له قدره [وقد استدل بهذه اللفظة العلماء الكبار { اقدروا له قدره } على المناطق التي تظهر فيها الشمس لمدة ستة أشهر المناطق القطبية ثم بعد ذلك يظلم ويبقى ظلاماً لمدة ستة أشهر فهؤلاء يقتدون بالمدن القريبة منهم ما بين الظهر والعصر مثلاً ثلاث ساعات في المنطقة المجاورة إذن يصلون الظهر ويمكثون ثلاث ساعات ويصلون العصر ثم ساعتين مثلاً ويصلون المغرب وهكذا { اقدروا له } وهذا دليل على يسر الشريعة وهكذا مثلاً في الصيام يفطرون على حسب المجاورين لهم وهذه فتوى المجمع الفقهي وهي فتوى الشيخ بن باز رحمه الله .] قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح[يعني أخذته] فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له [إذن داعية ولكن داعية ضلال] فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم [قالوا : كان يمسح الأبرص فيبرأ والمسيح لقب مثل الرئيس الوزير الملك أما ذلك المسيح الدجال لأنه ممسوح العين اليمنى وقال بعض العلماء : ممسوح من الخير وقال بعضهم : لأنه يمسح الأرض بتحركاته السريعة. فيقتل المسيح عيسى بن مريم مسيح الدجل والكذب كما سيأتي] فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين

[المهرودة الثوب المصبوغ] واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من

الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة}([241]). فنحن نؤمن بهذا ونحمد الله سبحانه وتعالى على هذه العقيدة الصحيحة عقيدة النبي صلى الله عليه وسلم هذه من علامات الساعة الكبرى

٢ـ نزول عيسى بن مريم:

[نزول عيسى بن مريم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع المسلمين.

قال تعالى : { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته}[النساء: ١٥٩] أي موت عيسى وهذا حين نزوله كما فسره أبو هريرة بذلك

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { والله لينزلن عيسى بن مريم حكماً وعدلاً } الحديث متفق عليه([٢٤٢]). وقد أجمع المسلمون على نزوله فينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات.. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لدّ فيقتله ويكسر الصليب ويضع الجزية وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويحج ويعتمر كل هذا ثابت في صحيح مسلم وبعضه في الصحيحين كليهما([٢٤٣]).

وروى الإمام أحمد وأبو داود أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون([٢٤٤]) .

وذكر البخاري في تأريخه أنه يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم]([٢٤٥]).

---

٢٤١) رواه مسلم : وقد سبق قبل حديث واحد.

٢٤٢) متفق عليه: البخاري(٢١٠٩، ٢٣٤٤، ٣٢٦٤) ومسلم(١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٤٣) انظر: حديث النواس في مسلم(٢٩٣٧).

وأما كسر الصليب ووضع الجزية فهذا ثابت في البخاري(٣٢٦٤) ومسلم(١٥٥) عن أبي هريرة

وإما توحيد السجدة لله رب العالمين فقد ذكر ابن حجر هذا اللفظ في الفتح(٦٤٩٢) وعزاه لابن مردوية وهو في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(٣٦٥/٢) لبرهان الدين البقاعي

وفي البخاري ومسلم: [حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها] جزء من حديث أبي هريرة السابق.

وأما حجه وعمرته فقد ثبتا في صحيح مسلم(١٢٥٢) وأحمد(٧٢٧١)عن أبي هريرة رضي الله عنه.ولفظه[: والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجا أو معتمرا أو ليثنينهما].

٢٤٤) صحيح: رواه أحمد(٩٢٥٩) وأبو داود(٤٣٢٤) وابن حبان(٦٨٢١) والحاكم(٤١٦٣) وصححه ووافقه الذهبي وابن أبي شيبة(٣٧٥٢٦) وصححه الألباني في : صحيح الجامع(٥٣٨٩) والصحيحة(٢١٨٢)

والحديث صححه شعيب الأرناؤط وأحمد شاكر في المسند

وانظر: قصة المسيح الدجال للألباني والتصريح بما تواتر في نزول المسيح للإمام المحدث محمد أنورالكشميري الهندي

٢٤٥) ضعيف: أخرجه البخاري في التأريخ الكبير(٢٦٢/١ رقم٨٣٩) والترمذي(٣٦١٧). والسيوطي في الدر(٢/ ٧٤٣) وابن عساكر في تأريخ دمشق(٥٢٤/٤٧) وابن كثير في البداية والنهاية(٩٩/٢) من طريق عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده موقوفا : مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى ابن مريم يدفن معه قال فقال أبو مودود وقد بقي في البيت موضع قبر

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ولكن خالفه شيخه البخاري ؛ فقال عقب ذكره : هذا لا يصح عندي، ولا يتابع عليه.

وقال الهيثمي في المجمع(٨/ ٣٧٨ رقم ١٣٧٩٢): رواه الطبراني، وفيه (عثمان بن الضحاك)، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو داود

والحديث ضعفه الألباني . أنظر: المشكاة(٥٧٧٢) والضعيفة(٦٩٦٢)

قال البخاري لا يصح عندي ولا يتابع عليه .

٣ـ يأجوج ومأجوج:

[قال العثيمين: يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان أو عربيان مشتقان من المأج وهو الإضطراب أو من أجيج النار وتلهبها وهما أمتان من بني آدم موجودتان بدليل الكتاب والسنة قال تعالى في قصة ذي القرنين : ((حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً }[الكهف ٩٣ـ ٩٤] بعضهم يقول : في الصين وبعضهم يقول في الترك جهة بلاد الترك ولا يهمنا الموضع تهمنا القصة.

[وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { يقول الله يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار من ذريتك... إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشروا فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً } أخرجه في الصحيحين](٢٤٦).

وهذا دليل أن يأجوج ومأجوج من بني آدم والدجال كذلك من بني آدم وليس صحيح أن يأجوج ومأجوج أفواههم في قفاهم ولا أن آذانهم يلتحفون بها إذا ناموا هذا كله من القصص الإسرائيلية هم أناس من بني آدم شكلهم كشكلنا تماماً.

[وخروجهم الذي يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد ولكن بوادره وجدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :{ فتحت اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها }(٢٤٧).

وقد ثبت خروجهم في الكتاب والسنة قال الله تعالى : ((حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق }[الأنبياء: ٩٦ـ ٩٧] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { إنها لن تقوم الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك ناراً تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم } رواه مسلم(248) .

وجاء في حديث مرفوع عن عائشة رضي الله عنها:[أنها استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم إن عاشت بعده أن تدفن إلى جانبه فقال لها وأنى لك بذلك وليس في ذلك الموضع إلا قبري وقبر أبي بكر وعمر وعيسى بن مريم] أخرجه ابن عساكر في تأريخ دمشق(٤٧/ ٥٢٢، ٥٢٣) والسيوطي في جامع الأحاديث(٤٣٢٦٩) وهو في كنز العمال(١٤/٦٢٠ رقم ٣٩٧٢٨).

قال ابن حجر في الفتح(٧/٦٦): لا يثبت.

وجاء عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أنه قال: إن قبور الثلاثة في صفة بيت عائشة وهناك موضع قبر يدفن فيه عيسى عليه السلام. ولكن ابن حجر يضعفه كما في الفتح(٧/٦٦)

٢٤٦) متفق عليه: البخاري(٣١٧٠، ٤٤٦٤، ٦١٦٥، ٧٠٤٥) ومسلم(٢٢٢) عنى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

٢٤٧) متفق عليه: البخاري(٣١٦٨، ٣٤٠٣، ٦٦٥٠، ٦٧١٦) ومسلم(٢٨٨٠/ ٢) عن زينب بنت جحش رضي الله عنها

٢٤٨) رواه الجماعة إلا البخاري: فقد رواه مسلم(٢٩٠١/ ٣٩) وأحمد(١٦١٨٨) وأبو داود(٤٣١١) والترمذي(٢١٨٣) والنسائي في الكبرى(١١٣٨٠) وابن ماجة(٤٠٥٥)عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

فائدة: في مسلم(٢٩٠١/٤٠) [ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس] ومعناه من أقصى قعر أرض عدن وعدن المدينة المعروفة المشهورة.

وقصتهم في حديث النواس بن سمعان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عيسى بن مريم بعد قتله الدجال : { فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم ويقول : لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض هلمّ فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء } دليل أيضاً أنه قد انتهت الحضارة البترول والديزل.

[فيردّ الله عليهم نشابهم مخضوبة دما ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله } رواه مسلم([249]).]

٤ـ خروج الدابة:

خروج الدابة: الدابة لغة كل ما دبّ على الأرض والمراد بها هنا الدابة التي يخرجها الله قرب قيام الساعة. وخروجها ثابت بالقرآن والسنة.قال تعالى:{ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون }[النمل:٨٢]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات وذكر منها الدابة } رواه مسلم([٢٥٠]).

وليس في القرآن والسنة الصيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها وإنما ورد في ذلك أحاديث في صحتها نظر] على أن حديثها في مسلم([٢٥١]) [وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك والله أعلم]جاء في بعض الأحاديث أنها توسم الناس تعمل لهم ختم .

٥ـ طلوع الشمس من مغربها:

طلوع الشمس من مغربها : ثابت بالكتاب والسنة.قال سبحانه : { يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً }[الأنعام: ١٥٨]. والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من

---

٢٤٩) رواه مسلم(٢٩٣٧/ ١١٠) وهو حديث النواس وقد سبق

فائدة: المعاني الغريبة في الحديث : وله [خله بين الشام والعراق] : أي طريقا بينهما

وقوله [عاث] بالعين المهملة والثاء المثلثة والعيث : أشد الفساد

و [الذرى] بضم الذال المعجمة وهو أعالي الأسنمة وهو جمع ذروة بضم الذال وكسرها

و [اليعاسيب] : ذكور النحل و [جزلتين] : أي قطعتين

و [الغرض] : الهدف الذي يرمى بالنشاب : أي يرميه رمية كرمية النشاب إلى الهدف

و [المهرودة] بالدال المهملة والمعجمة وهي : الثوب المصبوغ. قوله [لا يدان] : أي لا طاقة. و [النغف] : دود

و [فرسى] جمع فريس وهو : القتيل و [الزلقة] بفتح الزاي واللام وبالقاف وروي الزلفة بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء وهي : المرآة و [العصابة] : الجماعة. و [الرسل] بكسر الراء : اللبن. و [اللقحة] : اللبون

و [الفئام] بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة : الجماعة. و [الفخذ من الناس] : دون القبيلة.

أنظر: شرح مسلم (٤/ ٢٢٥٠ حديث٢٩٣٧) ورياض الصالحين حديث رقم(١٨٠٨) للنووي.

٢٥٠) رواه مسلم: وقد سبق قريبا.

٢٥١) رواه مسلم(١١٩/٢٩٤٢) وهو حديث الجساسة جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن الجساسة هي دابة الأرض المذكورة في القرآن. شرح النووي على مسلم(١٨/٢٧ـ ٢٨).

مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين: { لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً }[الأنعام: ١٥٨] متفق عليه([٢٥٢])].

* * * * *

[٥٨] وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه وأمر به في كل صلاة.
[٥٩] وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق والبعث بعد الموت حق وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور:{ فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون }[يس: ٥١] .

الشرح:

قال العثيمين: [فتنة القبر: الفتنة لغة الإختبار وفتنة القبر سؤال الميت عن ربه ودينه ونبيه وهي ثابتة بالكتاب والسنة قال الله تعالى: { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة }[إبراهيم: ٢٧].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى : { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة }[إبراهيم: ٢٧] متفق عليه([٢٥٣])].

ومن الأدلة التي ينبغي أن يستدل بها على إثبات عذاب القبر قول ربنا سبحانه : {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً }[نوح٢٥].

وقوله سبحانه : {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }[غافر٤٦].

وقوله تبارك وتعالى :{ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }[المؤمنون١٠٠].

فالبرزخ هو الحياة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة وحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة }([٢٥٤]).

قال العثيمين :[والسائل ملكان لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال: يأتيه ملكان فيقعدانه} رواه مسلم([٢٥٥]) واسمهما منكر ونكير كما رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً وقال : حسن غريب([٢٥٦]).

---

٢٥٢) متفق عليه: رواه البخاري(٤٣٥٩، ٤٣٦٠، ٦١٤١) ومسلم(٢٨٧/ ١٥٧) وأحمد(٧١٦١) وأبو داود(٤٣١٢) والنسائي في الكبرى(١١١٧٧) وابن ماجة(٤٠٦٨)وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
فائدة: قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث على ظاهره عند أهل الحديث والفقه والمتكلمين من أهل السنة.
شرح مسلم للنووي(١٩٥/٢)

٢٥٣) رواه الجماعة: البخاري(١٣٠٣، ٤٤٢٢) ومسلم(٧٣/٢٨٧١) وأحمد(١٨٥٠٥) وأبو داود(٤٧٥٠) والترمذي(٣١٢٠) والنسائي(٢٠٥٦) وابن ماجة(٤٢٦٩) وغيرهم عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

٢٥٤) متفق عليه: البخاري(١٣١٣، ٣٠٦٨، ٦١٥٠) ومسلم(٦٥/٢٨٦٦) وأحمد(٤٦٥٨) والترمذي(١٠٧٢) والنسائي (٢٠٧٠) وابن ماجة (٤٢٧٠) وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٢٥٥) متفق عليه: البخاري(١٢٧٣، ١٣٠٨) ومسلم(٧٠ /٢٨٧٠) عن أنس رضي الله عنه.

قال الألباني : وسنده حسن وهو على شرط مسلم([٢٥٧])].

وهل هما اثنان أم هذا اسم جنس يكونون كثيرين ولكن التسمية العامة منكر ونكير ؟ قولان مشهوران الله أعلم بما يترجح من ذلك.

[والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح وفي غير المكلفين خلاف.

وظاهر كلام ابن القيم في كتاب الروح([٢٥٨]) ترجيح السؤال ويستثنى من ذلك الشهيد لحديث رواه النسائي([٢٥٩])، ومن مات مرابطاً في سبيل لحديث رواه مسلم([٢٦٠])].

عذاب القبر أو نعيمه:

وعذاب القبر ألفت فيه مؤلفات كتاب لابن أبي الدنيا بعنوان عذاب القبر ومن المتأخرين سليم الهلالي القبر عذابه ونعيمه ورأيت لأحد المصريين كأنه محمد حسين يعقوب : القبر رؤية من الداخل ، ومحمد على الكليب له رسالة قديمة بعنوان : أهوال يوم القيامة ومن ذلك عذاب القبر فعذاب القبر حق نؤمن بعذاب القبر وهو إما نعيم نسأل الله سبحانه وتعالى من فضله وإما جحيم نعوذ بالله من ذلك كله .

قال العثيمين : [عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن وصريح السنة وإجماع أهل السنة قال الله تعالى في سورة الواقعة :{ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذٍ تنظرون }[الواقعة: ٨٣ـ ٨٤]

إلى قوله:{ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم}[الواقعة: ٨٨ت ٨٩]إلخ السورة... وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من عذاب القبر([٢٦١]) وأمر أمته بذلك([٢٦٢]).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر قال في المؤمن : { فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مدّ بصره } .وقال في الكافر:{ فينادي

---

٢٥٦) حسن: رواه الترمذي(١٠٧١) وابن حبان(٣١١٧) والبزار(٨٤٦٢) وابن أبى عاصم (٨٦٤) والرافعى (٢٤٧/٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ولفظه [ذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير] الحديث

٢٥٧) أنظر: صحيح الجامع(٧٢٤) والصحيحة(١٣٩١) وصحيح الترغيب(٣٥٦٠) والمشكاة(١٣٠).

وقال في الصحيحة(٤٦٥/٣) إسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم .

٢٥٨) أنظر: الروح لابن القيم ص(٨٧).

٢٥٩) صحيح: رواه النسائي(٢٠٥٣) وفي السنن الكبرى(٢١٨٠) وابن أبي عاصم في الجهاد(٢٣٠) والسيوطي في شرح الصدور (١٤٨) والمنذري في الترغيب والترهيب(٢١٤١) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٤٤٨٣) وصحيح الترغيب (١٣٨٠) وفي أحكام الجنائز ص(٣٦) عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة].

٢٦٠) رواه مسلم(١٦٣/١٩١٣) وغيره عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

٢٦١) متفق عليه: وقد سبق في خروج الدجال

٢٦٢) رواه مسلم (٥٩٠/ ١٣٤): وقد سبق في خروج الدجال

منادٍ من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً من النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه } الحديث رواه أحمد وأبو داود([٢٦٣])

وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ذكره ابن القيم في كتاب[الروح([٢٦٤])]. وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو ونردّ عليهم بأمرين :

١ـ دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف على ذلك

٢ـ أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا فليس العذاب والنعيم في القبر كالمحسوس في الدنيا] ([٢٦٥]).

عذاب القبر ونعيمه حق وهو مما اتفقت عليه الشرائع على إثباته إلى يومنا هذا ، الإسلام واليهود والنصارى بل جاء في الصحيحين:{ أن يهودية دخلت على عائشة تسألها فذكرت عذاب القبر فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر . فسألت عائشة رضي الله عنها عن عذاب القبر فقال { نعم عذاب القبر حق} . قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر}([٢٦٦]). فنؤمن بعذاب القبر بنعيم القبر للأحاديث الثابتة في ذلك.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : { القبر أول منازل الآخرة فإذا نجا العبد منه كان ما بعده أيسر } الحديث عن عثمان وله قصة وهي أن عثمان بن عفان كان إذا وقف على قبر يبكي. حتى يبل لحيته. فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي. وتبكي من هذا؟ قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ إن القبر أول منازل الآخرة. فإن نجا منه فما بعده أيسر منه.وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه}([٢٦٧]).

ويقول الراجز :

القبر روضة من الجنان ... أو حفرة من حفر النيران
فإن يك خيراً فالذي من بعده ... أفضل عند ربنا لعبده
وإن يك شراً فما بعده أشد ... ويل لعبد عن سبيل الله صدّ ([٢٦٨])

---

٢٦٣) صحيح: رواه أحمد(١٨٥٥٧) وأبو داود(٤٧٥٣) والحاكم(١٠٧) والطيالسي(٧٥٣) وابن ابي شيبة(١٢٠٥٩) والبيهقي في الشعب(٣٩٥) وغيرهم عن البراء بن عازب رضي الله عنه. وصححه الألباني في: صحيح الجامع(١٦٧٦) والمشكاة(١٣١) وصحيح الترغيب(٣٥٥٨) وانظر: أحكام الجنائز للألباني ص(١٥٦)

فائدة: قال ابن القيم في كتابه الروح ص(٤٨): هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث طعن فيه بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر.

٢٦٤) أنظر: الروح لابن القيم ص(٥٢ـ ٥٨).

٢٦٥) أنظر: في الرد على الملاحدة كتاب الروح لابن القيم ص(٦١ـ ٧٤).

٢٦٦) متفق عليه: البخاري(١٣٠٦، ومواضع) ومسلم(٨/٩٠٣) عن عائشة رضي الله عنها.

٢٦٧) حسن: رواه أحمد(٤٥٤) والترمذي(٢٣٠٨) وابن ماجة(٤٢٦٧) والحاكم(١٣٧٣، ٧٩٤٢) وقال:هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. والبزار(٤٤٤) والبيهقي في الشعب(٣٩٧) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وحسنه الألباني في: صحيح الجامع(١٦٨٤) والمشكاة(١٣٢) وصحيح الترغيب(٣٥٥٠)

وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند حديث(٤٥٤).

٢٦٨) هذه الأبيات للشيخ حافظ حكمي في كتابه منظومة السبل السوية لفقه السنن المروية ص(٧٦).

واعتقاد أهل السنة والجماعة أن عذاب القبر ونعيمه حاصل لكل من مات من بني آدم على أي حالة كانت ميتته إن مات في البحر أو في البر أو أكلته السباع أو أكلته الحيتان أو رمي في العراء أو وضع في الثلاجة أو في القصدير المادة التي تمنع التآكل فيجري عليه عذاب القبر ولا ينبغي أن نقيس ذلك على حسب عقولنا فعقولنا قاصرة لا تدرك.

بل من علماء السنة من يقول : عذاب القبر حق ثابت في السنة والقرآن من غير تأويل ولا تعطيل لا ينبغي أن نؤول ولا نعطل ولا نكيف لماذا ؟ لأن عذاب القبر أمر غيبي أمر نحن لا ندركه لكن نروي ما ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل العذاب يكون على الروح والجسد أم على الروح أم على الجسد ؟

القول الصحيح من أقوال أهل العلم هو اعتقاد أهل السنة والجماعة ومذهب السلف الصالح كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى([٢٦٩]) أن العذاب يجري على الروح وعلى البدن وأن الروح لها اتصال بالبدن إما معذبة وإما منعمة استدلوا على ذلك بأدلة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الشهداء: { أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل...}([٢٧٠]).

فالشهداء هم في قبورهم ولكن أرواحهم منعمة ، وبعض أهل العلم ذكر لذلك أمثلة قد يردّ بها على هؤلاء الملحدين الزنادقة الذين أنكروا عذاب القبر استدلوا بقصة النائم حينما ينام والناس بجانبه مستيقظين فالنائم هذا يدخل في عالم آخر وهم لا يحسون بذلك وهو يحس بل ربما قام بعض النائمين عطِشاً من شدة ما كان يعانيه ، كأن يرى في النوم أن يأتيه عبدان أسودان فيأخذانه إلى قمة جبل ويرمون به من على قمة الجبل حتى يصل إلى البحر فإذا به يتصارع مع أمواجه وهكذا ثم يفيق وهو منزعج جداً ربما بعضهم يموت الذي بجانبه ما يشعرون بشيء من ذلك فإذا كان هذا يعني على مستوى النائم فما بالك بما أخبر الله سبحانه وتعالى به وأخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم فالواجب علينا أن نؤمن.

وجاء في مسلم عن زيد بن ثابت قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر. فقال: { من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل أنا قال فمتى مات هؤلاء ؟ قال ماتوا في الإشراك فقال إن هذه الأمة تبتلى في قبورها

---

٢٦٩) فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى(٢٨٤/٤) : مذهب سلف الأمة وأئمتها إن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وان ذلك يحصل لروحه ولبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب.

* وقال في الفتاوى الكبرى(٣٥٩/٥): ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم لروح الميت وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأيضا تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم أو العذاب.

* وقال ابن القيم في الروح ص(٥٢): أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانا ويحصل له معها النعيم أو العذاب ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.

٢٧٠) رواه مسلم(١٢١/١٨٨٧) وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه}([٢٧١]) .وخرج النبي صلى الله عليه وسلم مرة وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال:{ يهود تعذب في قبورها} ([٢٧٢]).

وحديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ برجلين فقال: { إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة }([٢٧٣]).

فهذه كلها أدلة قاطعة لإثبات عذاب القبر أو نعيمه فالمؤمن ينعم في القبر ويوسع له مد البصر يرى إلى الجنة فيرى أهله والغلمان والأشجار والأطيار فتتوق نفسه فيقول : ربي أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي وأما الفاجر يرى مقعده من الجنة ثم يغلق فيقال : انظر فينظر إلى نافذة أخرى إلى النار فيرى النار مضطرمة يحطم بعضها بعضاً فينزعج ويقول : رب لا تقم الساعة هذا ما أخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم فالواجب علينا أن نعدّ لذلك أعمالاً.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فـإن بنـاها بخيـر طاب مسكنـه وإن بنـاها بشـر خـاب بـانيـها([٢٧٤])

ولا فرق في ذلك بين الأغنياء والفقراء وإن أنزلوا الثرى في قبر من ذهب أو فضة أو ياجور أو كتبوا الشهيد أو المغفور له أو رحمه الله هذه ألفاظ لا تعيدهم شيئاً وليس لها محل من الإعراب فالسعيد سعيد وإن أكلته السباع والشقي شقي وإن أنزلوه في قبر من ذهب كما قيل:

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوس([٢٧٥])

فكلهم على حدّ سواء أيام وإذا بذلك الجسد المنعم يصير تراباً مثل التراب تماماً لقد أكلته الدود وصيرته لا شيء إلا عجب الذنب الذي منه ينشأ ابن آدم ([٢٧٦]). إذا أذن الله سبحانه وتعالى لإعادة الخليقة من جديد فالله المستعان ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا وأن يعفو عنا ويتجاوز عنا وأن يجعل قبورنا راحة من هذه الدنيا ونصبها وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

النفخ في الصور:

المراد بذلك أن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالنفخ في الصور هذا من الغيب الذي أمر الله تبارك وتعالى بالإيمان به ومدح سبحانه وتعالى المؤمنين بالغيب قال سبحانه :{ذلك الكتاب لا

---

٢٧١) رواه مسلم(٢٨٦٧/ ٦٧) وأحمد(٢١٧٠١) والطبراني في الكبير(٤٧٨٤)عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.
ورواه أحمد(١٣٤٧٢) وأبو داود(٤٧٥١) عن أنس ولفظه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل نخلا لبني النجار فسمع صوتا ففزع فقال من أصحاب هذه القبور] الحديث. صححه الألباني في التعليق على سنن أبي داود. وقال شعيب الأرنؤوط في التعليق على المسند(٣/٢٣٣): حديث صحيح وهذا إسناد قوي.
ورواه ابن حبان(١٠٠٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال شعيب الأرنؤوط في التعليق على ابن حبان(٣/٢٨١) : إسناده صحيح على شرط مسلم

٢٧٢) متفق عليه: البخاري(١٣٠٩) ومسلم(٦٩/٢٨٦٩) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

٢٧٣) رواه الجماعة: البخاري(٢١٣، ٢١٥، ٢٩٥، ١٣١٢، ٥٧٠٥، ٥٧٠٨) ومسلم(١١١/٢٩٢) وأحمد(١٩٨٠) وأبو داود (٢٠) والترمذي(٧٠) والنسائي(٣١) وابن ماجة(٣٤٧) وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢٧٤) هذان البيتان تنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي في ديوانه وقيل أنها لغيره.

٢٧٥) أنظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية تحت مقال [هل أنت فتاة جميلة] جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود.

٢٧٦) أنظر: البخاري(٤٦٥١) ومسلم(١٤١/٢٩٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة }[البقرة: ٢ـ ٣] والغيب هو ما غاب عن سمعك وبصرك ولمسك هذا أمر غيبي لكن عندنا من الأدلة القرآنية والنبوية ما تجعل ذلك عقيدة مستقرة في قلوبنا حتى الديانات الأخرى يؤمنون بهذا وإن كان قد قال قائلهم : كما قال سبحانه:

{ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن}[التغابن:٧] هي فقط عبارة عن مغالطة وإلا فالأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله إليهم أمروهم بهذا ودلوهم وأخبروهم.

قال العثيمين: [النفخ معروف. والصور لغة : القرن. وشرعاً : قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه ، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش وهما نفختان :

إحداهما : نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله.

والثانية: نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم : وقد دل على النفخ في الصور الكتاب والسنة وإجماع الأمة

قال الله تعالى :{ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون}[الزمر:٦٨].

{ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون }[يس:٥١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً ثم لا يبقى أحد إلا صعق ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل(شك الراوي) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون } رواه مسلم([٢٧٧]) في حديث طويل. واتفقت الأمة على ثبوته]. ومعنى ليتا أي مال بعنقه.

وفي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم : {كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ }([٢٧٨]) يعني إسرافيل.

نفختان في آخر الزمان يتم هذا وهناك خلاف بين أهل العلم أهما نفختان أم ثلاث خلاف بين أهل العلم والقرآن أثبت نفختين { ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون }[الزمر: ٦٨].

* * * * *

[٦٠] ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة ، غرلا ، بهما ([٢٧٩])، فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين وتنشر الدواوين وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا }[الانشقاق: ٧ - ١٢].

---

٢٧٧) رواه مسلم(١١٦/٢٩٤٠). الفتن كتاب وأشراط الساعة: باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور.

٢٧٨) صحيح: رواه أحمد(١١٠٥٣) والترمذي(٣٢٤٣) وابن حبان(٨٢٣) والطبراني في الكبير(٢٠٠٠) والصغير(٤٥) وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وصححه الألباني في : الصحيحة(١٠٧٩) وصحيح الترغيب(٣٥٦٩) وشعيب الأرنؤوط في: التعليق على المسند(٧/٣).

٢٧٩) سبق معنى هذه الألفاظ.

الشرح:

ويحشر الناس حفاة عراة غرلاً بهما كلهم رجال ونساء حفاة من غير انتعال وعراة من غير لباس وغرلاً غير مختونين حتى أن عائشة رضي الله عنها تستعظم هذا فتقول:{ يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال صلى الله عليه وسلم يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض }([٢٨٠]).

لو أن هناك حريق اندلع ثم صار من النساء من هي عارية هل الرجل يهتم بذلك لا يهتم تضيع شهوته وينصدع قلبه ويطير عقله فلا يفكر بمثل هذا فما بالك وهي أهوال قال سبحانه : { يوماً يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به كان وعده مفعولاً }[المزمل: ١٧ـ ١٨].

ويقول سبحانه:{ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد }[الحج:١ـ ٢]. نسأل الله السلامة والعافية .

فالناس يحشرون حفاة عراة غرلاً فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين وتنشر الدواوين وتتطاير الصحف صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل كما قال سبحانه : { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا }[الانشقاق: ٧ - ١٢].

قال ابن العثيمين : [البعث لغة : الإرسال والنشر] أبعث بمعنى أرسل وبمعنى أيضاً الإثارة والتحريك بعث بمعنى أرسل قال الله تعالى:{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ }[النحل:٣٦] أي أرسلنا .

[وشرعاً : إحياء الأموات يوم القيامة.

والحشر لغة : الجمع] { فحشر فنادى }[النازعات:٢٣] بمعنى جمع { وإذا الوحوش حشرت}[التكوير:٥] أي جمعت .

[وشرعاً : جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين قال الله تعالى:{قل بلى وربي لتبعثن} [التغابن: ٧].

وقال تعالى : { قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم }[الواقعة: ٤٩ـ ٥٠].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد } متفق عليه([٢٨١])].

---

٢٨٠) متفق عليه: البخاري(٦١٦٢) ومسلم(٥٦/٢٨٥٩) عن عائشة رضي الله عنه.

٢٨١) متفق عليه: البخاري(٦١٥٦) ومسلم(٢٨/٢٧٩٠) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

فائدة: قال النووي في شرح مسلم(١٣٤/١٧): (العفراء) بالعين المهملة والمد بيضاء إلى حمرة. (والنقى) بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء هو الدقيق الحورى وهو الدرمك وهو الأرض الجيدة قال القاضي كأن النار غيرت بياض وجه الأرض إلى الحمرة قوله صلى الله عليه وسلم (ليس فيها علم لأحد) هو بفتح العين واللام أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر .

هذه الأرض التي عناها الله بقوله:{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ }[إبراهيم٤٨] أرض طاهرة لم ترق فيها دماء ولم يرتكب على ظهرها خطيئة (بيضاء عفراء) يعني بياض مشوب باحمرار(كقرصة النقي)المراد بهذا الخبزة تجده نظيف من آثار الطحن والشوائب التي تلحقه وكذلك أيضاً (ليس فيها علم) ليس فيها ملك ولا جبل ولا بناء ولا متجر ولا شيء .

ثم قال الشيخ العثيمين:[وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة.

ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم عراة لا كسوة عليهم غرلاً لا ختان فيهم لقوله تعالى:{كما بدأنا أول خلق نعيده}[الأنبياء: ١٠٤].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ :{ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين }[الأنبياء: ١٠٤] وأول من يكسى إبراهيم } متفق عليه(٢٨٢).

وفي حديث عبد الله بن أنيس المرفوع الذي رواه أحمد : { يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهماً قلنا : وما بهماً ؟ قال : ليس معهم شيء } الحديث(٢٨٣)].

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا إيماناً مطلقاً النفخ في الصور والبعث وكذلك أيضاً جمع الناس وهو الحشر وإذا علمنا هذا وجب أن نستعد له لا يكفي أننا نعلم فلا بد أن نعلم ونعمل ، قد كان بعض الصالحين يكتب بعضهم إلى بعض يقول له : [اتق يوماً صبيحته يوم القيامة].

وقال سبحانه : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون}[الحشر: ١٨].

فإذا تذكرنا ذلك اليوم فلننظر في حالنا وفي أنفسنا ما الذي أعددناه لذلك اليوم العظيم { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره }[الزلزلة:٧ـ ٨].

بعد النفخ في الصور والبعث والحشر بعد ذلك الحساب.

الحساب:

قال العثيمين: [الحساب لغة : العدد]. كلمة حساب عدد حساب كذا .

وشرعاً : اطلاع الله سبحانه عباده على أعمالهم هو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين].

كما قال سبحانه :{ {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً}[الفجر:٢٢]. وقال سبحانه : { إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم}[الغاشية:٢٥ـ ٢٦]. إيابهم أي رجوعهم إلينا وحسابهم علينا هذا في آخر سورة الغاشية فالكذب والنفاق والرشوة هناك كسدت سوقها لا يقبل من ذلك شيء ، قال سبحانه وتعالى في سورة المجادلة :{ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله }[المجادلة:١٨ـ ١٩].

نسأل الله السلامة والعافية .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته:{اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا نبي الله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه أنه من نوقش

---

٢٨٢) متفق عليه: البخاري(٣١٧١، ٣٢٦٣، ٤٣٤٩، ٤٣٥٠، ٤٤٦٣، ٦١٥٩، ٦١٦١) ومسلم(٢٨٦٠/ ٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢٨٣) صحيح: وقد سبق تخريجه عند صفة الكلام.

الحساب يومئذ يا عائشة هلك. وكل ما يصيب المؤمن يكفر الله عز وجل به عنه حتى الشوكة تشوكه}([284])وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً }([285]) فالمسألة مسألة صحائف ودواوين تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر([286]) يخرجون للعبد في ذلك اليوم { وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً }[الإسراء: ١٣ـ ١٤].

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: { من نوقش الحساب عذب }([287]) نسأل الله السلامة والعافية.

ولكن المؤمن يحاسب حساباً يسيراً والكافر يحاسب حساباً عسيرا([288]) وأول ما يحاسب العبد به الصلاة([289]) هذا فيما يكون بينه وبين الله وأما ما يكون بينه وبين الناس فأول ما يحاسب عليه العبد الدماء لعظمهما كما في الصحيحين عن نبينا صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه([290])

قال سبحانه : {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)}[المؤمنون: ١٠٢ـ ١٠٤] .

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى وأخذ بنواصينا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

---

٢٨٤) صحيح: رواه أحمد(٢٤٢٦١) وابن خزيمة(٨٤٩) وابن حبان(٧٣٧٢) والحاكم(١٩٠) وقال: ٠هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه بهذا اللفظ ووافقه الذهبي والطبراني في الأوسط(٣٦٤٩) والبيهقي في الشعب(٢٧٠) وإسحاق بن راهويه في: مسنده(٩٠٩) وصححه الألباني في: المشكاة(٥٥٦٢) وفي الظلال(٨٨٥).

٢٨٥) صحيح: رواه النسائي في الكبرى(١٠٢٨٩) وابن ماجة(٣٨١٨) قال البوصيرى (١٣٥/٤) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات والبيهقي في الشعب(٦٤٧) ، والبزار (٤٣٣/٨ ، رقم ٣٥٠٨) والضياء (٩٥/٩ ، رقم ٧٩) عن عبد الله بن بسر رضي الله وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٩٥/١٠) ، والبيهقي في الشعب (٤٤٠/١ ، رقم ٦٤٦) موقوفًا وقال : هذا هو الصحيح موقوفًا وابن حجر في: الأمالي المطلقة ص(٢٤٩) وقال: هذا موقوف صحيح عن عائشة رضي الله عنها .
وصحح الحديث الألباني في: صحيح الجامع(٣٩٣٠) وصحيح الترغيب(١٦١٨) والمشكاة (٢٣٦) والتعليق الرغيب(٢٦٨).

٢٨٦) صحيح: رواه أحمد(٦٩٩٤) والترمذي(٢٦٣٩) وابن ماجة(٤٣٠٠) وابن حبان(٢٢٥) والحاكم(٩) وقال: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين و هو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. والبيهقي في الشعب(٢٨٣) وغيرهم.
وصححه الألباني: صحيح الجامع(١٧٧٦، ٨٠٩٥) والصحيحة(١٣٥) والمشكاة(٥٥٥٩).

٢٨٧) متفق عليه: البخاري(١٠٣، ٤٦٥٥، ٦١٧١، ٦١٧٢) ومسلم(٢٨٧٦) عن عائشة رضي الله عنها.

٢٨٨) كما قال تعالى: { فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حسابا يسيرا. وينقلب إلى أهله مسرورا. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبورا. ويصلى سعيرا. إنه كان في أهله مسرورا. إنه ظن أن لن يحور}[الإنشقاق: ٧ـ ١٤] وغيرها من الآيات التي تذكر حال المؤمنين والكافرين عند الحساب والسؤال. والحساب اليسير هو العرض على الله سبحانه وتعالى أو هو عرض عمله على الميزان لا الحساب على وجه المناقشة كما في الحديث السابق من نوقش عذب ، وفيه [قالت عائشة فقلت أوليس يقول الله تعالى { فسوف يحاسب حسابا يسيرا } . قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إنما ذلك العرض] البخاري(١٠٣) ومسلم(٢٨٧٦).

٢٨٩) لقوله صلى الله عليه وسلم: { إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح و أنجح و إن فسدت فقد خاب و خسر} وهو حديث صحيح: رواه أبو داود(٨٦٤) والترمذي(٤١٣) والنسائي(٤٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني: صحيح الجامع(٢٠٢٠) والمشكاة(١٣٣٠) وصحيح الترغيب(٥٤٠).

٢٩٠) متفق عليه: البخاري(٦١٦٨، ٦٤٧١) ومسلم(٢٨/١٦٧٨) ولفظه: { أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء }

* * * * *

[٦١] والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال:{ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون}[المؤمنون١٠٢-١٠٣].

.....

الشرح:

قال العثيمين :[الموازين جمع ميزان وهو لغة : ما تقدر به الأشياء خفة وثقلا .
وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد. وقد دلّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف.
قال الله تعالى:{ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون}[المؤمنون:١٠٢-١٠٣]. { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين }[الأنبياء: ٤٧].
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم } متفق عليه(٢٩١). وأجمع السلف على ثبوت ذلك].
وهذا الحديث آخر حديث في صحيح البخاري أول حديث إنما الأعمال بالنيات(٢٩٢) وهذا آخر حديث فيه.
قال العثيمين: [وهو ميزان حقيقي له كفتان لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب البطاقة قال:{ فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة} الحديث رواه الترمذي وابن ماجة قال الألباني: إسناده صحيح(٢٩٣)]. هذا الحديث مشهور ويسمى حديث البطاقة.
قال:[واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعددا؟
فقال بعضهم : متعدد بحسب الأمم أو الأفراد أو الأعمال لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعاً وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.
وقال بعضهم : هو ميزان واحد لأنه ورد في الحديث مفرداً وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون وكلا الأمرين محتمل والله أعلم.
والذي يوزن العمل لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها ، وقيل صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة وقيل : العامل نفسه لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة } وقال: اقرؤوا :{ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً }[الكهف:١٠٥] متفق عليه(٢٩٤).

---

٢٩١) متفق عليه: البخاري(٦٠٤٣، ٦٣٠٤، ٧١٢٤) ومسلم(٣١/٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٢٩٢) حديث الأعمال بانيات رواه الجماعة: البخاري(١، ٥٤، ٢٣٩٢، ٣٦٨٥، ٤٧٨٣، ٦٣١١، ٦٥٥٣)، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية رقم(١٩٠٧) و أحمد (١٦٨) وأبو داود(٢٢٠١) والترمذي(١٦٤٧) والنسائي(٧٥) وابن ماجة(٤٢٢٧) وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
٢٩٣) صحيح: رواه أحمد(٦٩٩٤) والترمذي(٢٦٣٩) وابن ماجة(٤٣٠٠) وابن حبان(٢٢٥) والحاكم(٩) وقال: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين و هو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ورواه البيهقي في الشعب(٢٨٣) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(١٧٧٦) والمشكاة(٥٥٥٩) وقد سبق قريبا.
٢٩٤) متفق عليه: البخاري(٤٤٥٢) ومسلم(١٨/٢٧٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن أو أن الوزن حقيقة للصحائف وحيث أنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته وهذا جمع حسن والله أعلم].

هذه الأعمال هي عبارة عن أمور غير محسوسة في الدنيا ما يسمى أمور معنوية أو عرض والعرض هو الشيء الذي لا يحس مثلما تقول الصيام البر الصلاة بخلاف الأشياء المحسوسة مثل الميكرفون اليد الإسمنت الزبد أشياء محسوسة لكن الله سبحانه وتعالى يجسد هذه الأعمال لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه }([٢٩٥]).

يأتي القرآن شفيعاً لأصحابه فالأعمال كلها تجسد ، المعتزلة تقول : أن المراد بالميزان هو العدل ، وهذا صرف للفظ عن ظاهره ، بل هو ميزان حقيقي توزن به الأعمال خفة وثقلاً : {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)}[المؤمنون: ١٠٢ـ ١٠٤].

نسأل الله السلامة والعافية بعد الميزان يؤمن أهل السنة والجماعة بنشر الدواوين.

نشر الدواوين:

قال العثيمين: [النشر لغة : فتح الكتاب أو بث الشيء] نشرته أي بثثته نشرت علمي أي بثثته [وشرعاً : إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها.

والدواوين جمع ديوان وهو لغة الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم، وشرعاً : الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل .

فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة فتطاير إلى الأيمان والشمائل وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، قال الله تعالى : { فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً }[الإنشقاق: ٧ـ١٢] .

{ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه }[الحاقة: ٢٥] .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم:هل تذكرون أهليكم ؟ قال: { أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوز } رواه أبو داود والحاكم وقال : صحيح على شرطهما([٢٩٦])].

هذا الحديث في سنده القاضي عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف ، وفيه أيضاً رجل مشهور يسمى بالحسن البصري لم يسمع من عائشة فهو مرسل ومراسيل الحسن كما يقول العلماء : كالريح ، لكن صح هذا الحديث أو لم يصح فأهل السنة يؤمنون بنشر الصحايف فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أما أهل الإيمان والصلاح والصبر والبر فيأخذون كتبهم بأيمانهم وأما أهل المعاصي

---

٢٩٥) رواه مسلم(٢٥٢/٨٠٤) وأحمد(٢٢٢٠٠، ومواضع) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

٢٩٦) ضعيف: رواه أحمد(٢٤٧٤٠) وأبو داود(٤٧٥٥) والحاكم(٨٧٢٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لو إرسال فيه بين الحسن و عائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل و هو صبي منزل عائشة رضي الله عنها و أم سلمة. ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في الإعتقاد ص(٢١٠) والآجري في الشريعة ص(٣٨٥)
وضعفه الألباني في: المشكاة(٥٥٦٠) وضعيف الترغيب والترهيب (٢١٠٨) وشعيب في التعليق على المسند(١٠١/٦).

والذنوب والمفرطين فالله المستعان { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)}[الحاقة: ١٩ـ ٣٢].

هذه مشاكل كثيرة نسأل الله السلامة وبعدين فضيحة ليست بعدها فضيحة أمام الناس.

ثم يؤمن أهل السنة والجماعة بكل ما أخبر به الله أو أخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما ذكره ابن قدامة بقوله :

* * * * *

[٦٢] ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض في القيامة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

الشرح:

قال العثيمين:[الحوض لغة: الجمع يقال : حاض الماء يحوضه إذا جمعه ويطلق على مجتمع الماء وشرعاً: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي صلى الله عليه وسلم .

ودل عليه السنة المتواترة وأجمع عليه أهل السنة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إني فرطكم على الحوض } متفق عليه(٢٩٧).

---

٢٩٧) متفق عليه: البخاري(٦٢٠٥) ومسلم(٢٢٩٧) عن ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما وجاء الحديث عن سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري عند البخاري(٦٢١٢، ٦٦٤٣) ومسلم(٢٢٩٠، ٢٢٩١) ومن حديث جندب عند البخاري(٦٢١٧) ومسلم(٢٢٨٩) ومن حديث عقبة بن عامر عند مسلم(٢٢٩٦) رضي الله عنهم أجمعين.

* فائدة: قال النووي في شرح مسلم(٥٣/١٥): قال القاضي عياض رحمه الله أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه.

قال القاضي وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية بن عمرو بن العاص وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وبن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وأبي برزة وسويد بن حبلة وعبد الله بن الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي بكر وخولة بنت قيس وغيرهم قلت ورواه البخاري ومسلم أيضا من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمر وآخرين وقد جمع ذلك كله الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرات قال القاضي وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا. أ ـ هـ .

وانظر: الفتح(٤٦٦/١١) وعمدة الفاري(٣/٢٠، ١٣٦/٢٣)

* قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد(٢٩١/٢): الأحاديث في حوضه صلى الله عليه وسلم متواترة صحيحة ثابتة كثيرة والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب والإقرار به عند الجماعة لازم وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك صلى الله عليه وسلم.

* وقال القرطبي : أحاديث الحوض متواترة فقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ثلاثين ورواه عنهم من التابعين أمثالهم ثم لم تزل تلك الأحاديث تتوالى وتشير الرواية إليها في جميع الأعصار إلى أن تنتهي ذلك إلينا وقامت به حجة الله علينا

وأجمع السلف أهل السنة على ثبوته وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض ونردّ عليهم بأمرين:
١ـ الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم.
٢ـ إجماع أهل السنة على ذلك].
ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : { إني فرطكم على الحوض } أي أسبقكم إليه.

صفة الحوض:

قال العثيمين: [صفة الحوض طوله شهر وعرضه شهر وزواياه سواء وآنيته كنجوم السماء وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والثاني من فضة] هذان الميزابان يصبان إلى عرصات القيامة والذين يحضون بالشراب من ذلك الحوض هو نبينا صلى الله عليه وسلم وأتباعه في سنته
[يرده المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً وكل هذا ثابت في الصحيحين أو أحدهما([٢٩٨])].
فمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قد جعله قدوة وقيادة شرب وإلا فلا.
قال :[وهو موجود الآن لقوله صلى الله عليه وسلم : { وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن } رواه البخاري([٢٩٩]) واستمداده من الكوثر لقوله صلى الله عليه وسلم : { وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوض } رواه أحمد([٣٠٠]) قال ابن كثير وهو حسن الإسناد والمتن([٣٠١]) .
ولكل نبي حوض ولكن حوض النبي صلى الله عليه وسلم أكبرها وأعظمها وأكثرها وارداة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إن لكل نبي حوضاً وإنهم ليتباهون أيهم أكثر وارداة وإني لأرجو أن

فأجمع عليه السلف والخلف وقد أنكره قوم من المبتدعة فأحالوه عن ظاهره وغلطوا في تأويله من غير إحالة عقلية ولا عادية تلزم من إجرائه على ظاهره ولا معارضة سمعية ولا نقلية تدعو إليه فتأويله تحريف صدر عن عقل سخيف.
نقله عنه المناوي في فيض القدير(٣٩٨/٣)
* قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ذكر ما ورد في الحوض المحمدي سقانا الله منه يوم القيامة ، من الأحاديث المشهورة المتعددة الطرق المأثورة الكثيرة المتضافرة ، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة المكابرة القائلين بجحوده ، المنكرين لوجوده ، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده ، كما قال بعض السلف : من كذب بكرامة لم ينلها ، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها. ثم سرد رحمه الله أحاديث الحوض من رواية أكثر من ثلاثين صحابياً.
انظر: النهاية في الفتن والملاحم (٢٩٣/١ـ٣٢٥).
٢٩٨) انظر كتاب الفضائل: البخاري رقم(٦٢٠٨) ومسلم رقم(٢٦/٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وأيضا البخاري رقم (٦٢٠٩) ومسلم رقم (٢٣٠٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه
ومسلم رقم (٢٣٠١) عن حديث ثوبان رضي الله عنه، ومسلم رقم (٣٦/٢٣٠٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
٢٩٩) متفق عليه: رواه البخاري(١٢٧٩، ٣٤٠١، ٣٨١٦، ٣٨٥٧، ٦٠٦٢، ٦٢١٨) ومسلم(٣٠/٢٢٩٦) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.
٣٠٠) ضعيف: رواه أحمد(٢٣٣٨٤) وقال الهيثمي في المجمع(٥٧/١٠) رواه أحمد وإسناده حسن ورواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات(٩٢٧) والقاضي عياض في الشفاء(٢٢٥/١) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. وضعفه الشيخ مقبل الوادعي في: الشفاعة ص(٥٣) وشعيب في التعليق على المسند(٣٩٣/٥).
٣٠١) انظر: نهاية البداية والنهاية(٢٤٤/٢) وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف. نقلا من حاشية شرح اللمعة للعثيمين ص(١٢٥) تحقيق : أشرف بن عبد المقصود.

أكون أكثرهم واردة } رواه الترمذي وقال : غريب وروى ذلك ابن أبي الدنيا وابن ماجة من حديث أبي سعيد وفيه ضعف ، لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق([٣٠٢])] .

* * * * *

[٦٣] والصراط حق يجوزه الأبرار ويزل عنه الفجار.

الشرح:

قال العثيمين: [الصراط لغة : الطريق] قال الله تعالى:{اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ }[الفاتحة:٦] أي الطريقة المستقيمة كما قيل :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم([٣٠٣])

[وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة. وهو ثابت في الكتاب والسنة وقول السلف. قال الله تعالى: { وإن منكم إلا واردها }[مريم: ٧١] .

فسرها عبدالله بن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط. وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها([٣٠٤]).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سلم سلم } متفق عليه([٣٠٥]). واتفق أهل السنة على إثباته].

الصراط هو الجسر الممدود على متني جهنم قال بعض السلف: هو أحد من السيف وأحر من الجمر وأدق من الشعر([306]).

صفة الصراط:

---

٣٠٢) صحيح بشواهده: رواه البخاري في التأريخ الكبير(٤٤/١) والترمذي(٢٤٤٣) وقال أبو عيسى هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح. ورواه الطبراني في : الكبير(٦٨٨١) وابن عساكر في : تأريخ دمشق(١٥٥/٥٢) وأبو القاسم الأصبهاني في: الحجة في بيان المحجة(٢٩٣) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٢١٥٦) والصحيحة(١٥٨٩) والظلال(٧٣٤).
وقال: حديث صحيح وإسناده ضعيف لكن له شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة.

٣٠٣) هذا البيت لجرير بن عطية الخطفي: وهو في ديوانه ص(٥٠٧) يمدح هشام بن عبد الملك، وقيل يمدح عمر بن عبدالعزيز. والموارد جمع مورد : وهي الطرق إلى الماء . يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم ، كما يسلكون الموارد إلى الماء

٣٠٤) أنظر: تفسير الطبري(٣٦٤/٨) وتفسير ابن كثير(١٧٨/٣) وتفسير القرطبي(١٢٤/١١) وفتح القدير للشوكاني(٤٩٢/٣) وغيرها من كتب التفسير عند الآية(٧١) من سورة مريم.

٣٠٥) متفق عليه: وهو قطعة من حديث طويل رواه البخاري(٧٠٠١) ومسلم(٣٠٢/١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

٣٠٦) قاله أبو سعيد الخدري رضي الله عنه رواه مسلم بعد روايته لحديث أبي سعيد الخدري (٣٠٢٣/١٨٣) السابق حيث قال قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف. دون ذكر قوله وأحر من الجمر.وأنظر الفتح(٤٥٤/١١) فقد ذكر له بعض الطرق

[سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصراط فقال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شكوة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان. رواه البخاري([٣٠٧])]

مدحضة مزلة وعليه خطاطيف وكلاليب وحسكة يظهر من اللفظ أن هذا الصراط عليه ابتلاءات كثيرة جداً مدحضة أشبه ما يكون بالزلق الله المستعان هذا الصراط وهذا ما وضع عليه حتى يكون به الإبتلاء شديد ثم بعد ذلك العبور على هذا الصراط الناس يستسلمون للأمر الواقع.

ففي حديث أبي سعيد المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم}([٣٠٨]) إما أن يمر كالبرق الخاطف وإما أن يمشي مشياً عادياً وإما أن يزحف وإما أن تأخذه تلك الكلاليب فيوضع في جهنم والله المستعان .

قال العثيمين : [وفي صحيح مسلم : {تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول : يا رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً }([٣٠٩]) وفي صحيح البخاري : { حتى يمر آخرهم يسحب سحباً }([٣١٠]) وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ومن الأمم أمته لقول النبي صلى الله عليه وسلم: { فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم } رواه البخاري([٣١١])].

هذا آخر ما يكون في عرصات القيامة وهو الصراط المنصوب على متن جهنم نسأل من الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم من الناجين الفائزين المفلحين الذين نفعتهم أعمالهم أحوج ما يكونون إليها.

* * * * *

[٦٤] ويشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحما وحمما فيدخلون الجنة بشفاعته.

[٦٥] ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات . قال تعالى: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } [الأنبياء: ٢٨] .

[٦٦] ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

.....

الشرح:

الشفاعة: ومما يؤمن به أهل السنة والجماعة من المغيبات الشفاعة وهذا كله في عرصات القيامة ،

---

٣٠٧) متفق عليه: وهو جزء من حديث أبي سعيد السابق

٣٠٨) متفق عليه: وهو جزء من حديث أبي سعيد السابق

٣٠٩) رواه مسلم(٣٢٩/١٩٥) عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.

٣١٠) جزء من حديث أبي سعيد السابق في الصحيحين.

٣١١) متفق عليه: البخاري(٧٧٣، ٦٢٠٤، ٧٠٠٠) ومسلم(٢٩٩/١٨٢) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنه قال: وعشرة أمثاله

الشفاعة في اللغة : جعل الوتر شفعاً يعني جعل الواحد اثنين قال سبحانه:{ والفجر وليال عشر والشفع والوتر }[الفجر: ١- ٣].

واصطلاحاً : التوسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة ، وتنقسم إلى قسمين شفاعة دنيوية وشفاعة أخروية .

١ـ أما الشفاعة في الدنيا فهي التوسط للغير قال النبي صلى الله عليه وسلم:{ اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء }([312]) وقبل ذلك يقول الله سبحانه وتعالى:{مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً }[النساء٨٥] فهذه الشفاعة الدنيوية ومن الخير أن الشخص يشفع لإخوانه فإنه يؤجر على ذلك عند الله سبحانه وتعالى وليكن حرصه على الأجر عند الله سبحانه وتعالى لأن بعض الناس ربما يشفع أو ينفع مسلماً فينعكس هذا النفع ضرراً من قبل المشفوع له ربما يجحد هذا الجميل أو كما قيل : اتق شر من أحسنت إليه فإذا نوى الشخص بذلك وجه الله سبحانه وتعالى فكانت الأمور على غير ما يتصور فيكون الأمر هين على النفس في كل ما يأتي الإنسان ويذر:{ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً}[الإنسان: ٩-١٠].

فليكن حرص كل واحد من بني آدم أن يرضي الله سبحانه وتعالى في أعماله. هذه الشفاعة الدنيوية

٢ـ أما الشفاعة الأخروية وهي المقصودة هنا فهي عدة شفاعات([313]).

أولها وأعظمها ما عناه الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم بقوله سبحانه وتعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً }[الإسراء٧٩]. فالمقام المحمود هي الشفاعة العظمى على القول الصحيح([314]) من أقوال أهل العلم والمراد بذلك إراحة الناس من الموقف ، يأتي الناس أولهم وآخرهم إلى آدم يقولون: اشفع لنا فيعتذر فيحيلهم على نوح ونوح يحيلهم على

---

٣١٢) متفق عليه: البخاري(٤٦٧، ١٣٦٥، ٢٣١٤، ٥٦٨٠، ٥٦٨١، ٧٠٣٨) ومسلم(١٤٥/٢٦٢٧) وأحمد(١٩٥٩٩) وأبو داود(٥١٣١) والترمذي(٢٦٧٢) والنسائي(٢٥٥٦) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

٣١٣) وقد أوصلها ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية إلى ثمانية أقسام:

١ـ الشفاعة العظمى لفصل القضاء.

٢ـ الشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم.

٣ـ الشفاعة في أقوام أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

٤ـ الشفاعة في رفع درجات من دخل الجنة.

٥ـ الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦ـ شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

٧ـ شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأن يؤذن لجميع المؤمنين بدخول الجنة.

٨ـ الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص:(٢٥٢-٢٦٢).

٣١٤) فائدة: هذه هي الشفاعة العظمى التي فيها إراحة الناس من الموقف. وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى : { عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } (الإسراء : ٧٩) . وقد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم . وقال قتادة : " كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة " . وقد دلت السنة كذلك على شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف.

وأنظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لمجموعة من العلماء.

إبراهيم وإبراهيم يحيلهم على موسى وموسى يحيلهم على عيسى وعيسى يحيلهم على محمد صلى الله عليه وسلم فإذا ما أتوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم قال: { أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمي أمتي}([٣١٥]).

حريص في الدنيا وحريص أيضاً في الآخرة { لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }[التوبة١٢٨].

فيريح الناس من أهوال الكرب والهم والغم في ذلك اليوم العظيم هذه الشفاعة الكبرى والعظمى خاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم.

ثم له صلى الله عليه وسلم شفاعة أخرى وهي التي عناها صلى الله عليه وسلم بقوله: { شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي }([٣١٦]) وقد حرف بعض المعتزلة والخوارج هذا الحديث فقالوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي}([٣١٧]).

والصحيح قوله صلى الله عليه وسلم : { شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي } هذه الشفاعة تنكرها المعتزلة وتنكرها الخوارج ينكرونها عياذاً بالله وأهل السنة والجماعة يثبتونها لنبينا صلى الله عليه وسلم.

---

٣١٥) متفق عليه: البخاري(٤٤، ٧٠٧١، ٧٠٧٢) ومسلم(٣٢٦/١٩٣) عن أنس بن مالك ولمسلم(٣٢٩/١٩٥) عن حذيفة مرفوعا: [فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا..]

* فائدة: قال القاضي عياض: جاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بعد سجوده وحمده والإذن له في الشفاعة بقوله أمتي أمتي وقد جاء في حديث حذيفة بعد هذا في هذا الحديث نفسه قال فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له وترسل الامانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق وساق الحديث وبهذا يتصل الحديث لأن هذه هي الشفاعة التى لجأ الناس إليه فيها وهي الاراحة من الموقف والفصل بين العباد ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته صلى الله عليه وسلم...] شرح النووي على مسلم(٥٧/٣).

* فائدة: أحاديث الشفاعة بلغت حد التواتر كما نُقل عن كثير من أهل العلم رحمهم الله تعالى:

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى(٣١٤/١): وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة منها فى الصحيحين أحاديث متعددة وفى السنن والمساند مما يكثر عدده.

وقال: إن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثانية متواترة عن النبي وقد اتفق عليها السلف من الصحابة وتابعيهم بإحسان وأئمة المسلمين وإنما نازع في ذلك اهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم. المرجع السابق(٣٠٩/٤).

٣١٦) صحيح: رواه أحمد(١٣٢٤٥) وأبو داود(٤٧٣٩) والترمذي(٢٤٣٥) وابن حبان(٦٤٦٨) والحاكم(٢٢٨)عن أنس. ورواه الترمذي(٢٤٣٦) وابن ماجة(٤٣١٠) وابن حبان(٦٤٦٧) والحاكم(٢٣١)عن جابر والطبراني في الكبير(١١٤٥٤) والأوسط(٤٧١٣) عن ابن عباس وصححه الألباني: في صحيح الجامع(٣٧١٤) وفي المشكاة (٥٥٩٨) والظلال(٨٣١، ٨٣٢) وصحيح الترغيب(٣٦٤٩).

وله طرق أخرى عن عبدالله بن عمر وكعب بن عجرة رضي الله عنهم، انظر الشفاعة لمقبل الوادعي(٧٣-٨٠)

وقال الألباني بعد ذكره لهذا الحديث: وقد جاء عن جمع من الصحابة غير أنس بن - مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ مثل. جابر بن عبدالله الأنصاري ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ، وكعب بن عجرة ، وهي كلها أو جلها مخرجة في: ظلال الجنة (٨٣٠ - ٨٣٢) والروض النضير(٤٥ و٦٥) والمشكاة(٥٥٩٨ - ٥٥٩٩). انظر: الضعيفة تحت حديث رقم(٥٩٦٤).

٣١٧) موضوع: أنظر: الضعيفة(٦٣٠٢) وقال الألباني: وهذا حديث باطل ، لا أصل له عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ بل ولا نطق به جابر بن زيد التابعي الجليل ، بل هو من أباطيل الإباضية الذين ليس عندهم من كتب الحديث - فضلاً عن الآثار - ما عند أهل السنة ؛ التي يهتدي المسلم بها إلى معرفة إسلامه على الوجه الصحيح والشفاعة لمقبل الوادعي(١٥) وانظر أسنى المطالب الذي طبع باسم الأحاديث المشكلة في الرتبة محمد بن درويش الحوت ص(١٥٥)

٣ـ كذلك أيضاً شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيمن كان قد حكم عليه أن يدخل النار فيشفع له النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك شفاعته لعمه أبي طالب فقد قال العباس : يا رسول الله عمك أبو طالب كان يحوطك فماذا فعلت له أو نفعته بشيء ؟ قال : { يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال { نعم هو في ضحضاح من نار لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار }([٣١٨]).

وهناك شفاعات لنبينا صلى الله عليه وسلم وللأنبياء وللملائكة وللمؤمنين وللصيام وللقرآن وشفاعة لرب العالمين سبحانه وتعالى ، روى الصحابي الجليل أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن ربه سبحانه وتعالى أنه يقول: { شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً } متفق عليه([٣١٩]). ومعنى حمما: أي فحما.

وجاء في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم قال: { وثلاث حثيات من حثيات ربي }([٣٢٠])

هذه أيضاً استنكرها المعتزلة والأشاعرة والرد عليهم سهل جداً ، ليس كلامهم حجة ولا كل ما يدعيه المرء يعطاه { لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه }([٣٢١])

ما كل ما يبتغى ينال وصاحب الحق له مقال

فهؤلاء يقال لهم : لا عبرة بأقوالكم فكلامكم مخالف لكلام الله وكلام النبي صلى الله عليه وسلم وخلاف ظاهر النصوص وخلاف لإجماع السلف فمن أنتم حتى تخالفوا إجماع السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

وجاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:{ وإن المؤمن ليشفع للفئام من الناس }([322]).

---

٣١٨) متفق عليه: البخاري(٣٦٧٠، ٥٨٥٥، ٦٢٠٣) ومسلم(٣٥٧/٢٠٩) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

٣١٩) متفق عليه: وهو حديث أبي سعيد السابق في الصراط.

٣٢٠) صحيح: رواه أحمد(٢٢٣٥٧) والترمذي(٢٤٣٧) وابن ماجة(٤٢٨٦) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٧١١١) والمشكاة(٥٥٥٦) وشعيب في التعليق على المسند(٥/ ٢٦٨).

٣٢١) متفق عليه: البخاري(٤٢٧٧) ومسلم(١٧١١) وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنه.
وجاء في رواية البيهقي(٢٠٩٩٠) زيادة يصححها الألباني في: المشكاة(٣٧٥٨): عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:[لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء قوم وأموالهم ولكن البينة واليمين على المدعى من أنكر].
قال النووي في شرح مسلم(٣/١٢): وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع ففيه أنه لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه بل يحتاج إلى بينة أو تصديق المدعى عليه فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك وقد بين صلى الله عليه وسلم الحكمة في كونه لا يعطى بمجرد دعواه لأنه لو كان أعطى بمجردها لادعى قوم دماء قوم وأموالهم.
وقال ابن دقيق العيد في شرح الأربعين(ص٨٤): وهذا الحديث أصل من أصول الأحكام وأعظم مرجع عند التنازع والخصام ويقتضي أن لا يحكم لأحد بدعواه.
قال ابن المنذر في الإجماع(ص٧٥): أجمع أهل العلم على أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه.

٣٢٢) حسن: رواه أحمد(١١١٦٤) والترمذي(٢٤٤٠) وحسنه وأبو يعلى (١٠١٣) وابن أبى شيبة (٣١٧٠٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ولفظه:[إنّ من أمّتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرّجل حتّى يدخلوا الجنّة] وحسنه الشيخ مقبل الوادعي في: الشفاعة(١٢١) وصححه لغيره شعيب الأرنؤوط في التعليق على المسند(٢٠/٣، ٦٣)، وضعفه الشيخ الألباني في: ضعيف الجامع(٢٠٠٢) والمشكاة(٥٦٠٢) وضعيف الترمذي(٤٣٠).

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:{ اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه }من حديث أبي أمامة في صحيح مسلم([323]).

ويقول صلى الله عليه وسلم:{ الصيام و القرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام و الشهوات بالنهار فشفعني فيه يقول القرآن : رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان}([324]).

شروط الشفاعة:

لكن الشفاعة هناك لا من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بد لها من شرطين:

الشرط الأول: إذن الله للشافع.

بدليل قوله تعالى:{ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}[البقرة: ٢٥٥].

الشرط الثاني: ورضاه عن المشفوع.

بدليل قال سبحانه: { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى }[الأنبياء: ٢٨].

فهذا حق لا ينبغي رده أعني بذلك الشفاعة ولأهميتها ذكرها علماء العقيدة في كتبهم رداً على المشركين الذين كانوا يعتقدون أن أصنامهم وأندادهم ومعبوداتهم تشفع كما قال سبحانه وتعالى حاكيا عنهم أنهم قالوا: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى }[الزمر:٣] .

ورداً أيضاً على الخوارج وعلى المعتزلة ومن نحا نحو هؤلاء في إنكار الشفاعة العظمى والشفاعة لأهل الكبائر بل وإخراج الناس من النار ، ما دليلهم في ذلك والله ليس لهم دليل إلا الهوى.

ورحمة الله على القاضي أحمد بن أحمد سلامة الذي كان مفتي بلاد اليمن نزل إلى ذمار إلى المدرسة الشمسية وناظر المعتزلة ناظرهم في عدة مسائل ومن ضمنها الشفاعات.

فقال لهم : نتفق معكم على أنه لا شفاعة فإذا دخلتم النار وأراد من يشفع لكم بالخروج فقولوا : لا نحن لا نريد أن نخرج لأننا لا نرى الشفاعة فتبقون في النار.

فأُعجب بعضهم بهذا الإستنباط ولمعتقد الشيخ رحمه الله تعالى فتراجع من أولئك القضاة قرابة مائتي عالم عن هذا القول الذي نحوه وتبنوه وهو إنما جاءهم من أسلافهم القدامى

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضى وأخذ بنواصينا جميعاً للبر والتقوى

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * * * *

يقول الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي رحمه الله :

[٦٧] والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ، فالجنة مأوى أوليائه ، والنار عقاب لأعدائه ، وأهل الجنة فيها مخلدون:

{ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ }[الزخرف:٧٤-٧٥] .

---

٣٢٣) في مسلم: وقد سبق تخريجه.

٣٢٤) صحيح: رواه أحمد(٦٦٢٦) والحاكم(٢٠٣٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه والبيهقي في الشعب(١٩٩٤) وأبو نعيم في الحلية(١٦١/٨) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٣٨٨٢) والمشكاة(١٩٦٣) وصحيح الترغيب(١٤٢٩).

..... الشـــرح .....

الجنة والنار:

أما الجنة في اللغة العربية : فهي البستان الكثير الأشجار: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً } [الكهف٣٥].

وقال سبحانه في كتابه الكريم: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ} [القلم١٧] فالمراد بالجنة البستان الكثير الأشجار

أما في الشرع : فهي دار النعيم التي أعدها الله سبحانه وتعالى لأوليائه الصالحين المتقين نسأل من الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم منهم

قال سبحانه : {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران١٣٣].

وقال سبحانه : { أعددت لعبادي الصالحين }([٣٢٥]) فنسأل من الله أن يجعلنا من الصالحين ومن المتقين .

وأما النارفي اللغة : فهي هذه المادة الحارة التي من شأنها الخفة والطيش والإحراق والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها }([٣٢٦]) .

أما تعريفها في الشرع : فهي الدار التي أعدها الله للكفار كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : { فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ }[البقرة:٢٤].

فمن شأنها أنها هيئت للكافرين ولكن قد يعذب الرجل على قدر معصيته.

قال العثيمين : [والإعداد التهيئة. ولقوله صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الكسوف: { إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط أفظع منها } متفق عليه([٣٢٧]).

والجنة والنار لا تفنيان لقوله:{ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً} [البينة: ٨].

فهي على مر العصور والدهور لا تبلى ولا تفنى وإنما في تجدد دائم وهذا هو الفارق بين الحياة في الجنة والحياة في هذه الدنيا هذه الدنيا سريعة الزوال والإضمحلال أما الجنة فهي تتجدد على مدار الليالي والأيام وهكذا في حق جهنم يقول سبحانه:{إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً }[النساء:١٦٩] ويقول سبحانه : { إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها

---

٣٢٥) متفق عليه: البخاري(٣٠٧٢، ٤٥٠١، ٤٥٠٢، ٧٠٥٩) ومسلم في أوائل كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه وتمامه.[... ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : واقرءوا إن شئتم :{فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}(السجدة ١٧)]

٣٢٦) متفق عليه: البخاري(٣٠٩٢) ومسلم(٢٨٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣٢٧) متفق عليه: البخاري(١٠٠٤، ٤٩٠١) ومسلم(٩٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أبداً{[الأحزاب: ٦٤-٦٥]. وهناك فرق بين أمد وأبد فالأمد هو المكث الطويل أما أبداً فهو على التأبيد.

مكان الجنة والنار:

وأما مكان الجنة فكما قال الله :{ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين}[المطففون:١٨].

فالجنة في السماوات العلى وقال صلى الله عليه وسلم: { يقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض }([٣٢٨]).

وأما النار فهي في أسفل سافلين كما قال تعالى:{ لا إن كتاب الفجار لفي سجين }[المطففون: ٧]

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم:{فيقول الله:اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى}([٣٢٩]).

أهل الجنة وأهل النار:

لقد هيأ الله سبحانه وتعالى للجنة أهلها وهيأ للنار أهلها كذلك.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:{إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم }(٣٣٠).

ويقول صلى الله عليه وسلم: { ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر }([٣٣١]).

فالمؤمن النقي هو من أهل الجنة والفاجر الرعديد والمنافق هؤلاء من أهل النار نسأل الله السلامة والعافية قال سبحانه:{ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً}[الأحزاب: ٦٤-٦٥].

الكافر ما فيه استثناء المنافق النفاق الإعتقادي {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً }[النساء١٤٥].

المؤمن الذي تلطخ ببعض الذنوب والمعاصي فهو إلى الله{ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ } [الشورى(٨) والإنسان(٣١)]. ويقول سبحانه:{لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ }[المدثر٣٧]

فإما أن تقدم نفسك وإما أن تؤخرها (أن يتقدم) إلى الخير أو الجنة بالإيمان (أو يتأخر) إلى الشر أو النار بالكفر.

* * * * *

[٦٨] ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت.

---

٣٢٨) صحيح: وهذا جزء من حديث البراء وقد سبق عند عذاب القبر أو نعيمة.

٣٢٩) صحيح: وهذا جزء من حديث البراء وقد سبق عند عذاب القبر أو نعيمة.

٣٣٠) رواه مسلم(٢٦٦٢) وأحمد(٢٤١٧٨، ٢٥٧٨٣) وأبو داود(٤٧١٣) والنسائي(١٩٤٧) وابن ماجة(٨٢) وابن حبان (١٣٨، ٦١٧٣) وغيرهم .عن عائشة رضي الله عنها.

فائدة: قال أبو حاتم: [أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله هذا ترك التزكية لأحد مات على الإسلام ولئلا يشهد بالجنة لأحد وإن عرف منه إتيان الطاعات والانتهاء عن المزجورات ليكون القوم أحرص على الخير وأخوف من الرب لا أن الصبي الطفل من المسلمين يخاف عليه النار] صحيح ابن حبان(١/ ٣٤٨)

٣٣١) متفق عليه: البخاري(٤٦٣٤، ٥٧٢٣، ٦٢٨١) ومسلم(٢٨٥٣) وأحمد(١٨٧٥٢) والترمذي(٢٦٠٥) والنسائي في : الكبرى(١١٦١٥) وابن ماجة(٤١١٦) وغيرهم عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه.

..... الشـرح .....

ذبح الموت :

الذبح هو إزهاق النفوس فهنا الموت في حد ذاته يذبح وليس ملك الموت فملك الموت هو ملك من ملائكة الرحمن كما قال سبحانه: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } [السجدة١١] لكن الموت في حد ذاته يذبح لأن أهل الجنة خلود لا موت وأهل النار خلود لا موت فلا يحتاج إليه أبداً بعد أن يصير أهل الجنة إليها وأهل النار إليها.

قال ابن العثيمين : [الموت زوال الحياة وكل نفس ذائقة الموت وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية ولكن الله تعالى يجعله شيئا مرئياً مجسماً ويذبح بين الجنة والنار لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه. فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت }

ثم قرأ: { وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون}[مريم: ٣٩].

أخرجه البخاري في تفسير هذه الآية([٣٣٢])، وروى نحوه في صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعاً([٣٣٣])].

ومعنى يشرئبون أي يمدون أعناقهم الحديث في البخاري من حديث ابن عمر وجاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أيضاً نسأل الله السلامة والعافية وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * * * *

فصل: حقوق النبي وأصحابه

[٦٩] ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته.

[٧٠] صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم والسلام .

..... الشـرح .....

٣٣٢) متفق عليه: البخاري(٤٤٥٣) ومسلم(٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

٣٣٣) متفق عليه: البخاري(٦١٨٢) ومسلم(٤٣/٢٨٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال ابن العثيمين: [أفضل الخلق عند الله الرسل، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله:{ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً}[النساء: ٦٩].
وأفضل الرسل أولو العزم منهم وهم خمسة:نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلوات من الله والتسليم.وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه: في الأحزاب:{ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم}[الأحزاب:٧]
وفي الشورى: { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى}[الشورى: ١٣].
وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم، لقوله صلى الله عليه وسلم:{أنا سيد الناس يوم القيامة} متفق عليه(٣٣٤). وصلاتهم خلفه ليلة المعراج(٣٣٥) وغير ذلك من الأدلة.
ثم إبراهيم لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل، ثم موسى لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم، ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما لأن لكل منهما مزية].
هذا باتفاق وأمر مجمع عليه بين العلماء أن أفضل الخلق وأفضل الأنبياء والمرسلين هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أما حديث: { لا تفضلوا بين أنبياء الله } (٣٣٦).
وقال صلى الله عليه وسلم: { لا تفضلوني على يونس بن متى }(٣٣٧).
فهذا أجاب العلماء عنه بأجوبة منها :
أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك تواضعاً.
الأمر الثاني: أنه قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل الأنبياء والمرسلين.

خصائص النبي صلى الله عليه وسلم:

وخصائص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة منها(٣٣٨):
١ـ أنه خاتم النبيين ختم الله به النبوة قال سبحانه:{ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين}[الأحزاب: ٤٠].

---

٣٣٤) متفق عليه: البخاري(٣١٦٢، ٣١٨٢، ٤٤٣٥) ومسلم(١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٣٣٥) كما عند مسلم(١٧٢) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
٣٣٦) متفق عليه: البخاري(٣٢٣٣) ومسلم(٢٣٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٣٣٧) هذا اللفظ لا أصل له كما قال الألباني: في شرح العقيدة الطحاوية ص(١٧٢)، ولكن الحديث جاء في البخاري(٣٢١٥) ومسلم(٢٣٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفي البخاري(٣٢٣٤) ومسلم(٢٣٧٦) عن أبي هريرة بلفظ: (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) وجاء بلفظ (ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى) وجاء أيضاً بلفظ(من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب) وجاء بألفاظ أخرى وفي بعض ألفاظ الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه كما عند البخاري(٧١٠١) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال (لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس بن متى، ومسلم(٣٢٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ:[اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لاَ يَنْبَغِى لِعَبْدٍ لِى أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى].
قال الحافظ: قيل إنه قال قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع. فتح الباري(٤١٣/٦) وتحفة الأحوذي شرح الترمذي(٤٢٩/٨).
٣٣٨) فائدة: خصائص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة عد منه ابن حجر في الفتح سبع عشرة مع أدلتها ثم قال: وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب: شرف المصطفى أن عدد الذي اختص به نبينا صلى الله عليه و سلم عن الأنبياء ستون خصلة. انظر الفتح(٤٣٦/١ـ ٤٣٩).

وفي سنن الترمذي من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال لكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة }([٣٣٩]). وفي رواية:{ ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة }([٣٤٠]). فالله سبحانه وتعالى ختم به الدين لهذه النصوص وقال النبي صلى الله عليه وسلم: { إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين }([٣٤١]).

فإن قال قائل : قال الله { وخاتم النبيين}[الأحزاب: ٤٠]. وليس خاتم المرسلين ، كلامه باطل لأن النبوة أعم من الرسالة فلا يكون رسولاً إلا بنبوة فإن كانت النبوة قد انقطعت فمن باب أولى أن تكون الرسالة قد انقطعت على أنه لا مدخل له إذ أن النص الثاني الذي هو من الأصل الثاني من التشريع قد جمع بين انقطاع النبوة والرسالة قال النبي صلى الله عليه وسلم : { إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي }([342]) .

ومنها حديث:{ لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي}([343]) وقد خرج أكثر من ذلك لكن قال العلماء : هؤلاء الثلاثون لهم شوكة وحركة وأتباع وأنصار

---

٣٣٩) صحيح: رواه أحمد(١٣٨٥١) والترمذي(٢٢٧٢) والحاكم(٨١٧٨) عن أنس رضي الله عنه ومعناه في الصحيحين: البخاري(٦٥٨٢) عن أنس وبرقم(٦٥٨٩)عن أبي هريرة ورواه مسلم(٤٧٩) عن ابن عباس. وأنظر: صحيح الجامع(١٦٣١).

٣٤٠) متفق عليه: البخاري(٦٥٨٦) ومسلم(٧/٢٢٦٤) عن أنس بن مالك يرويه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنهما.

* فائدة: قال الألباني: واعلم أنه لا منافاة بين قوله في هذا الحديث: إن الرؤيا الصالحة جزء من خمسة وعشرين، وفي الحديث التالي: " جزء من ستة و أربعين " ، و في حديث ابن عمر: " جزء من سبعين " رواه مسلم (٧ / ٥٤) و غيره ، فإن هذا الاختلاف راجع إلى الرائي فكلما كان صالحا كانت النسبة أعلى ، و قيل غير ذلك ، فراجع " شرح مسلم " للإمام النووي. أنظر: الصحيحة تحت حديث رقم(١٨٦٩).

* قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم (ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة) وفي رواية رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة.

وفي رواية رؤيا الرجل الصالح جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة فحصل ثلاث روايات المشهور ستة وأربعين والثانية خمسة وأربعين والثالثة سبعين جزءا وفي غير مسلم من رواية بن عباس من أربعين جزءا وفي رواية من تسعة وأربعين وفي رواية العباس من خمسين ومن رواية بن عمر ستة وعشرين. ومن رواية عبادة من أربعة وأربعين.

قال القاضي: أشار الطبري إلى أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف حال الرائي فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزءا من ستة وأربعين جزءا والفاسق جزءا من سبعين جزءا وقيل المراد أن الخفي منها جزء من سبعين والجلي جزء من ستة وأربعين. شرح مسلم(١٥/٢٠ـ ٢١)

٣٤١) متفق عليه: البخاري (٣٣٤١) ومسلم(٢٢٨٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري(٣٣٤٢) ومسلم(٢٢٨٦) ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند مسلم(٢٢/٢٢٨٦) ومن حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه عند أحمد(٢١٢٨١) والترمذي(٣٦١٣).

٣٤٢) صحيح: وقد سبق هنا في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم

٣٤٣) صحيح: رواه أحمد(٢٢٤٤٨) وأبو داود(٤٢٥٢) والترمذي(٢٢١٩) وابن ماجة(٣٩٥٢) وابن حبان(٦٧١٤) والحاكم(٨٣٩٠) وأصل الحديث في مسلم(٢٨٨٩) عن ثوبان رضي الله عنه.

أما الذي يخرج في الصباح فيمسك آخر اليوم فهذا لا يعتبر ولا يدخل في هذا العدد وبعضهم يقول : الأعداد لا مفهوم لها ، قد يقول صلى الله عليه وسلم : ثلاثين ويكون أكثر من ذلك.

هو سيد الأولين والآخرين وهو سيد المرسلين.والمرسلون هم أفضل الخليقة. وهو صلى الله عليه وسلم سيدهم قال صلى الله عليه وسلم : { أنا سيد ولد آدم ولا فخر }([٣٤٤]).

ولا يتم إيمان عبد إلا بعد أن يؤمن برسالته قال الله: { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً }[النساء٦٥].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار }([٣٤٥]).

وأمته صلى الله عليه وسلم أمة دعوة وأمة إجابة فأمة الإجابة هم المؤمنون وأمة الدعوة هم اليهود والنصارى من هذه الأمة فهم يعتبرون أيضاً من أمته يشهد بهذا علماؤهم وأحبارهم ومن أسلم منهم فضح من لم يؤمن منهم .

٢ـ ومن خصائصه أن له الشفاعة العظمى لإراحة الناس من الموقف حينما يشفع فتقبل شفاعته والأنبياء الذين طلب منهم يتبرءون ويتنصلون وكل واحد يقول : نفسي نفسي إلا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول : هو لها فهو لها صلى الله عليه وسلم([٣٤٦]).

٣ـ وهو أيضاً صاحب لواء الحمد يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم : { أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر }([٣٤٧]).

والحديث جاء في البخاري(٣٤١٣، ٦٧٠٤) ومسلم(١٥٧) بلفظ:[ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وجاء الحديث عن أبي هريرة و جابر بن سمرة و ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الألباني في: الصحيحة تحت حديث رقم(١٩٩٩): وفي الحديث رد صريح على القاديانية وابن عربي قبلهم القائلين ببقاء النبوة بعد النبي صلى الله عليه و سلم.

٣٤٤) رواه مسلم(٢٢٧٨) بلفظ:[أنا سيد ولد آدم يوم القيامة] عن أبي هريرة رضي الله عنه دون ذكر[ولا فخر].

ولكن هذا لفظ حديث رواه أحمد(١١٠٠٠) والترمذي(٣٦١٥) وابن ماجه(٤٣٠٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني في: صحيح الجامع(١٤٦٨) والصحيحة(١٥٧١).

ويشهد له ما أخرجه البخاري(٣١٦٢، ٣١٨٢، ٤٤٣٥) ومسلم(١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: [أنا سيد الناس يوم القيامة]، وبلفظ: [أنا سيد القوم يوم القيامة]

* فائدة: ولم يقصد به الافتخار ولا التطاول على من تقدّمه، بل قال بياناً لما أمر ببيانه وتبليغه، ولهذا قال صلَّى الله عليه وسلَّم: "ولا فخر" لينفي ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام السخيفة". انظر: الإمامة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

* وسبب اكتسابه هذه المنزلة والسيادة بين بني آدم كلهم هو أن جميع البشر بما فيهم الرسل والأنبياء يأتي كل منهم يوم القيامة يقول : " نفسي ، نفسي " ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول " أمتي ، أمتي " . فصلوات ربي وسلامه وبركاته عليك وعلى آلك يا نبي الرأفة والرحمة يا سيدي يا رسول الله.

انظر: إقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين. ومحمد صلى الله عليه وسلم المثال الأسمى لأحمد ديدات.

٣٤٥) رواه مسلم(١٥٣) وأحمد(٨١٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والحديث جاء عن ابن عباس عند الحاكم(٣٣٠٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وعن أبي موسى عند أبي داود الطيالسي(٥٠٩) وحاء عند وعن غيرهم.

٣٤٦) انظر الحديث عند: ذكر الشفاعة وهو حديث متفق عليه.

٣٤٧) صحيح: وقد سبق وهو حديث أنا سيد ولد أدم ولا فخر.

٤ـ وجاء أيضاً أنه { أول من ينشق عنه قبره}([٣٤٨]) .
٥ـ وأول من يقعقع حلق الجنة وأول من يدخلها([٣٤٩]).
قال صلى الله عليه وسلم: { لا تخيروا بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان فيمن صعق أم جوزي بصعقة الطور}([٣٥٠]).
٦ـ وهو صاحب المقام المحمود لقوله تعالى:{ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً }[الإسراء: ٧٩]. وهذا المقام قد تقدم أنه الشفاعة العظيمة لإراحة الناس من الموقف([٣٥١]).
٧ـ وهو صاحب الحوض المورود الحوض الذي كثر واردوه وكيزانه كعدد نجوم السماء ماؤه أحلى من العسل وأبيض من اللبن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً([٣٥٢]) وأما مجرد الحياض فإن لكل نبي حوضا .
٨ـ وهو صلى الله عليه وسلم خطيب النبيين يوم القيامة لحديث أبي بن كعب : { إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر }([٣٥٣]).
٩ـ أن أمته خير الأمم بدلالة القرآن:{ كنتم خير أمة أخرجت للناس}[آل عمران: ١١٠].
كذلك منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: { نحن الآخرون السابقون يوم القيامة }([٣٥٤]).
نحن الآخرون زمناً في الدنيا أي أن رسالته كانت آخر الرسالات وأمته كانت آخر الأمم لكن هو السابق وأمته أيضاً السابقة للأمم يوم القيامة حتى أن نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام بكى ليلة

---

٣٤٨) جزء من حديث رواه مسلم(٢٢٧٨) ولفظه:[أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع].
٣٤٩) لحديث أنس رضي الله عنه عند مسلم(١٩٦) ولفظه: [أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة] وروى مسلم(١٩٧) أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: [آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك] وروى الترمذي(٣١٤٨) وصححه لألباني في صحيح الجامع(١٤٥٩) : قوله صلى الله عليه وسلم:[أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها] وعند أحمد(١٢٤٩١) قوله صلى الله عليه وسلم: [وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر وأني آتي باب الجنة فآخذ بحلقتها فيقولون من هذا فيقول أنا محمد فيفتحون لي فأدخل فإذا الجبار عز وجل مستقبلي فأسجد له] وقال الألباني في الصحيحة تحت حديث رقم(١٥٧١): سنده جيد. وقال في مختصر العلو ص(٧٥): صحيح بشواهده. جميع هذه الأحاديث عن أنس رضي الله عنه وفي الباب عن غيره.
٣٥٠) متفق عليه: رواه البخاري(٢٢٨١، ومواضع) ومسلم(٢٣٧٤) عن ابي سعيد الخدري وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندهما أيضا : البخاري(٢٢٨٠، ومواضع ومسلم(٢٣٧٣).
٣٥١) وقد تقدم أيضا أن تفسير المقام المحمود بالشفاعة نُقِل عن جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم .
٣٥٢) سبق أدلة هذا في الكلام على صفة الحوض.
٣٥٣) صحيح: رواه أحمد(٢١٢٨٣، ومواضع) والترمذي(٣٦١٣) وحسنه وابن ماجة(٤٣١٤) والحاكم(٢٤٠) وابن أبي شيبة (٣١٦٤٠) ولكنه قال إمام الناس بدل النبيين. وعبد بن حميد (١٧١) والضياء (١١٧٩) وابن المبارك في الزهد (١٦١٧). وصححه الألباني: في صحيح الترمذي(٢٨٥٨) وتخريج فقه السيرة(١٤١) وحسنه في: صحيح الجامع(٧٨١) والمشكاة(٥٧٦٨) والظلال(٧٨٧).
٣٥٤) متفق عليه: البخاري(٨٣٦) ومسلم (٨٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
* قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة قال العلماء معناه الآخرون في الزمان والوجود السابقون بالفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم. شرح مسلم(١٤٣/٦)

الإسراء والمعراج فقيل له :{ ما يبكيك ؟ قال : هذا الغلام أمته أكثر من أمتي ويدخل هو وأمته الجنة قبل أمتي}([٣٥٥])

ويعني بالغلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فحقيقة نحن فينا من الفرح والراحة النفسية التي تؤهلنا أن نحب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ أننا من أمته لماذا ونحن من أمته وأتباعه وهو نبينا وشفيعنا وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ونحن نحتاجه فمن جعله هاهنا القدوة والقائد في كل شيء نفعه في ذلك اليوم يوم أن يحتاج كل واحد من البشر إلى الشفيع ولا شفيع إلا محمد صلى الله عليه وسلم لإراحة الناس من الموقف ففي هذه الدنيا كان حريصاً وفي عرصات القيامة يقول :{ ربي أمتي أمتي }([٣٥٦]).

وكان في الدنيا يبكي فقال: الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك }([٣٥٧]).

أمته صلى الله عليه وسلم أمة مباركة وأعني بالأمة أمة الإجابة أما أمة الدعوة اليهود والنصارى فهم حطب جهنم إذا لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن لدينا برهاناً واضحاً من الوحي على أن الكفار في نار جهنم خالدين فيها أبداً نسأل الله السلامة.

فهذه بعض خصائصه صلى الله عليه وسلم وهناك كتب ألفت في خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم.

* * * * *

[٧١] وأفضل أمته أبو بكر الصديق([٣٥٨]) ثم عمر الفاروق([٣٥٩]) ثم عثمان ذو النورين([٣٦٠]) ثم علي المرتضى([٣٦١]) رضي الله عنهم أجمعين ، لما { روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال

---

٣٥٥) متفق عليه: البخاري(٣٠٣٥، ٣٦٧٤) ومسلم(١٦٤) عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه. ولفظ الحديث [... فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال مرحبا بك من أخ ونبي فلما جاوزت بكى فقيل ما أبكاك ؟ قال يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي...].

٣٥٦) متفق عليه: وقد سبق وهو حديث الشفاعة.

٣٥٧) رواه مسلم(٢٠٢) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٣٥٨) أبو بكر الصديق (٥١ ق ه - ١٣ ه = ٥٧٣ - ٦٣٤ م) عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر ابن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأحد أعاظم العرب.

ولد بمكة، ونشأ سيدا من سادات قريش، وغنيا من كبار موسريهم، وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش. وحرم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها. ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال. وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنة(١١ هـ)، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة. وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. واتفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد ابن أبي سفيان، والمثنى بن حارثة.

وكان موصوفا بالحلم والرأفة بالعامة، كان خطيبا لسنا، وشجاعا بطلا. مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة.له في كتب الحديث(١٤٢)حديثا. قيل: كان لقبه " الصديق " في الجاهلية، وقيل: في الإسلام لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الإسراء. وأخباره كثيرة . وانظر: الأعلام للزركلي(١٠٢/٤) .

: كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي : أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره }([٣٦٢]).

---

٣٥٩) عمر بن الخطاب:(٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤ م) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل. كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم، ينافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وقال عكرمة: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. وكانت له تجارة بين الشام والحجاز. وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر (سنة ١٣ هـ) بعهد منه. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة. حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام. وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع. واتخذ بيت مال المسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا. وأول من دون الدواوين في الإسلام. له في كتب الحديث ٥٣٧ حديثا. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة، بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح. وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال.
وانظر: الأعلام للزركلي(٤٥/٥) .

٣٦٠) عثمان بن عفان (٤٧ ق هـ - ٣٥ هـ = ٥٧٧ - ٦٥٦ م) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش: أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين. من كبار الرجال الذين اعتز بهم الإسلام في عهد ظهوره. ولد بمكة، وأسلم بعد البعثة بقليل. وكان غنيا شريفا في الجاهلية. ومن أعظم أعماله في الإسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله، فبذل ثلاث مئة بعير بأقتابها وأحلاسها وتبرع بألف دينار.
وصارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة(٢٣ هـ) فافتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبس، وأتم جمع القرآن، وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسول، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة، وأمر بالأذان الأول يوم الجمعة. واتخذ الشرطة. وأمر بكل أرض جلا أهلها عنها أن يستعمرها العرب المسلمون وتكون لهم. واتخذ دارا للقضاء نقم عليه الناس اختصاصه أقاربه من بني أمية بالولايات والأعمال، فجاءته الوفود من الكوفة والبصرة ومصر، فطلبوا منه عزل أقاربه، فامتنع، فحصروه في داره يراودونه على أن يخلع نفسه، فلم يفعل، فحاصروه أربعين يوما، وتسور عليه بعضهم الجدار فقتلوه صبيحة عيد الأضحى وهو يقرأ القرآن في بيته، بالمدينة. ولقب بذي النورين لأنه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية ثم أم كلثوم. وانظر: الأعلام للزركلي(٢١٠/٤).

٣٦١) علي بن أبي طالب(٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١ م) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاما بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. ولما آخى النبي صلى الله عليه واله وسلم بين أصحابه قال له: أنت أخي، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان (سنة ٣٥ هـ) فقام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان وقتلهم وتوقى علي الفتنة، فتريث، فغضبت عائشة وقام معها جمع كبير، في مقدمتهم طلحة والزبير، وقاتلوا عليا، فكانت وقعة الجمل (سنة ٣٦ هـ) وظفر علي بعد أن بلغت قتلى الفريقين عشرة آلاف، ثم كانت وقعة صفين (سنة ٣٧ هـ) بين علي ومعاوية فاقتتلا مئة وعشرة أيام، قتل فيها من الفريقين سبعون ألفا، وانتهت بتحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص. فاتفقا سرا على خلع علي ومعاوية، وأعلن أبو موسى ذلك، وخالفه عمرو فأقر معاوية، فافترق المسلمون ثلاثة أقسام: الأول بايع لمعاوية وهم أهل الشام، والثاني حافظ على بيعته لعلي وهم أهل الكوفة، والثالث اعتزلهما ونقم على علي رضاه بالتحكيم، وكانت وقعة النهروان (سنة ٣٨ هـ) بين علي وأباة التحكيم، وكانوا قد كفروا عليا ودعوه إلى التوبة فقاتلهم فقتلوا كلهم وكانوا ألفا وثمانمائة، وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة(١٧) رمضان المشهورة، واختلف في مكان قبره. . انظر: الأعلام للزركلي(٢٩٥/٤) بتصرف.

٣٦٢) صحيح: رواه أبو داود(٤٦٢٨) والترمذي(٣٧٠٧) وابن أبي عاصم في السنة(١١٩٠) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة(١٣٥٣) وصححه الألباني في: المشكاة(٦٠١٦) والظلال(١١٩٠).
وفي رواية عند البخاري(٣٤٥٥، ٣٤٩٤) بلفظ:[كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم] . كل الروايات التي أطلعت عليها لم تذكر عليا رضي الله عنه بل قد جاءت الروايات أن الصحابة كانوا إذا ذكروا أبا بكر وعمر وعثمان أمسكوا وسكتوا وتركوا التفاضل بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه كما روى ذلك البخاري(٣٤٩٤) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم.

[٧٢] وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال : { خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث}([٣٦٣]).

[٧٣] وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر([٣٦٤]).

وعند ابن حبان(٧٢٥١) ثم نسكت. وعند أبي يعلى(٥٦٠٢) ثم لا نفاضل.

ولكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية في: مجموع الفتاوى(٤٠٦/٣): « وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء، والعباد، والأمراء، والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي - رضي الله عنهم -».

ويقول أيضاً: « ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي - رضي الله عنهم - كما دلت عليه الآثار» مجموع الفتاوى(١٥٣/٣).

ويقول ابن أبي العز في: شرح الطحاوية ص(٧٢٧): « وترتيب الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم أجمعين في الفضل كترتيبهم في الخلافة ».

وقال البغوي في: شرح السنة(٢٠٨/١): « وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة فأفضلهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ».

وقال ابن حجر في الفتح(١٦/٧) بعد ذكر أثر ابن عمر: وفي الحديث تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر كما هو المشهور عند جمهور أهل السنة.

وقال الشافعي: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على . الفتح (٧ / ١٧) وانظر الاعتقاد للبيهقي ص/(١٩٢).

وقال الحافظ ابن كثير الباعث الحثيث ص(١٨٣): وأفضل الصحابة بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام أبو بكر عبد الله بن عثمان أبو قحافة التيمي، ثم من بعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكي في مقدمة رسالته المشهورة: " وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين. الثمر الداني في تقريب المعاني ص/٢٢-٢٣) مع الشرح.

وأما زيادة: [فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره] فهي زيادة صحيحة ثابتة من طرق كثيرة.

رواها أبو يعلى في مسنده برقم (٥٦٠٤) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة(١٣٥٧) والخلال في السنة(٥٧٧) والطبراني في : الكبير(١٣١٣٢) وصححها الألباني في: ظلال الجنة(١١٩٣، ١١٩٥، ١١٩٦)

٣٦٣) صحيح: رواه أحمد(٨٣٦، ومواضع) وعبد الله بن أحمد في: الزوائد على المسند(١ / ١٠٦ و ١١٠) وفي السنة (١٣٧٠) وابن أبي عاصم في: السنّة(١٢٠١) واللالكائي(١٣٦٦/٧-١٣٩٧) وأبو نعيم في كتاب الإمامة ص(٢٨٣) ومحمد بن عبد الواحد المقدسي في النهي عن سب الأصحاب ص(٧٣) وأبو حامد المقدسي في رسالة في الرد على الرافضة ص(٢٩٦). والأثر جاء من طرق صحيحة وأخرى حسنة. أنظرها في: الظلال(٩٩٣، ١٢٠١، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥) والأثر روي عنه من طرق كثيرة وقد بلغ حد التواتر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ضمن حديثه عن براءة علي - رضي الله عنه - من الرافضة: «وقد تواتر عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال على منبر الكوفة وقد أسمع من حضر: خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر.وبذلك أجاب ابنه محمد بن الحنفية فيما رواه البخاري في صحيحه وغيره من علماء الملة الحنيفية. انظر: منهاج السنة(١١/١-١٢).

وانظر الأثر في البخاري (كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً) رقم(٣٤٦٨)

وقال: وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقا. منهاج السنة(١٣٧/٦)

٣٦٤) ضعيف: أخرجه أحمد في: فضائل الصحابة(١٥٢/١/ ح ١٣٥) والآجري في: الشريعة(١٨٤٤/٤/ح١٣٠٩) من طريق وهب ابن بقية، وبحشل في "تاريخ واسط" (ص٢٤٨) عن محمد بن عبد الخالق العطار، كلاهما عن عبد الله بن سفيان الواسطي به.

وأخرجه أحمد في: فضائل الصحابة(١٥٤/١/ح١٣٧) وابن أبي عاصم في: السنة(٥٧٦/٢/ح١٢٢٤) والآجري في: الشريعة (١٨٤٤/٤/ح١٣١٠)، من طريق محمد بن المصفى، وخيثمة الأطرابلسي في "فضائل الصحابة" (ص١٣٣) من طريق محمد بن مصعب، كلاهما عن بقية، عن ابن جريج به.

[٧٤] وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته، وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة([٣٦٥]) رضي لله عنهم، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

[٧٥] ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه،

[٧٦] ثم عثمان رضي الله عنه ، لتقديم أهل الشورى له ،

[٧٧] ثم علي رضي الله عنه، لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

[٧٨] هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم :{عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ } ([٣٦٦]).

[٧٩] وقال صلى الله عليه وسلم :{ الخلافة من بعدي ثلاثون سنة }([٣٦٧]) ، فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه([٣٦٨]) .

وأخرجه عبد بن حميد (ص١٠١) عن عمر بن يونس اليمامي، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (٣٢٥/٣)، والخطيب في "تاريخ بغداد" (٤٣٨/١٢)، وفي "الجامع لأخلاق الراوي" (٢٢٧/٢)، وفي "الرحلة في طلب الحديث" (ص١٨٢) من طريق القاسم بن أحمد الخطابي، كلاهما عن هَوْذة بن خليفة، عن ابن جريج به.

والحديث إسناده ضعيف، فيه:

١ـ عبد الله بن سفيان الواسطي: قال العقيلي « لا يتابع على حديثه الضعفاء للعقيلي وميزان الاعتدال(١٠٩/٤).

٢ـ بقية الواسطي: وبقية بن الوليد يدلس ويسوّي، وقد عنعن أيضا.

٣ـ وابن جريج وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ـ وهو مدلس وقد عنعن ـ تفرد به عن عطاء، وتفرد به عطاء عن أبي الدرداء،: وقد ذكره ابن حجر في المرتبة الثالثة من المدلسين.

والحديث عزاه الهيثمي إلى الطبراني وقال: "فيه بقية، وهو مدلس، وبقية رجاله وثقوا". مجمع الزوائد (٤٤/٩). والله أعلم.

* قال شيخ الإسلام في: مجموع الفتاوى ـ (١١ / ٤٤٤): إِنَّ أَفْضَلَ أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخَيْرُ قُرُونِهَا الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَخَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ فِي الْحَقِيقَةِ آخِرُ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ يَكُونُ فِي النَّاسِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِخَيْرِ الْأَوْلِيَاءِ وَلَا أَفْضَلِهِمْ بَلْ خَيْرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثُمَّ عُمَرُ : اللَّذَانِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْهُمَا .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع العلماء ـ بما فيهم الأئمة الأربعة ـ على تفضيل أبي بكر ثم عمر على سائر الصحابة ، ثم قال :[فأئمة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم متفقون على هذا ثم من بعدهم ...] . منهاج السنة النبوية (٢٨٧,٢٨٨/٧)

٣٦٥) كما في الصحيحين البخاري (٦٥٥) ومسلم(٤١٨) من حديث عائشة رضي الله عنه.

٣٦٦) صحيح: وهو جزء من حديث صحيح من حديث العرباض بن سارية وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب...] رواه أحمد(١٧١٨٤، ١٧١٨٥) وأبو داود(٤٦٠٧) والترمذي(٢٦٧٦) وابن ماجة(٤٣,٤٢) والحاكم(٣٣٢) وابن حبان(٥) والدارمي(٩٥) والبيهقي في الكبرى(٢٠١٢٥) والشعب(٧٥١٥).

وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٢٥٤٩) والصحيحة(٢٧٣٥) والإرواء(٢٤٥٥) والمشكاة(١٦٥).

وقال الشيخ مقبل الوادعي: في الدلائل (ص٤٧٦): الحديث حسن لغيره وله طرق يرتقي بها إلى الصحة.

وانظر للتوسع في تخريجه ولشرحه النفيس » جامع العلوم والحكم « لابن رجب (ص ٢٢٥ ـ ٢٣٦).

٣٦٧) صحيح: رواه أحمد(٢١٩٧٨) أبو داود(٤٦٤٦ ، ٤٦٤٧) والترمذي(٢٢٢٦) والنسائي في الكبرى(٨١٥٥) وابن حبان (١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ـ موارد) والطبراني في : الكبير(١٣) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٣٢٥٧، ٣٣٤١) والظلال(١١٨١، ١١٨٥) والصحيحة(٤٥٩) ونقل فيها تصحيح تسعة من حفاظ الحديث وأئمته لهذا الحديث وهم:

١ـ الإمام أحمد، ٢ـ الترمذي، ٣ـ ابن جرير الطبري، ٤ـ ابن أبي عاصم، ٥ـ ابن حبان، ٦ـ الحاكم، ٧ـ ابن تيمية، ٨ـ الذهبي،

٩ـ العسقلاني.

..... الشـــرح .....

أفضل هذه الأمة بالإجماع أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولا التفات إلى قول رافضي أو شيعي فإن خلافهم لا يعتبر هاهنا خلاف لا يعتد به إطلاقاً فإن العمدة على ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة والمسلمون جيلاً بعد جيل ثم بعد ذلك بقية العشرة وهم : عبد الرحمن بن عوف([٣٦٩]) وسعد بن أبي

---

٣٦٨) قال سفينة (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راوي حديث الخلافة ثلاثون سنة) : « أمسك خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - سنتين وعمر - رضي الله عنه - عشرا وعثمان - رضي الله عنه - ثنتي عشرة وعلي - رضي الله عنه - ستا » . رواه ابن حبان (١٥٣٤ موارد) وأصله في سنن أبي داود (٤٦٤٦).
فائدة : قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة مخطوطة له في هذا الحديث بالمكتبة الظاهرية بخطه في: مسودته: (ق ٨١ / ٢ - ٨٤ / ٢) - كما في السلسلة الصحيحة تحت حديث(٤٥٩) : » قال: و هو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة و عبد الوارث بن سعيد و العوام ابن حوشب عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رواه أهل السنن كأبي داود و غيره ، و اعتمد عليه الإمام أحمد و غيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة ، و ثبته أحمد واستدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه ، حتى قال أحمد : " من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله " . و نهى عن مناكحته ، و هو متفق عليه بين الفقهاء ، و علماء السنة ....،
ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة هجرية و إلى عام ثلاثين سنة كان إصلاح ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على السيد بين فئتين من المؤمنين بنزوله عن الأمر عام واحد و أربعين في شهر جمادى الآخرة ، و سمي عام الجماعة لاجتماع الناس على معاوية ، و هو أول الملوك ، . انظر: الصحيحة(١/ ٤٥٨).
قال العثيمين: في قول النبي صلى الله عليه وسلم: [الخلافة بعدي ثلاثون سنة] رواه أحمد وأبو داود والترمذي.
قال الألباني: وإسناده حسن. فكان آخرها خلافة علي هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه، أو لم يعتبرها حيث إنه رضي الله عنه تنازل عنها.
فخلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ.
وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.
وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً من ١ محرم سنة ٢٤هـ إلى ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ.
وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر من ذي الحجة سنة ٣٥هإلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ.
فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.
ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنهما يوم مات أبوه علي رضي الله عنه، وفي ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبي، صلى الله عليه وسلم ، في قوله: الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقوله في الحسن:
[إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين] رواه البخاري(٢٥٥٧) عن أبي بكرة رضي الله عنه.
انظر: شرح اللمعة(١٤٣) تحقيق أشرف.
٣٦٩) عبد الرحمن بن عوف (٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ = ٥٨٠ - ٦٥٢ م) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد، الزهري القرشي: صحابي، من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلى الإسلام، قيل: هو الثامن. وكان من الأجواد الشجعان العقلاء.
اسمه في الجاهلية (عبد الكعبة) أو (عبد عمرو) وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين.
وأسلم، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها. وجرح يوم أحد ٢١ جراحة. وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا. وكان يحترف التجارة والبيع والشراء، فاجتمعت له ثروة كبيرة. وتصدق يوما بقافلة، فيها سبع مئة راحلة، تحمل الحنطة والدقيق والطعام.
ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله. له(٦٥) حديثا. ووفاته في المدينة.
انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٣٢١).

وقاص([٣٧٠]) وسعيد بن زيد([٣٧١]) وطلحة بن عبيد الله([٣٧٢]) والزبير بن العوام([٣٧٣]) وأبو عبيدة بن الجراح([٣٧٤]) هؤلاء ثم بعد هؤلاء العشرة أهل بدر ثم بعد ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عموماً لا سيما الذين شهد لهم بالجنة كعكاشة بن محصن([٣٧٥]) لما قال:{ ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت منهم }([٣٧٦]) وسعد بن معاذ([٣٧٧]) الذي اهتز له عرش الرحمن([٣٧٨])، فإن حصل شيء بين

---

٣٧٠) سعد بن أبي وقاص(٢٣ ق هـ - ٥٥ هـ = ٦٠٠ - ٦٧٥ م) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق: الصحابي الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال. له فارس الإسلام. أسلم وهو ابن ١٧ سنة، وشهد بدار، وافتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة فجعلها خططا لقبائل العرب، وابتنى بها دارا فكثرت الدور فيها. وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب. وأقره عثمان زمنا، ثم عزله. فعاد إلى المدينة، فأقام قليلا وفقد بصره. مات في قصره بالعقيق (على عشرة أميال من المدينة) وحمل إليها. له في كتب الحديث ٢٧١ حديثا. انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٨٧).

٣٧١) سعيد بن زيد (٢٢ ق هـ - ٥١ هـ = ٦٠٠ - ٦٧١ م) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أبو الأعور: صحابي، من خيارهم. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا وكان غائبا في مهمة أرسله بها النبي صلى الله عليه وسلم. وهو أحد العشرة المبشرين وكان من ذوي الرأي والبسالة. وشهد اليرموك وحصار دمشق. وولاه أبو عبيدة دمشق. مولده بمكة، ووفاته بالمدينة. له في كتب الحديث ٤٨ حديثا. انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٩٤).

٣٧٢) طلحة بن عبيد الله (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ = ٥٩٦ - ٦٥٦ م) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد: صحابي، شجاع، من الأجواد. وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام. قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش ومن علمائهم. وكان يقال له ولأبي بكر القرينان) ويقال له (طلحة الجود) و (طلحة الخير) و (طلحة الفياض) وكل ذلك لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناسبات مختلفة، شهد أحدا وثبت مع رسول الله، وبايعه على الموت، فأصيب بأربعة وعشرين جرحا، وسلم، فشهد الخندق وسائر المشاهد. وكانت له تجارة وافرة مع العراق، ولم يكن يدع أحدا من بني تيم عائلا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دينه.
قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة. ودفن بالبصرة. له ٣٨ حديثا. انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٢٢٩).

٣٧٣) الزبير بن العوام (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ = ٥٩٤ - ٦٥٦ م) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبد الله: الصحابي الشجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفه في الإسلام. وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم. أسلم وله ١٢ سنة. وشهد بدرا وأحدا وغير هما. وكان على بعض الكراديس في اليرموك. وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب. قالوا: كان في صدر ابن الزبير أمثال العيون من الطعن والرمي. وجعله عمر في من يصلح للخلافة بعده. وكان موسرا، كثير المتاجر، خلف أملاكا بيعت بنحو أربعين مليون درهم. وكان طويلا جدا إذا ركب تخط رجلاه الأرض. قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل، بوادي السباع (على ٧ فراسخ من البصرة). له ٣٨ حديثا. انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٤٣).

٣٧٤) أبو عبيدة بن الجراح(٤٠ ق هـ - ١٨ هـ = ٥٨٤ - ٦٣٩ م) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي: الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، قال ابن عساكر: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة.
وكان لقبه أمين الأمة. ولد بمكة. وهو من السابقين إلى الإسلام. وشهد المشاهد كلها.
وولاه عمر ابن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام، بعد خالد بن الوليد، فتم له فتح الديار الشامية، وبلغ الفرات شرقا وآسية الصغرى شمالا، ورتب للبلاد المرابطين والعمال، وتعلقت به قلوب الناس لرفقه وأناته وتواضعه. وتوفي بطاعون عمواس ودفن في غور بيسان، وانقرض عقبه. له ١٤ حديثا. انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٢٥٢)

٣٧٥) عكاشة بن محصن(٠٠٠ - ١٢ هـ = ٠٠٠ - ٦٣٣ م) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي، من بني غنم: صحابي من أمراء السرايا. يعد من أهل المدينة. شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وقتل في حرب الردة ببزاخة (بأرض نجد) قتله طليحة بن خويلد الأسدي . انظر: الأعلام للزركلي(٤/ ٢٤٤)

٣٧٦) متفق عليه: البخاري(٣٢٢٩، ٥٤٢٠، ٦١٠٧، ٦١٧٥) ومسلم(٢٢٠) واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنه. وجاء من حديث عمران بن الحصين عند البخاري(٥٣٧٨) ومسلم(٢١٨) ومن حديث أبي هريرة عند البخاري(٥٤٧٤، ٦١٧٦) ومسلم(٢١٦).

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأشياء التي كانت ناتجة عن اجتهاد أو عن فتنة مكرهاً وأوقعها بينهم أعداء الإسلام فإنهم لا يذكرون أعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالخير والجميل ولا ينبغي أن ينتقص من جانبهم شيء على هذا درج أهل السنة وهي عقيدة المسلمين التي استقروا عليها فلا ينبغي للشخص إذا قرأ في كتب التأريخ أن يرى أشياء فيحمله ذلك على أن يتكلم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:{ لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه }([٣٧٩]) فمن سبّ صحابياً واحداً أو تنقصه وتمت الشروط وانتفت الموانع فإنه يكون كافراً لأنه ردّ صريح القرآن وخرم إجماع المسلمين فلا يجوز أن يسب صحابي واحد من أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هو القائل : { لا تسبوا أصحابي } كيف يقول : { لا تسبوا أصحابي } وبعد ذلك تسبهم أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حذر.

ويقول صلى الله عليه وسلم:{ إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ([٣٨٠]) فهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يعترف بجميلهم وبالخير لهم وبسابقيتهم للإسلام لأن الدين جاء عن طريقهم وهم أعرف الناس بدين الله من غيرهم لأنهم عاصروا زمن الوحي وهو يتنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم فالقدح فيهم إنما هو قدح في الدين لأنهم حملته والرافضة حينما طعنوا في الصحابة إنما طعنوا فيما بين أيديهم من دين ووحي منزل.

قال الإمام أبو زرعة([٣٨١]): إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فاعلم انه زنديق وذلك أن الرسول صلى الله عليه و سلم عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا

---

٣٧٧) سعد بن معاذ(...- ٥ ه =...- ٦٢٦ م) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأوسي الأنصاري: صحابي، من الأبطال. من أهل المدينة.كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر. وشهد أحدا، فكان ممن ثبت فيها. وكان من أطول الناس وأعظمهم جسما. ورمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه.ودفن بالبقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة.
انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٨٨)

٣٧٨) كما في البخاري(٣٥٩٢) ومسلم(٢٤٦٦) من حديث جابر رضي الله عنه، ومن حديث أنس عند مسلم(٢٤٦٧).

٣٧٩) متفق عليه: البخاري(٣٤٧٠) ومسلم(٢٥٤١) عن أبي سعيد ورواه مسلم(٢٥٤٠) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.
النصيف : لغة في النصف : والمعنى أن الواحد من غير الصحابة لو أنفق في سبيل الله مثل جبل أحد ذهبا ما بلغ من الثواب ، ثواب من أنفق من الصحابة مدا أو نصيفه ، والمد ملء الكفين من الرجل المعتدل.

٣٨٠) صحيح: رواه الطبراني في الكبير(١٠٤٤٨) وأبو نعيم في الحلية(١٠٨/٤) والهيثمي في زوائد مسند الحارث(٧٤٢) وابن عدى (٢٤/٧ ترجمة ١٩٦٣ النضر بن معبد) والديلمى (٣٣٦/١ ، رقم ١٣٣٧) وابن أبي زمنين في رياض الجنة(١٨٦). عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه الطبراني في الكبير(١٤٢٧) عن ثوبان رضي الله عنه.
ورواه ابن عدى (١٦٢/٦ ترجمة ١٦٥٠ حمد بن الفضل بن عطية) عن ابن عمر. وأبو القاسم الجرجاني في تاريخ جرجان (٤٩٤) . وصححه الألباني في : صحيح الجامع(٥٤٥) والصحيحة(٣٤) وقد سبق جزء منه عند ذكر أركان القدر.

٣٨١) أبو زرعة: (٢٠٠ - ٢٦٤ هـ = ٨١٥ - ٨٧٨ م) عبيدالله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، أبو زرعة الرازي: من حفاظ الحديث أحد الأئمة المشهورين والأعلام المذكورين والجوالين المكثرين والحفاظ المتقنين. من أهل الري. زار بغداد، وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل. كان يحفظ مئة ألف حديث، ويقال: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل. وكانت وفاته بالري يوم الإثنين آخر يوم من ذي الحجة ودفن يوم الثلاثاء مات وقد بلغ أربعا وستين سنة. له مسند.
انظر: الأعلام للزركلي(١٩٤/٤) وتهذيب الكمال(١٩/ ٨٩- ١٠٣ ترجمة: ٣٦٦٠).

هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة[٣٨٢].

وهكذا زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة وهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فينبغي أن يكون لهن في نفوس المؤمنين مكانة لأن هذه الزوجات كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبهن ويكرمهن ولقد كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه وغيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكن لهن الحب ويعطيهن الأعطيات والهدايا فأبأس الناس حظاً هم الرافضة الشيعة الناصبة الذين يذكرون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشر والخيانة والسفه والنقص عياذاً بالله وإن حصل منهم ما حصل مما قد لا يطاق ينبغي أن يحملوا على أحسن محمل ولقد كان العلماء الكبار كالإمام أحمد والشافعي ومن كان بمنزلة هؤلاء يترضون عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويدافعون عنهم أشد المدافعة مع علمهم بالفتن الحاصلة زمن معاوية[٣٨٣] وزمن علي وما حصل زمن عثمان لكنهم يعلمون أن الصحابة ما كانوا يريدون هذه الفتن بذاتها وإنما دعاة العمالة والخسة والدناءة الذين أرادوا أن يشعلوا الحرب وأن يفجروها بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عياذاً بالله حتى أن بعض التابعين كان يكره الخوض في مثل هذه المسائل.

وكان عمر بن عبد العزيز[٣٨٤] يقول: إذا ذكر له شيء من هذا قال : تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا تخضب بها ألسنتنا[٣٨٥].

والله الموفق.

---

٣٨٢) انظر: الكفاية للخطيب البغدادي ص(٤٩) وتأريخ دمشق(٣٢/٣٨ـ ٣٣) وتهذيب الكمال(٩٦/١٩).
فائدة: وقال الإمام أحمد: وإذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام.
انظر:تأريخ دمشق(٢٠٩/٥٩) وذكره ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص(٢٠٩) وشيخ الإسلام في الصارم المسلول ص(٥٧٠) والبداية والنهاية(١٤٨/٨).

٣٨٣) معاوية بن أبي سفيان(٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٨٠ م) معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار. كان فصيحاً حليما وقورا. ولد بمكة، وأسلم يوم فتحها (سنة ٨ هـ وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه. ولما ولي (أبو بكر) ولاه قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبى سفيان، فكان على مقدمته في فتح مدينة صيداء وعرقة وجبيل وبيروت. ولما ولي (عمر) جعله واليا على الأردن، ورأى فيه حزما وعلما فولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد (أخيه) وجاء (عثمان) فجمع له الديار الشامية كلها وجعل ولاة أمصارها تابعين له. وقتل عثمان، فولي (علي بن أبي طالب) فوجه لفوره بعزل معاوية. وعلم معاوية بالأمر قبل وصول البريد، فنادى بثأر عثمان واتهم عليا بدمه. ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين علي. وانتهى الامر بإمامة معاوية في الشام وإمامة علي في العراق. ثم قتل علي وبويع بعد ابنه الحسن، فسلم الخلافة إلى معاوية سنة ٤١ هـ . ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة، فعهد بها إلى ابنه يزيد ومات في دمشق. له ١٣٠ حديثا، اتفق البخاري ومسلم على أربعة منها وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة. وهو أحد عظماء الفاتحين في الإسلام، بلغت فتوحاته المحيط الاتلانطيقى(الأطلسي)، وافتتح عامله بمصر بلاد السودان (سنة ٤٣). وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو. وفى أيامه فتح كثير من جزائر يونان والدردنيل. وحاصر القسطنطينية برا وبحرا (سنة ٤٨) وهو أول من جعل دمشق مقر خلافة، وأول من اتخذ المقاصير (الدور الواسعة المحصنة والمقصورة كذلك كن في المسجد يقصر للخليفة لوقايته) وأول من اتخذ الحرس والحجاب في الإسلام. وأول من نصب المحراب في المسجد. كان يخطب قاعدا، وضربت في أيامه دنانير (عليها صورة أعر أبي متقلد سيفا). وكان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب إذا نظر إليه يقول: هذا كسرى العرب. انظر: الأعلام للزركلي(٢٦١/٧ـ ٢٦٢).

٣٨٤) عمر بن عبد العزيز: سبقت ترجمته.

٣٨٥) انظر : فتح المغيث للسخاوى(١١٥٠/٣) وإرشاد الفحول للشوكاني(١٨٦/١) والبحر المحيط للزركشي(٣/ ٣٥٧).

* * * * *

المعينون من أهل الجنة في الكتاب والسنة:

قال ابن قدامة رحمه الله:

[٨٠] ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال:{أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة }([٣٨٦])

.....

.... الشـــرح ....

هؤلاء ذكروا في حديث واحد رواه أبو داود والترمذي من حديث سعيد بن زيد فيسمون بالعشرة معروفون بالعشرة إذا قيل من العشرة ؟ فقل : هؤلاء الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فأهل السنة يشهدون لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم ولا يزيدون ، ولكن كما هو معروف عند أهل السنة أنهم يرجون للمحسن الجنة ويخافون على المسيئين من النار.

* * * * *

[٨١] وكل من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة شهدنا له بها كقوله :{ الحسن ([٣٨٧]) والحسين([٣٨٨]) سيدا شباب أهل الجنة }([٣٨٩]) وقوله لثابت بن قيس([٣٩٠]):{ إنه من أهل الجنة }([٣٩١]) .

---

٣٨٦) صحيح: رواه أحمد(١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٧، ١٦٧٥) وأبو داود(٤٦٤٩، ٤٦٥٠) والترمذي (٣٧٤٨) والنسائي في الكبرى(٨١٩٣) وابن ماجة(١٣٣، ١٣٤) عن سعيد بن زيد رضي الله عنه. وبعضهم لم يذكر أبا عبيدة وإنما ذكر العاشر النبي صلى الله عليه وسلم أو اكتفى بذكر التسعة.
وجاء من حديث عبد الرحمن بن عوف عند أحمد(١٦٧٥) والترمذي(٣٧٤٧) والنسائي في الكبرى(٨١٩٤) وعند غيرهم، وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٥٠، ٤٠١٠) والمشكاة(٦١٠٩، ٦١١٠). وقد سبقت تراجم العشرة.
فائدة: وقد ثبت لكثير من الصحابة الشهادة بالجنة ، كعكاشة بن محصن ، وعبد الله بن سلام ، وآل ياسر ، وبلال بن رباح ، وجعفر بن أبي طالب ، وعمرو بن ثابت ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، وفاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وخديجة بنت خويلد ، وعائشة ، وصفية ، وحفصة ، وجميع زوجاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وغيرهم ، رضي الله عنهم أجمعين. وانظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح لـ/ عبدالله بن عبد الحميد الأثري
٣٨٧) الحسن بن علي(٣ - ٥٠ هـ = ٦٢٤ - ٦٧٠ م) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقا وبديهة حج عشرين حجة ماشيا ولي الخلافة بعد وفاة أبيه ثم خلع نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة(٤١ هـ) وسمي هذا العام (عام الجماعة) لاجتماع كلمة المسلمين فيه. وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام فيها إلى أن توفي مسموما (في قول بعضهم) ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام. وولد له أحد عشر ابنا وبنت واحدة. وإليه نسبة الحسنيين كافة.
انظر: الأعلام للزركلي(١٩٩/٢) والإصابة(٦٨/٢ ترجمة:١٧٢١).

[٨٢] ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء

.....

.... الشـــرح ....

هذا ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم وكان جهوري الصوت : فلما نزلت هذه الآية { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي }[الحجرات: ٢] إلى آخر الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت ؟ أشتكى ؟ قال سعد إنه لجاري وما علمت له بشكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ بل هو من أهل الجنة}([٣٩٢])

وهكذا عكاشة بن محصن لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:{ سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة من غير حساب ولا عقاب فقال : ادع الله أن يجعلني منهم. قال :{ أنت منهم }فقال رجل آخر يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال:{ سبقك بها عكاشة }([٣٩٣]).

---

٣٨٨) الحسين السبط الشهيد(٤ - ٦١ هـ = ٦٢٥ - ٦٨٠ م) الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشي العدناني أبو عبد الله سبط رسول الله صلى الله عليه و سلم وريحانته ، ابن فاطمة الزهراء. ولد في المدينة في شعبان سنة أربع ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين. وكانت إقامة الحسين بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه الجمل ثم صفين ثم قتال الخوارج وبقي معه إلى أن قتل ثم مع أخيه إلى أن سلم الأمر إلى معاوية فتحول مع أخيه إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية فطلب منه والي المدينة البيعة ليزيد بن معاوية فطلب المهلة فخرج إلى مكة ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فأرسل إليهم بن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب فأخذ بيعتهم لكنه قُتل ورحل الحسين على العراق فقتل بكربلاء في محرم. انظر الإصابة(٧٦/٢ ترجمة: ١٧٢٦) والأعلام للزركلي(٢٤٣/٢).
والقصة مبسوطة في كتب السير والتواريخ.

٣٨٩) صحيح: رواه أحمد(١١٠١٢) والترمذي(٣٧٦٨) والنسائي في الكبرى(٨١٦٩) وابن حبان(٦٩٥٩) والحاكم(٤٧٧٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ورواه ابن ماجة(١١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
وصححه الألباني في: الصحيحة(٧٩٦) وقال: ورد ـ أي هذا الحديث ـ من حديث أبي سعيد الخدري و حذيفة ابن اليمان و علي بن أبي طالب و عمر بن الخطاب و عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عمر و البراء بن عازب و أبي هريرة و جابر بن عبد الله و قرة بن إياس . ثم ساق طرق الحديث ومن رواها. ثم قال: و بالجملة فالحديث صحيح بلا ريب بل هو متواتر كما نقله المناوي و كذلك الزيادات التي سبق تخريجها فهي صحيحة ثابتة .انظر: السلسلة الصحيحة(٢٩٥/٢) وعدة مواضع من صحيح الجامع.

٣٩٠) ثابت بن قيس(٠٠٠ - ١٢ هـ = ٠٠٠ - ٦٣٣ م) ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري: صحابي، كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد. قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر.
انظر: الأعلام للزركلي(٩٨/٢ـ ٩٩)

٣٩١) البخاري(٣٤١٧، ٤٥٦٥) ومسلم(١١٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

٣٩٢) سبق في الحاشية السابقة أنه في الصحيحين من حديث أنس ولكن هذا لفظ مسلم(١١٩).

٣٩٣) متفق عليه: وقد سبق قريبا.

والمرأة السوداء التي كانت تصرع فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال:(إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك) . فقالت أصبر. فقالت إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها }([٣٩٤]).

وهناك أناساً في بعض الوقائع شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم في الجنة إذن لا نعدوا قول نبينا صلى الله عليه وسلم لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى يبقى معنا حديث: { أنتم شهداء الله في أرضه }([٣٩٥]) فبعضهم من يقول : هذا فيمن شهد له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يقول: خاص بوجود النبي صلى الله عليه وسلم حتى يختم على تزكية الناس وبعضهم يقول : هذا من باب التفاؤل وإلا فقد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها في طفل من أطفال الأنصار : عصفور من عصافير الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أو لا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا }([٣٩٦]).

فنحن لا نقطع ولا نجزم لمن لم يكن له شهادة من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن نقول: نرجو أن يكون من أهل الجنة.

المعينون من أهل النار في الكتاب والسنة:

ثم بعد ذلك ننتقل إلى المعينين من أهل النار فهل عين القرآن أو السنة عينت رجلاً أو امرأة من أهل النار ؟ نعم قال الله سبحانه وتعالى في حق أصحاب نوح الذين خالفوا نوحاً عليه الصلاة والسلام : {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَاراً }[نوح٢٥]

وقال الله تعالى في حق فرعون: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ }[غافر٤٦].

ويقول سبحانه : {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)}[المسد ١-٥]

فهذا قضاء من الله سبحانه وتعالى في حق هؤلاء أنهم من أهل النار وهذا قرآن لا يحتاج إلى تأويل ولا إلى ظن وإنما يقال : قطع القرآن الكريم بأن هؤلاء من أهل النار انتهى .

كذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثبت أن أبا طالب([٣٩٧]) من أهل النار على أن الشيعة تقول: هو نبي ولهم رواية أخرى يقولون: هو من أهل الجنة.

---

٣٩٤) متفق عليه: البخاري(٥٣٢٨) ومسلم(٢٥٧٦) عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.
و(المرأة) قيل اسمها سعيرة الأسدية وقيل شقيرة. وانظر: الفتح(١٠/١١٥) وعمدة القاري..

٣٩٥) متفق عليه: البخاري(١٣٠١) ومسلم(٩٤٩) وللبخاري(٢٤٩٩) بلفظ: [المؤمنون شهداء الله في الأرض] عن أنس بن مالك رضي اله عنه.

٣٩٦) في مسلم وقد سبق في : أهل الجنة وأهل النار.

٣٩٧) أبو طالب(٨٥ ق هـ = ٣ ق هـ = ٥٤٠ - ٦٢٠ م) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد علي (رضي الله عليه) وعم النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. وله تجارة كسائر قريش. نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، وسافر معه إلى الشام في صباه. ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام هَم أقرباؤه (بنو قريش) بقتله، فحماه أبو طالب وصدهم عنه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى

وهناك أدلة كثيرة تدل على أنه من أهل النار منها : أن العباس قال : يا رسول الله إن عمك أبا طالب كان يحوطك بنصحه فهل نفعته بشيء قال : { نعم هو في ضحضاح من نار لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار }([٣٩٨]). وفي البخاري يقول النبي صلى الله عليه وسلم:{ أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه }([٣٩٩]).وفي بعض الروايات:{ إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذاباً }([٤٠٠]) هذا دليل كذلك. وقوله سبحانه وتعالى: { إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ }[القصص٥٦].

أجمع المفسرون على أنها في حق أبي طالب. كذلك قوله سبحانه وتعالى:{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ }[الأنعام٢٦] .

يدخل دخولاً أولياً في ذلك أبو طالب إذ أنه كان ينهى المشركين من أن يقربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه نأى عنه بقلبه وبفكره.

كذلك يأتي علي بن أبي طالب ويقول: يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات قال : { اذهب فواره }([٤٠١]) ادفنه لأنه أبوك.

وحصل إجماع أهل السنة على أن أبا طالب مات على الكفر فيقضي النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار.

كذلك في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { إن أبي وأباك في النار }([٤٠٢]).

وفي هذا دليل خارج عن الموضوع أن أهل الفترة الزمنية ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ليسوا بأهل فترة الذين يختبرون كما جاء في حديث الأسود بن سريع عند أحمد والحاكم: { أربعة يختبرون يوم القيامة : الأصم والأحمق والهرم وصاحب الفترة }([٤٠٣]) فصاحب الفترة هذا لا يشمله الذي كان ما بين بعثة عيسى وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم ،

الإسلام، فامتنع خوفا من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه، ووعد بنصرته وحمايته، وفيه الآية: " إنك لا تهدي من أحببت " واستمر على ذلك إلى أن توفي، فاضطر المسلمون للهجرة من مكة. مولده ووفاته بمكة. انظر: الأعلام للزركلي(١٦٦/٤).

٣٩٨) متفق عليه: وقد سبق في الشفاعة.

٣٩٩) رواه مسلم(٢١٢) بهذا اللفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما وأخرج البخاري(٦١٩٣، ٦١٩٤) ومسلم(٣٢٣/٢١٣) قوله صلى الله عليه وسلم: [إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه]. عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

٤٠٠) الحديث متفق عليه. وهذا لفظ مسلم(٣٦٤/٢١٣) وهو حديث النعمان السابق.

٤٠١) صحيح: رواه أحمد(١٠٩٣) وأبو داود(٣٢١٤) والنسائي(٢٠٠٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وصححه الألباني في : الصحيحة(١٦١) والإرواء(٧١٧).

٤٠٢) رواه مسلم(٢٠٣) عن أنس رضي الله عنه.

٤٠٣) رواه أحمد(١٦٣٤٤) وابن حبان(٧٣٥٧) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٨٨١) والصحيحة(١٤٣٤).

ولفظ الحديث: [أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في الفترة فأما الأصم فيقول : يا رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا وأما الأحمق فيقول : رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار قال : فوالذي نفسي بيده لو دخلوها كانت عليهم بردا وسلاما].

وفي رواية قال في آخره : [فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب إليها]. وعند أبي يعلى(٤٢٢٤) بلفظ: [يؤتى بأربعة يوم القيامة، بالمولود و بالمعتوه و بمن مات في الفترة و الشيخ الفاني ، كلهم يتكلم بحجته...] .

كذلك حديث في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع عذاب من قبور في المدينة فقال:{ ما هؤلاء ؟ قالوا : هؤلاء أناس مشركون ماتوا في الجاهلية فقال النبي صلى الله عليه وسلم :{ إن هذه الأمة تبتلى في قبورها }([٤٠٤]).

كذلك أيضاً من الأدلة التي فيها القطع لرجل معين بأنه في النار: عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي ([٤٠٥]) أول من سيب السوائب جاء في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:{ رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب}([٤٠٦]) قصبه:أي أمعاءه. والمراد بالسوائب العقائر النحائر التي كانت تترك للأصنام والأنداد فلا تُقْرَب والله سبحانه وتعالى رد على هذه البدعة قال تعالى : {مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ }[المائدة١٠٣].

هذه إنما كانت من عادات الكفار وهذا أول من قدم بالشرك من بلاد الشام إلى جزيرة العرب عمرو بن لحي الخزاعي سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فالمعين الذي عينه رسول الله نقطع ونقضي أنه من أهل النار.

هناك أدلة عامة كقوله سبحانه وتعالى في حق أهل النار { أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ }[البقرة٢٤، آل عمران ١٣١] فيكون حكم عام أن من مات على الكفر فهو في النار لكن لا تأتي إلى رجل معين إلى واحد اسمه مثلاً زيد بن زيد وتقول له : أنت في النار ربما يتوب ربما يسلم { فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها }([٤٠٧]) هذا حديث مخيف جداً لذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إنما الأعمال بالخواتيم }([٤٠٨]) هذا حديث سهل بن سعد رواه البخاري وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً ينزل بالمشركين الويلات ما يترك شاذة ولا فاذة إلا شتتها وفرقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { ألا أريكم رجلاً من أهل النار ؟ قالوا : بلى } قال وهو لا زال يقاتل والسيف بيده قالوا : يا رسول الله نحن لا نستطيع رجل يصلي ويصوم تقول : من أهل النار ولا إذا رأيت رجلاً يصلي ويصوم تقول ذاك رجل من أهل النار

وقد ورد الحديث من حديث أنس بن مالك و أبي سعيد الخدري و معاذ بن جبل و الأسود بن سريع وأبي هريرة رضي الله عنهم راجع تفاصيلها في السلسلة الصحيحة(١٤٣٤، ٢٤٦٨).

٤٠٤) في مسلم: وقد سبق عند عذاب القبر أو نعيمه.

٤٠٥) هو عمرو بن لحيى بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي، من قحطان: أول من غيّر دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. كنيته أبو ثمامة. وفي نسبه خلاف شديد. وفي العلماء من يجزم بأنه مضري من عدنان، لحديث انفرد به أبو هريرة. وهو جد " خزاعة " عند كثير من النسابين، ورئيسها عند بعضهم. ومعظمهم يسميه " عمرو بن عامر بن لحي " ويقولون إنه نسب إلى جده. وفيهم من يسميه " عمرو بن ربيعة " ويجعل لحيا لقبا لربيعة. انظر: الأعلام للزركلي(٨٤/٥).

٤٠٦) متفق عليه: البخاري(٣٣٣٣، ٤٣٤٧) ومسلم(٢٨٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وجاء من حديث عائشة عند البخاري(٤٣٤٨) ومسلم(٩٠١) ولفظه:[رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب]. ومن حديث جابر عند مسلم(٩٠٤) ولفظه:[ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبه في النار]

٤٠٧) رواه الجماعة: البخاري(٣٠٣٦، ٣١٥٤، ٦٢٢١، ٧٠١٦) ومسلم(٢٦٤٣) وأحمد(٣٦٢٤، ٣٩٣٤، ٤٠٩١) وأبو داود(٤٧٠٨) والترمذي(٢١٣٧)والنسائي في الكبرى(١١٢٤٦) وابن ماجة(٧٦).

٤٠٨) رواه البخاري: في الرقاق(٦١٢٨، ٦٢٣٣) من حديث سهل بن سعد الساعدي.

ولكن تقول : نرجو لهذا الجنة ونخاف على ذلك من النار فهذا ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : { ألا أريكم رجلاً من أهل النار ؟ قالوا : بلى قال : ذاك } يعني الإشارة إلى بعض المشركين لكن لا حتى يقول الشيخ الألباني رحمه الله قال بهذا النص قال: حتى كاد إيمان الأصحاب يتغلغل يعني يتزعزع ويضطرب الإيمان في قلوبهم هذه خاتمة سيئة فقال أحد الحاضرين: أنا صاحبه فما زال به يلاحقه أصيب الرجل بجراحات فلم يصبر فجعل ذبابة السيف في صدره ثم تحامل على نفسه حتى خرج السيف من ظهره خاتمة سوء نسأل الله السلامة فقال : يا رسول الله قد كان من أمر الرجل كذا وكذا فقال رسول الله: { أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إنما الأعمال بالخواتيم }.

العبرة بالنهاية وليس بالبداية شخص يصلي ويصوم ويطلب العلم ويسجل فوائد ولكن في قلبه دغل نفاق غش شهوات أطاع دنيا ماديات إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط بلاء. هذا البلاء يتجمع وينمو ويشب مع صاحبه فربما صرع صاحبه في نهاية المطاف لأنه بغى

ألم تر أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر

ثم يواصل كلامه ابن قدامة قال :

* * * * *

[٨٣] ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.؟

.....

.... الشـرح ....

هذا مذهب أهل السنة والجماعة يقول النبي صلى الله عليه وسلم:{ من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تحقروا الله في ذمته}(٤٠٩).

هذا مسلم فلا نكفره بذنب ما لم يستحله فهو مسلم وإن كان عنده بعض المعاصي هذا رجل كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فأتي به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم { لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله }([410]).

وفي رواية {.. لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم}([411]).

هذه قضية خطيرة جداً مثل التكفير والتبديع والتفسيق خطيرة قصة حاطب بن أبي بلتعة الصحابي الجليل الذي أنزل الله سبحانه وتعالى فيه:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ }[الممتحنة: ١].

---

٤٠٩) رواه البخاري(٣٨٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

٤١٠) رواه البخاري(٦٣٩٨) عن عمر رضي الله عنه.

٤١١) رواها البخاري(٦٣٩٥، ٦٣٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي سنن أبي داود(٤٤٧٨) زيادة في آخر القصة وهي قوله صلى الله عليه وسلم: [ولكن قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه].

وهي زيادة صحيحة صححها الألباني في: المشكاة(٣٦٢١).

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد[412] فقال: { انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها }.
قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة قلنا لها أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب قال فأخرجته من عقاصها فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ يا حاطب ما هذا ؟ } .
قال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرءا ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أما إنه قد صدقكم). فقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال (إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم .
فأنزل الله السورة:{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق } - إلى قوله – { فقد ضل سواء السبيل }[الممتحنة: ١](٤١٣).
هذا الصحابي سمع أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يغزو مكة وأن يفتحها الفتح العظيم في العام الثامن فتسرب السر إلى حاطب فكتب رسالة إلى أهل مكة يخبرهم بأن رسول الله سيغزوهم فليأخذوا الحذر وأرسل الرسالة مع امرأة من المشركين(414) فانطلقت بها فيأتي الخبر من السماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فيجهز الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة من الصحابة أوفياء عظماء علي والزبير والمقداد بن الأسود قال : أدركا الظعينة بروضة خاخ فإنها تحمل رسالة إلى أهل مكة فأدركاها فقالوا لها أخرجي الرسالة قالت : ما عندي رسالة قال لها علي : أخرجي الرسالة قالت : ما عندي رسالة فقالوا لها: أخبرنا رسول الله والله إن لم تخرجينها لنجردنك عن ملابسك فعلمت المرأة يعني أن الأمر جد فأخرجتها من قرون ظفيرتها وأعطتهم الرسالة وذهبوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستدعى حاطب وقال له ما حملك على ما صنعت ؟ فقال حاطب : والله يا رسول الله ما كفرت بالله ولا برسوله ولكن ما من صاحب لك إلا له قريب في مكة يحفظ بيته وأمواله فأردت أن يكون بهذه الرسالة لي يد عندهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم:{ صدقكم } قال عمر : هذا قد خان الله دعني أضرب عنقه. أراد عمر أن يقتله لأنه رجل كفر في ظاهر اللفظ وهذا التصرف تصرف خطير كُفر. يفشي سر الرسول صلى الله عليه وسلم ويوالي الكفار.
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : { وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم } فهو بدري له هذه المنقبة شهادة عظيمة هو من أهل بدر وأهل بدر كما يقال :

---

٤١٢) وفي رواية : [أبا مرثد الغنوي بدل المقداد] البخاري(٣٧٦٢، ٥٩٠٤) ومسلم(١٦١/٢٤٩٤).
٤١٣) متفق عليه: البخاري(٢٨٤٥، ٢٩١٥، ٣٧٦٢، ٤٠٢٥، ٤٦٠٨، ٥٩٠٤، ٦٥٤٠) ومسلم(٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
٤١٤) كما جاء في بعض روايات القصة عند البخاري(٣٧٦٢، ٥٩٠٤) ومسلم(١٦١/٢٤٩٤)

حازوا القنطرة. فهذه هوة سحيقة ولكن لما استفصل النبي صلى الله عليه وسلم ما كان ذلك سبيل إلى تكفيره إذ أنه ما أراد بذلك أن يكفر وهكذا فيما هو أهون من ذلك لا ينبغي للشخص الآن مثلاً بعض المسلمين يقول لك : هؤلاء الرؤساء كفار وهذه أشياء تدرس الآن تقول له : ليش ؟ لأنهم يتعاملوا مع الكفار فرق بين التعامل. رسول الله تعامل مع يهود اشترى من اليهود وباع لليهود ، بل مات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاع من شعير ديناً([415]) هذا ليس من الكفر ، تعامل معه لكن كونك تحبه وتتودد إليه وتنصره وتصحح مذهبه وترى أنه على حق هنا

{ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } [المائدة٥١].

أما كونك تزوره ربما يكون لك قريب مشرك زره قالت أسماء بنت أبي بكر:{ قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال (نعم صلي أمك }([416])

وهي مشركة فالشخص الذي يرى عليه بعض التصرفات يجب أن توزن هذه التصرفات بميزان الشرع لا بميزان العاطفة والحماس الفارغ والهوى حتى نحن معشر السلفيين إذا رأيت واحداً ملتحياً شهدنا له هذا أخونا وذاك الذي هو حالق ربما ينظر إليه بعين الإزدراء والإحتقار لماذا ؟ لأنه حالق. طيب هذه معصية عنده معصية أسأل الله أن يتوب عليه ربما كان عندك أنت مصائب ربما كان عندك غرور عجب ربما تنظر إلى التبرج عندك الفسوق ربما عندك جرأة على محارم الله ولكن مكتوف الأيدي وإلا فلو لاح لك الجو كما قيل:

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري

فلا يجوز لمسلم أن يخرج مسلماً من الإسلام أو من السنة إلا بأمر محقق تمت فيه الشروط وانتفت الموانع وهذا ليس للطلاب الصغار وإنما هو للعلماء الكبار الذين ابيضت لحاهم وسخت العلوم في رؤوسهم في الإسلام .

* * * * *

[٨٤] ونرى الحج والجهاد ماضيان مع طاعة كل إمام بر كان أو فاجراً وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

[٨٥] قال أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم { ثلاثة من أصل الإيمان : الكف عمن قال : لا إله إلا الله ، ولا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال ، لا يبطله جور جائر ، ولا عدل عادل ، والإيمان بالأقدار } رواه أبو داود ([417]) .

---

٤١٥) رواه البخاري(٢٧٥٩) بهذا اللفظ . هو البخاري(١٩٦٢، ومواضع) ومسلم(١٦٠٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: [اشترى النبي صلى الله عليه وسلم طعاما من يهودي إلى أجل ورهنه درعا من حديد].

٤١٦) متفق عليه: البخاري(٢٤٧٧، ٣٠١٢، ٥٦٣٣، ٥٦٣٤) ومسلم(١٠٠٣) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

٤١٧) ضعيف: رواه أبو داود(٢٥٣٢) وأبو يعلى(٤٣١١، ٤٣١٢) وسعيد بن منصور في سننه(٢٣٦٧) والبيهقي في الكبرى(١٨٢٦١) وضعفه الألباني في : صحيح الجامع(٢٥٣٢) والمشكاة(٥٩). وفي سنده يزيد بن أبي نشبة بضم النون وسكون المعجمة السلمي. مجهول. كما في تقريب التهذيب رقم(٧٧٨٥) ولسان الميزان رقم(٥٣١١)

.....

.... الشــرح ....

هذا أيضاً مما اتفق عليه أهل السنة أنهم يرون الحج مع الإمام سواء كان مستقيماً أو جائراً ما لم يكن كافراً كفراً عندهم فيه من الله برهان ،

أما قول أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: { ثلاثة من أصل الإيمان ...} رواه أبو داود.

الحديث معناه صحيح ولكنه ضعيف فيه يزيد بن أبي نبشة وهو مجهول كما في التقريب التهذيب وقد ضعفه كثير من العلماء، والله الموفق .

* * * * *

[٨٦] ومن السنة: تولي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم. واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا }[الحشر : ١٠] ،

وقال تعالى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ }[الفتح : ٢٩] ،

[٨٧] وقال النبي صلى الله عليه وسلم:{ لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه }([٤١٨]) .

.....

.... الشــرح ....

بقي هنا الشرح.

* * * * *

[٨٨] ومن السنة: الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبرءات من كل سوء ، أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم .

.....

.... الشــرح ....

قال ابن العثيمين :[زوجات النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين فهن من آل بيته طاهرات مطهرات طيبات مطيبات بريئات مبرءات من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن فالطيبات

---

٤١٨) في الصحيحين: وقد سبق .

للطيبين والطيبون للطيبات فرضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين وزوجاته صلى الله عليه وسلم اللاتي كان فراقهن بالوفاة هن :

١ـ خديجة بنت خويلد أم أولاده ما عدا إبراهيم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجين الأول عتيق بن عابد والثاني أبو هالة التميمي ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها حتى ماتت سنة ١٠ من البعثة قبل المعراج].

وهذه ماتت والنبي صلى الله عليه وسلم في شعب أبي عامر ومات أيضاً في ذلك الزمان عمه أبو طالب حتى سمي ذلك العام بعام الحزن ولها من قدم الصدق والسابقية في الإسلام مزية لا يشاركها فيها بقية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتعرفون لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال لها : زملوني زملوني دثروني دثروني فقد خشيت على نفسي فقالت له : كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق([419]) ، ثبتته وشجعته وهذه دور المرأة الصالحة الصادقة الصابرة العاقلة وتأملوا بما استدلت مما هو كان معروفاً بالحمد والثناء والخير بصلة الرحم وكسب المعدوم إنسان معدم تعطيه وتحمل الكل قيل : الذي لا يستطيع فأنت تحمله فتقسم على ذلك وتقول : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، فمن هذه الحيثية خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أفضل من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بما فيهن عائشة من هذه الحيثية السابقة في الإسلام واست النبي صلى الله عليه وسلم بمالها.

٢ـ [عائشة بنت أبي بكر الصديق أريها صلى الله عليه وسلم في المنام مرتين أو ثلاثاً وقيل : { هذه امرأتك}([٤٢٠]) فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين توفيت سنة ٥٨هـ].

بعض المستشرقين يقدح في هذا يقدح في عرض النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ماهذا بنت عمرها ست سنين ورجل ابن أربعة وخمسين فيرى بعضهم أن هذه وحشية وهذا ـ بارك الله فيكم ـ أمر أراده الله سبحانه وتعالى فهو جائز شرعاً وواقع أيضاً عقلاً فهناك ابن السبعين قد يتزوج بنت الخامسة عشر وأقل من ذلك على أن عائشة رضي الله تعالى عنها قيل : أنها شبت شباباً ليس كغيرها من النساء فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست ودخل بها وهي ابنة تسع سنوات فأيهما أفضل أهي أم خديجة رضي الله عنها ؟ خلاف بين أهل العلم وأحسن من جمع بينهن ابن كثير كما في البداية والنهاية قال : لكل مزية خديجة لها مزية بذل المال والتضحية بنفسها ومواساة النبي صلى الله عليه وسلم وقدمها في الإسلام وعائشة رضي الله عنها كانت راوية الحديث وحافظة الأمة فلها أيضاً قدم صدق في الإسلام([٤٢١]) وهناك كتاب رسالة دكتوراة بعنوان عائشة بنت أبي بكر الصديق مربية الرجال والأجيال .

---

٤١٩) متفق عليه: البخاري(٣، ٣٢١٢، ٤٦٧٠، ٤٦٧٢، ٤٦٧٤، ٦٥٨١) ومسلم(١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

٤٢٠) متفق عليه: البخاري(٣٦٨٢، ٤٧٩٠، ٤٨٣٢، ٦٦٠٩، ٦٦١٠) ومسلم(٢٤٣٨) عن عائشة رضي الله عنها.

٤٢١) قال ابن كثير: بعد أن ذكر الخلاف الحاصل بين العلماء في التفضيل بين خديجة وعائشة وذكر أدلة الفريقين، قال: والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره والأحسن التوقف في ذلك إلى الله عز وجل ومن ظهر له دليل يقطع به أو يغلب على ظنه في هذه الباب فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف في هذه المسألة أو في غيرها فالطريق الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول الله أعلم. انظر: البداية والنهاية(١٢٩/٣).

٣ـ [سودة بنت زمعة العامرية تزوجها بعد زوج مسلم وهو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو توفيت آخر خلافة عمر وقيل : سنة ٥٤ هـ].

وهذه كبرت وشاخت وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عزم على طلاقها فآثرت البقاء عند النبي صلى الله عليه وسلم متنازلة عن يومها وليلتها لعائشة رضي الله تعالى عنها فوافق النبي صلى الله عليه وسلم .

٤ـ [حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها بعد زوج مسلم وهو الخنيس بن حذافة الذي قتل في أحد وماتت سنة ٤١هـ .

٥ـ زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله بن جحش في أحد وماتت سنة ٤ هـ بعد زواجها بيسير .

٦ـ أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أحد وماتت سنة ٦١هـ .

٧ـ زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة ٥هـ وماتت سنة عشرين هـ .

٨ـ جويرية بنت الحارث الخزاعية تزوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان وقيل : مالك بن صفوان سنة ٦هـ وماتت سنة ٥٦هـ .

٩ـ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر هو عبيد الله بن جحش وماتت في المدينة في خلافة أخيها سنة ٤٤هـ.

١٠ـ صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير من ذرية هارون بن عمران صلى الله عليه وسلم أعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولهما سلام بن مشكم والثاني : كنانة بن أبي الحقيق بعد فتح خيبر سنة ٦هـ وماتت سنة ٥٠هـ .

١١ـ ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها سنة ٧هـ في عمرة القضاء بعد زوجين الأول ابن عبد يا ليل والثاني أبو رهم بن عبد العزى بنى بها في سرف وماتت فيه سنة ٥١هـ .

فهذه زوجات النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي كان فراقهن بالوفاة اثنتان توفيتا قبله وهما خديجة وزينب بنت خزيمة وتسع توفي عنهن وهن البواقي .

وبقي اثنتان لم يدخل بهما ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما:

١ـ أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ثم فارقها واختلف في سبب الفراق فقال ابن إسحاق : أنه وجد في كشحها بياضاً ففارقها فتزوجها بعده المهاجر بن أبي أمية .

٢ـ أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية وهي التي قالت : أعوذ بالله منك ففارقها. والله أعلم.

وأفضل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وعائشة رضي الله عنهما ولكل منهما مزية على الأخرى فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة، ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم ونفع الأمة وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور].

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة أم المؤمنين عائشة قال : وكانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها : الحميراء ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها ولا أحب

امرأة حبها ولا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها وذهب بعض أهل العلم إلى أنها أفضل من أبيها وهذا مردود وقد جعل الله لكل شيء قدراً بل نشهد أنها زوجة نبينا في الدنيا والآخرة فهل فوق ذلك مفخرة وأن للصديقة خديجة شأواً لا يلحق وأنا واقف في أيتهما أفضل نعم جزمت بأفضلية خديجة عليها لأمور ليس هذا موضعها(٤٢٢).

هذا الذهبي يرى أنه توقف في ذلك وزميله ابن كثير يرى ما رجحه الشيخ ابن العثيمين أن لكل واحدة منهما مزية(٤٢٣) وفي هذا مخالفة للروافض الذين يسبون آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يسبون عائشة ويحتقرونها ويتنقصونها وفي هذا أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب عائشة كان يأكل من موضع ما أكلت ويشرب من موضع ما شربت فهذا إن دل إنما يدل على حبه صلى الله عليه وسلم لهذه المرأة العالمة الصادقة فرضي الله تعالى عنها وأرضاها وهي أمنا أم المؤمنين .

قال العثيمين: [قذف أمهات المؤمنين:

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر لأنه تكذيب للقرآن وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم أصحهما أنه كفر لأنه قدح في النبي صلى الله عليه وسلم فإن الخبيثات للخبيثين].

من قذف عائشة بعد أن تبين ووضح صدقها وبراءتها كفر

هذا ما يتعلق بزوجات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمن أن يرى لهن من الفضل والثناء وكذلك أيضاً الدعاء ما ليس لغيرهن ولا ينبغي له أن يفتح أذنيه لما تقوله الرافضة أو لما يقوله بعض دعاة التعدد دعاة العلمنة والحداثة الذين يرفضون أمر التعدد ذكروا أن أحد العلمانيين رسم ديكاً وجعل بعد هذا الديك تسع دجاجات وكتب عنواناً على هذه الرسمة محمد جمعة زوج التسعة يعني بذلك نبينا وهو ينتقص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم محمد جمعة لأن هذا كان والله أعلم يهودي من أصحاب السبت فيضيف الجمعة إلى نبينا لأنه هو الذي جاء بهذه الجمعة لأن هذا اليوم إنما شرف في الإسلام ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فقد كان يسمى في الجاهلية بيوم العروبة فلما جاء الإسلام سمي بيوم الجمعة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[الجمعة٩].

ثم استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم على شكل ديك واستهزاء أيضاً بأمهات المؤمنين والله سبحانه وتعالى أباح لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين هذه النساء التسع وليس ذلك جائز للأمة فهذا هو من اختصاص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فعلينا أن نترضى وأن نترحم وأن ندعو ونوطن أنفسنا على الحب لما كان يحبه النبي صلى الله عليه وسلم وأن نبغض من يبغض صحابة رسول الله أو أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذا من الدين لأن هؤلاء هم الذين نقلوا الدين ووضحوه لنا ونقلوه إلينا فرضي الله تعالى عنهم أجمعين.

* * * * *

[٨٩] ومعاوية خال المؤمنين ، وكاتب وحي الله ، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم.

---

٤٢٢) انظر: سير أعلام النبلاء(١٣٥/٢ ـ ٢٠١ ترجمة: ١٩)

٤٢٣) سبق قول ابن كثير: والأحسن التوقف.

.....

.... الشرح ....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

* * * * *

[٩٠] ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

[٩١] ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

.....

.... الشرح ....

تعرفون أن الخلافة منصب كبير ومسئولية عظيمة لأن في ذلك تدبير شئون المسلمين كلها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : { كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء }([٤٢٤]).

فكانت الخلافة واجبة على أهل الحل والعقد أن ينصبوا واحداً يصدروا عن رأيه في ما يكون سبباً في حفظ دينهم وأموالهم وأعراضهم ودمائهم وأخلاقهم وأحوالهم كلها لذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : { إنما الطاعة في المعروف }([٤٢٥]) وقبل ذلك يقول سبحانه وتعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ }[النساء٥٩].

ويأخذ النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه البيعة كما قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: { بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال (إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان }([٤٢٦]).

---

٤٢٤) متفق عليه: البخاري(٣٢٦٨) ومسلم(١٨٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٤٢٥) متفق عليه: البخاري:(٤٠٨٥، ٦٧٢٦، ٦٨٣٠) ومسلم:(١٨٤٠) وأحمد:(٦٢٢، ٧٢٤، ١٠١٨) وأبو داود(٢٦٢٥) والنسائي:(٤٢٠٥) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٤٢٦) متفق عليه: البخاري(٦٦٤٧، ٦٧٧٤) ومسلم(١٧٠٩)

والخلافة أو الرئاسة أو الملك يحصل بواحد من ثلاثة أمور:
الأول : أن ينص على االخليفة الجديد الخليفة السابق كما نص أبو بكر على عمر فكان عمر خليفة مختاراً من قبل الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، الرئيس السابق يقول : أنا أرى أن أحسن من يمثل ومن يقوم بأمر الله هو فلان فيأتي بعد موت الخليفة السابق أهل الحل والعقد الوجهاء والعرفاء والعلماء فيبايعونه ولا يشترط أن يأخذ البيعة على الشعب كله، فالشعب كثير
الثاني : أن يختار أهل الحل والعقد فلان وارتضوا به انتهى الإشكال كما اجتمع الصحابة على أبي بكر وكما اجتمع الصحابة على عثمان فإذا اجتمع الناس على رجل وقالوا : أنت إمامنا وخليفتنا أنت رئيسنا انتهى فمن جاء يريد أن يفرق الصف فكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : { من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر }([٤٢٧])
وقال صلى الله عليه وسلم:{ من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه }([٤٢٨]).
هذا مبطل جاء يريد أن ينازع، المنازع هذا تقص رقبته كما أفتى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .
الثالث : فهو الذي معناه القهر والغلبة بمعنى أن يغلب بسيفه وقوته وجنوده فيستتب له الأمر فحينها يكون هو الخليفة كما حصل في خلافة عبد الملك بن مروان([٤٢٩]) حينما قتل ابن الزبير([٤٣٠]) رضي الله تعالى عنهم جميعاً فكان هو الخليفة فإذا كان هذا هو رئيس الدولة وجب على المسلمين أن يسمعوا وأن يطيعوه في طاعة الله سبحانه وتعالى ولا يجوز لهم معصيته ولا مخالفته إذ أن

---

٤٢٧) رواه مسلم(١٨٤٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.
٤٢٨) رواه مسلم(١٨٥٢) عن عرفجة رضي الله عنه.
٤٢٩) عبد الملك بن مروان (٢٦ - ٨٦ هـ = ٦٤٦ - ٧٠٥ م) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد: من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، متعبدا، ناسكا.وشهد يوم الدار مع أبيه.واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة. وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة ٦٥ هـ) فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جبارا على معانديه، قوي الهيبة. واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي. ونقلت في أيامه االدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وضبطت الحروف بالنقط والحركات. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وأول من نقش بالعربية على الدارهم، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم. توفي في دمشق.
انظر: الأعلام للزركلي(١٦٥/٤).
٤٣٠) ابن الزبير(١ - ٧٣ هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢ م) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه الحجاج الثقفي، في أيام عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج في الطائف. ونشبت بينهما حروب أتى المؤرخون على تفصيلها انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة، بعد أن خذله عامة أصحابه وقاتل قتال الأبطال، وهو في عشر الثمانين. وكان من خطباء قريش المعدودين، يشبه في ذلك بأبي بكر. مدة خلافته تسع سنين. وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة. له في كتب الحديث ٣٣ حديثا. انظر: الأعلام للزركلي(٨٧/٤).

طاعته من الدين وكم والله من نفع وخير بسبب الخلافة والرئاسة فكما قال ابن المبارك رحمه الله([٤٣١]) :

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهباً لأقوانا([٤٣٢]).

فلو لم توجد هذه الرئاسة لرأيت القوي يبطش بالضعيف والفقير يسرق الأثرياء والأغنياء ورأيت الأعراض تنتهك والفساد في الأرض يعم لماذا ؟ لأنه لا دستور ولا مرجعية ولا إمام ولا جنود ولا حكم فيكون الخوف كله. والله يدرك هذا من عاش زمن الثورات والإنقلابات فنحن نخشى كل الخشية من أن تنفجر ثورة في بلد من بلاد المسلمين إذا انفجرت هذه الثورة فالله أكبر كم يحصل في ذلك من سفك دماء وانتهاك أعراض وأخذ أموال أمور كثيرة جداً الله أعلم كيف يكون عاقبتها ولو سألتم آباءكم وأجدادكم عن الثورة حدثوكم عن أيام الثورة لرأيتم عجباً عجاباً ، كم الذين قتلوا وكم الذين سفكت دماؤهم باطلاً وكم الأعراض التي انتهكت والمجازر. مسلمين ليسوا كفار مسلم مع مسلم لكن هذا كما يقال : جمهوري وهذا ملكي هذا مسلم وهذا مسلم هذا يشهد أن لا إله إلا الله وهذا يشهد أن لا إله إلا الله لكن هذا مع الملكية وهذا مع الجمهورية وبعضهم كانوا سفلة مرتزقة يصبحون مجمهرين ويمسون ملكيين يأخذ من هذا كيس من النقود ومن الآخر كيساً من النقود فكانت المسألة تجارة أعوذ بالله على حساب بيع الضمير وعلى حساب فرق تسد ومن أجل أن تبقى الحرب دائرة بين المسلمين وفي بلد إسلامي وقد يكون هذا البلد وطئه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بل وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم فالثورات والإنقلابات شر كلها فالواجب على المسلم أن يعلم أنه في ظل دولة أسلامية يجب عليه أن يحمد الله سبحانه وتعالى على الأمن والأمان لو ما في دولة ما تأمن على سيارتك تضعها في الحوش ولا في بيتك ولا تأمن أنت في بيتك أيضاً يأتي إليك عصابة مدججة بالسلاح أخرج عرضك وأخرج مالك وأخرج سلاحك وربما زادوا قتلوك بمن تتصل بمن تستنجد صح تستنجد بالله وتستنجد بعظمة الله سبحانه وتعالى ولكن هذه أمور من الدين بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن معاذ بن جبل قاضياً ومفتياً

---

٤٣١) ابن المبارك (١١٨ - ١٨١ هـ = ٧٣٦ - ٧٩٧ م) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم. وهو أول من صنف الجهاد.
انظر: الأعلام للزركلي(٤/١١٥) وانظر: سير الأعلام(٨/٣٧٨ ترجمة: ١١٢).

٤٣٢) البيت ضمن أبيات في سير الأعلام(٨/ ٤١٣- ٤١٤) يقول فيها:

إ ني امرؤ ليس في ديني لغامزه لين ولست على الإسلام طعانا
فلا أسب أبا بكر ولا عمرا ولن أسب معاذ الله عثمانا
ولا ابن عم رسول الله أشتمه حتى ألبس تحت الترب أكفانا
ولا الزبير حواري الرسول ولا أهدي لطلحة شتما عز أوهانا
ولا أقول علي في السحاب إذا قد قلت والله ظلما ثم عدوانا
ولا أقول بقول الجهم إن له قولا يضارع أهل الشرك أحيانا
ولا أقول تخلى من خليقته رب العباد وولى الأمر شيطانا
ما قال فرعون هذا في تمرده فرعون موسى ولا هامان طغيانا
الله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

وداعية وأميراً وهكذا أبو موسى الأشعري وهكذا كان الأنبياء { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }[ص٢٦].

فالناس بحاجة ماسة إلى الخليفة وإلى الحاكم فإن كان عند هذا الحاكم من السوء أو من البطانة السيئة لا سيما من أمراض الشهوات هذه معاصي وكبائر وسيئات دورنا أن ننصح كما في حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري في صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم :{ الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم }([٤٣٣]) دخل أبو مسلم الخولاني([٤٣٤]) الذي هو من سادات الأولياء يمني هو الذي تحققت فيه معجزة أبينا إبراهيم ألقاه الأسود العنسي([٤٣٥]) في النار فلم تمسه بسوء رضي الله عنه ورحمه رحمة واسعة دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال : السلام عليكم أيها الأجير كان معاوية من الصحابة ومن الحلماء فقال بعض الجالسين قل : الأمير فقال : بل الأجير فقال معاوية : دعوه فإن أبا مسلم أدرى بما يقول فقال له أبو مسلم إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيرا فولاه ماشيته وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية ويوفر جزازها وألبانها فإن هو أحسن رعيتها ووفر جزازها حتى تلحق الصغيرة وتسمن العجفاء أعطاه أجره وزاده من قبله زيادة وإن هو لم يحسن رعيتها وأضاعها حتى تهلك العجفاء وتعجف السمينة ولم يوفر جزازها وألبانها غضب عليه صاحب الأجر فعاقبه ولم يعطه الأجر فقال معاوية ما شاء الله ([٤٣٦]) ، وكان النووي رحمه الله([٤٣٧]) على تقشفه وتزهده يراسل الأمراء

---

٤٣٣) رواه مسلم(٥٥) وأحمد(١٦٩٨٢) وأبو داود(٤٩٤٤) والنسائي(٤١٩٧) وعلقه البخاري:في الإيمان: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة عن ابي تميم الداري. ورواه الترمذي(١٩٢٦) عن أبي هريرة.

٤٣٤) أبو مسلم الخولاني (٠٠٠ - ٦٢ هـ = ٠٠٠ - ٦٨٢ م) عبد الله بن ثوب (بضم ففتح) الخولاني: تابعي، فقيه عابد زاهد، ريحانة الشام. أصله من اليمن. أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وهاجر إلى الشام، وفي أكثر المصادر: وفاته بدمشق، وقبره بداريا. وكان يقال: أبو مسلم حكيم هذه الأمة. انظر: الأعلام للزركلي(٧٥/٤) وسير الأعلام(٧/٤ ترجمة: ٢)

٤٣٥) الأسود العنسي (٠٠٠ - ١١ هـ = ٠٠٠ - ٦٣٢ م)عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، ذو الخمار: متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن. كان بطاشا جبارا. أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي صلى الله عليه وسلم فكان أول مرتد في الإسلام. وادعى النبوة، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها، فاتبعته مذحج. وتغلب على نجران وصنعاء، واتسع سلطانه حتى غلب على مابين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والاحساء إلى عدن. وجاءت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بقي على الإسلام في اليمن، بالتحريض على قتله، فاغتاله أحدهم في خبر طويل أورده ابن الأثير. وكان مقتله قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بشهر واحد. وفي غربال الزمان: ظهر سنة ١٠ هـ وكان له " شيطان ؟ " يخبره بالمغيبات فضل به كثير من الناس. وكان بين ظهوره وقتله نحو من أربعة أشهر، ولكنه استطار استطارة الشرر وتطابقت عليه اليمن والسواحل كجار عثر والشرجة والجردة وغلافقة وعدن، وامتد إلى الطائف. وبلغ جيشه سبعمائة فارس.
وقال البلاذري: سمى نفسه " رحمان اليمن " كما تسمى مسيلمة " رحمان اليمامة ". انظر: الأعلام للزركلي(١١١/٥).

٤٣٦) انظر: القصة في: تاريخ دمشق (٢٧/ ٢٢٣-٢٢٤) وحلية الأولياء(١٢٥/٢).

٤٣٧) النووي، أبو زكريا (٦٣١ - ٦٧٦هـ، ١٢٣٣- ١٢٧٧م) محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي. كان إمامًا بارعًا حافظًا أمَّارًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، تاركًا للملذات ولم يتزوج. أتقن علومًا شتى. ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية. أُفردت ترجمته في رسائل عديدة. وقد عدد ابن العطار ـ أحد تلاميذه ـ تصانيفه واستوعبها، ومن هذه التصانيف: تهذيب الأسماء واللغات والمنهاج في شرح مسلم؛ التقريب والتيسير في مصطلح الحديث؛ الأذكار؛ رياض الصالحين وهو كتاب جامع ومشهور؛ المجموع شرح المهذب؛ الأربعون النووية؛ مختصر أسد الغابة في معرفة الصحابة وغيرها.

والحكام ينصحهم وهكذا أبو محمد بن حزم[٤٣٨] وسلطان العلماء العز بن عبد السلام[٤٣٩] وهكذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله[٤٤٠] يناصح. انصح الأمير انصحه لله سبحانه وتعالى إن قبل فالحمد لله وإن لم يقبل فقد أديت ما عليك ولا ينبغي أن يستدل بعض الحماسيين ببعض مواقف العلماء التي تبرر لهم الخروج عن طاعة الحاكم أو عن التفجير والتلغيم وزعزعة الأمن في البلد فإن الأمور الشاذة التي حصلت من آحاد السلف ليست دليلاً في حدّ ذاتها حتى يكون فهماً سلفياً مجمعاً عليه متفقاً عليه بين الأئمة أما أن يخرجوا مثلاً خرج ابن الأشعث[٤٤١] على الحجاج[٤٤٢] في خلافة عبد الملك بن مروان[٤٤٣] وخرج سعيد بن جبير[٤٤٤] وخرج الشعبي[٤٤٥] وخرج الأوزاعي[٤٤٦] وفلان من الناس.

أنظر ترجمته في: مقدمة شرح مسلم(١/ ٦ – ٩) والأعلام للزركلي(٨/ ١٤٩) وتذكرة الحفاظ(١٧٦/٤) وطبقات الشافعية للسبكي(٨/ ٣٩٥) والنجوم الزاهرة(٧/ ٦٧٦) والبداية والنهاية(١٣/ ٢٧٨، ٢٧٩) وشذرات الذهب(٥/ ٣٥٣-٣٥٥) ومرآة الجنان(٢/ ١٨٢، ١٨٣).

٤٣٨) ابن حزم(٣٨٤ - ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٤ م) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزمية ". ولد بقرطبة.
وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة.
وانتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فتمالأوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية ليلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها. رووا عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخطه أبيه من تآليفه نحو ٤٠٠ مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة. وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. انظر: الأعلام للزركلي(٤/ ٢٥٤).

٤٣٩) العز بن عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ = ١١٨١ - ١٢٦٢ م) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق.وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ فأقام شهرا. وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي. ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل قلعة " صفد " للإفرنج اختيارا أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه. ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الامر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته. ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن في أولادك من يصلح لو ظائفك. فقال: لا. وتوفي بالقاهرة.
انظر: الأعلام للزركلي(٤/ ٢١).

٤٤٠) ابن باز: سبقت ترجمته.

٤٤١) ابن الأشعث(٠٠٠ - ٨٥ هـ = ٠٠٠ - ٧٠٤ م) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي: أمير، من القادة الشجعان الدهاة. وهو صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي والتي انتهت بمقتله. انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٣٢٣).

٤٤٢) الحجاج الثقفي (٤٠ - ٩٥ هـ = ٦٦٠ - ٧١٤ م) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة). وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين. انظر: الأعلام للزركلي(٢/ ١٦٨).

٤٤٣) عبد الملك بن مروان: سبقت ترجمته.

٤٤٤) سعيد بن جبير: (٤٥ - ٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤ م) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق. وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيدا. ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة،

هؤلاء مخطئون حتى وإن حصل عند الحاكم الكفر البواح فليس بواجب علينا أن نخرج عن طاعتهم قد يكون من باب الإستحباب والعلماء يذكرون شروطاً في ذلك لا بد من الكفر البواح وأن يكون للمسلمين ظهر وأن لا يتضرر المسلمون بذلك حينما يخرج واحد من هؤلاء عن طاعة الإمام تأملوا مثلاً الآن إلى قضية الحوثي حسين بدر الدين الحوثي صاحب صعدة الذي ظل من عام تسعين وهو يربي جيلاً يسميه الجيل المؤمن أو الشباب المؤمن يربيهم عقائدياً يبذر فيهم البذرة السبئية والنواة الخبيثة أفكار ضالة يقول: على أن هذه الدولة دولة كافرة والمجتمع مجتمع مداهن أو منافق فما استطاع أن يصبر فضحه الله سبحانه وتعالى وكشر عما هو في قلبه فكان يزعم أنه هو الخليفة وأنه هو أمير المؤمنين على أن الوضع مستتب ونحن في دولة صحيح عند الدولة بعض الأخطاء لكن نناصح فالدولة تناصح على إغلاق المراقص حتى **عدت** على ترك الجمارك والضرائب ما أنزل الله تعالى بها من سلطان نطالب الدولة أن تحكم شرع الله في أن يقتل القاتل وأن يجلد الزاني والخمار وأن تقطع يد السارق وأن يؤخذ على يد السفهاء ويؤخذ على يد العلمانيين والحداثيين الذين شوهوا جمال البلاد وأفسدوا قلوب العباد الدولة مطالبة بأن تحسن وضعها مع الله سبحانه وتعالى فإنهم مسئولون عن هذا بين يدي الله يقول النبي صلى الله عليه وسلم: { كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته }([٤٤٧]).

فالإمام راع ومطالب أيضاً بالحفاظ على ثروات البلاد عموماً وأن يكون عنده عناية بجباية الزكاة بأن يوزعها على الأصناف الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه الكريم وأن يهتم بشؤون المواطنين علمياً واجتماعياً فإن كثيراً من الشباب لا يستطيع أن يتزوج على أن الدولة باستطاعتها أن تجمع خمسين ألف شاب وتزوجهم في ليلة واحدة من أرباح النفط أو من أي تصدير أو استيراد جاء للبلاد. هذه قضايا تهم الدولة فوجب على الدولة أن تصحح ما عندها من الخطأ فنحن بالمقابل لا نوافق على الأخطاء الحاصلة لكن لا نتحدث عن خطأ خاص بشخصية معينة وإنما نعالج القضايا عموماً يجب على الدولة وعلى رجالها أن يتقوا الله سبحانه وتعالى وأن يعلموا أن ما هم فيه من الثراء والنعيم إنما هو أيام وسوف يزول

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الارض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٩٣).

٤٤٥) الشعبي:(١٩ - ١٠٣ هـ = ٦٤٠ - ٧٢١ م) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، شاعرا.واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان. انظر: الأعلام للزركلي(٣/ ٢٥١) وسير الأعلام(٤/٢٩٤ ترجمة: ١١٣).

٤٤٦)الأوزاعي: سبقت ترجمته.

٤٤٧) متفق عليه: البخاري(٨٥٣، ومواضع) ومسلم(١٨٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنه.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : { ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور }([٤٤٨]).

فهم على خطأ كبير وعلى الشعب أن يتقي الله سبحانه وتعالى في دولته فليس من الصح أن تسب أو أن يشرشح بأخطائها على المنابر بل لا بد من السمع والطاعة وأن يعملوا جميعاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم:{خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم }([٤٤٩]).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

* * * * *

[٩٢] ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم وكل محدثة في الدين بدعة.

.....

.... الشـرح ....

قال ابن العثيمين شارحاً كلام الموفق :

[هجران أهل البدع:

الهجران مصدر هجر وهو لغة الترك] { وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً }[المزمل١٠] أي اتركهم

[والمراد بهجران أهل البدع الإبتعاد عنهم وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم ونحو ذلك، وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى : { لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[المجادلة٢٢].

والمبتدع هو الذي من شأنه الإبتداع له بدعة يروجها وينميها وينافح عنها ليست بدعة واحدة وإنما هي بدع أن يطلق عليه لفظة مبتدع اسم فاعل كما أن الحاكم إذا عدل مرة واحدة لا يقال له عادل وإنما يقال عنده عدل في مسألة كذا فلا يقال عنه عادل إلا إذا كان من شأنه العدل وهكذا الظالم وهكذا الفاسق والمراد بأهل البدع هم الذين ابتدعوا في دين الله ما ليس منه كبدعة الخوارج والجهم والإعتزال والقدر والإرجاء وكذلك التشيع هذا من شأنه أنه اعتقد عقيدة المبتدعة وقد سمعت الشيخ عبد العزيز الراجحي رحمه الله في مسجد الخيف سئل : متى يحكم على الرجل أنه من أهل البدع وليس من السلفية ؟ قال : إذا اعتقد عقيدة المبتدع هذه الأحكام تتنزل على هؤلاء الذين اعتقدوا

---

٤٤٨) صحيح: رواه أحمد(٩٥٧٠، ومواضع) والدارمي(٢٥١٥) والطبراني في الأوسط(٢٧٢) وأبو يعلى(٦٦١٤) والبيهقي في الشعب(٧٣٨٢) وفي الكبرى(٥١٢٨) وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٥٦٩٥، ٥٦٩٦) وصحيح الترغيب(٢١٩٨) والصحيحة(٢٦٢١) عن ابي هريرة رضي الله عنه، وجاء الحديث عن غيره.

٤٤٩) رواه مسلم(١٨٥٥) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه. وفي آخره: [قالوا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال (لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولى عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة].

عقائد المبتدعة لكن الآن أغلب الهجر أمور نفسية أمور في النفس لم توافق في مسألة من المسائل قال : أنا أهجرك وأتقرب إلى الله بهجرك وتجده يكسيك بحلة أهل البدع ويرميك بأبشع وأقذع الألفاظ أو يقطع لنفسه ولأصحابه بالسنة هذا لا يجوز والله إن هذا من الظلم لا سيما وإن هذا في إخوانك

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

لا يجوز لك أن ترمي غيرك بالبدعة ربما كانت مسائل اجتهادية ما أراد الإبتداع أذكر في قوله سبحانه وتعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة }[القيامة: ٢٢ـ ٢٣] .

جمهور أهل السنة على أن النظر النظرة البصرية مجاهد بن جبر(٤٥٠) وسفيان الثوري(٤٥١) يذهبان إلى أن المراد بذلك قالوا : منتظرة للثواب وهذا تأويل هذا اجتهاد خاطئ ما أحد شنع على هذين الرجلين ولا أخرجهما من السنة وباب الهجر باب مضيق جداً ضيق لم يهجر النبي صلى الله عليه وسلم **إلا المتضمخ بالخلوق** والثلاثة الذين خلفوا(٤٥٢) ولأنه هو الأعلى وهؤلاء الأدنى ولأنه رسول يعلم المصلحة في هجر هؤلاء على أنه قد عذر المنافقين وأصحاب النوايا العفنة استغفر لهم وقبل عذرهم ودعا لهم واستغفر لهم وهؤلاء الصادقين ابتلاهم واختبرهم قال لكعب : { أما هذا فقد صدق اذهب حتى يقضي الله فيك أمره }(٤٥٣). هجر النبي صلى الله عليه وسلم في قضايا ضيقة حتى أن شيخنا مقبل رحمه الله في كتابه العقيدة الإسلامية قال : باب الهجر ضيق وسعته الخوارج يقول لك : فلان مبتدع تقول له : لا مش مبتدع قال : أنا أهجرك إي والله هذا حاصل أنا دعني مع الفوزان مع العباد مع اللجنة الدائمة مع علي حسن مع سليم مع مشهور دعنا مع واحد من هؤلاء فلماذا أنت رميتني بالبدعة ولم ترم بها نفسك على أننا نحن نتقي الله سبحانه وتعالى أن نرمي غيرنا بما رمانا به ولكن نكل أمره إلى الله سبحانه وتعالى والله يا إخوان ما هناك شيء يستحق أن تنزل هذه الأحكام التي نزلوها على إخوانهم ورموهم بأنهم حسنيون حزبيون ماديون والله ما هو إلا الحسد

حسدوا الفتى إن لم ينالوا مثله فالناس أعداء له وخصوم

---

٤٥٠) مجاهد بن جبر(٢١ ـ ١٠٤ هـ = ٦٤٢ ـ ٧٢٢ م) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت ؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها: ذهب إلى " بئر برهوت " بحضرموت، وذهب إلى " بابل " يبحث عن هاروت وماروت. أما كتابه في " التفسير " فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب، يعني النصارى واليهود. ويقال: إنه مات وهو ساجد .
انظر: الأعلام للزركلي(٢٧٨/٥).

٤٥١) سفيان الثوري (٩٧ ـ ١٦١ هـ = ٧١٦ ـ ٧٧٨ م) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى. وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. له من الكتب (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، وكتاب في (الفرائض) وكان آية في الحفظ. من كلامه: ما حفظت شيئا. فنسيته. ولابن الجوزي كتاب في مناقبه.
انظر: الأعلام للزركلي(١٠٤/٣).

٤٥٢) الثلاثة الذين خلفوا : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية وقصتهم في البخاري(٢٦٠٦ ومواضع) ومسلم(٢٧٦٩) عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

٤٥٣) متفق عليه: البخاري(٤١٥٦) ومسلم(٢٧٦٩) عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

كضرائر الحسناء قلن لوجهها قبحـاً وزوراً إنه لذميم

كلا والله ما هناك شيء لا نعرف شيئاً من الدخن خالط عقولنا وقلوبنا وعقائدنا ومناهجنا والله ما هي إلا السنة في تجدد وازدياد الحال كحال القمر

شيبت ناصية القرون ولم تزل طفلاً تطالعنا بوجه أمرد

سنة كل يوم ونحن نستفيد من السنة ونرتضع من علم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هناك قاعدة صوفية : لا تعترض فتنطرد ، ومحمد بن يحي الذهلي([٤٥٤]) رحمه الله طرد الإمام مسلم حينما لم يأخذوا برأيه رفع الله البخاري ورفع الله مسلماً ولم يرتفع محمد بن يحي الذهلي ما يعرفه إلا آحاد طلبة العلم يعرفه العلماء الكبار أراد محمد بن يحي الذهلي أن لا يعرف البخاري فأبى الله إلا أن يشهر البخاري ويرفع من قدره البخاري عاش مطروداً لأن محمد بن يحي الذهلي كان واجهة البلد مفتي قاضي له الفتوى والصولة والجولة والبخاري مسكين طالب علم خرج من سمرقند([٤٥٥]) بكتبه على حمار شيعه رجل إلى قارعة الطريق طردوه من سمرقند إلى خرتنك([٤٥٦]) وإلى الآن قبره معروف ومشهور وللأسف أنهم يتبركون به وصار لكتابه الشهرة

صحيح البخاري لو أنصفوه لما خط إلا بماء الذهب

وأقول : لو خط بماء الذهب لكان قليلاً في حقه فهذه الأحكام هجر مبتدع نهجر المبتدع نعم من هو المبتدع هو الذي اعتقد عقائد المبتدعة شخص أذن الأذان الأول يوم الجمعة ، هذا مبتدع ، لا ، ليس مبتدع هذا الأذان له أصل في الإسلام ، شخص قال في الأذان الأول من الفجر الصلاة خير من النوم آخر قال لها في الثاني خلاف سائغ

وليس كل خلاف جاء معتبر إلا خلاف له حظ من النظر

فالذي أراده الشيخ هو هجر المبتدع صوفي حلولي جهمي رافضي شيعي خارجي قدري مرجئي مبتدعة هؤلاء أما مسألة اختلف فيها العلماء فأخذ هذا بقول وأخذ هذا بقول فلا نهجر صاحب القول الثاني إن كان هو قول كثير من العلماء المتقدمين ليس لك أن تهجره ولا تتنزل عليه أحكام أهل البدع ثم إن أخطأ السني يعامل معاملة المسلم السني ولا يعامل معاملة البدعي لأنه الأصل أنه سني من أهل السنة اعكسها تماماً المبتدع الذي عنده بدعة أصلية لو أنه أصاب في سنة هل يقال عنه

---

٤٥٤) الذهلي(١٧٢ ـ ٢٥٨ هـ = ٧٨٨ ـ ٨٧٢ م) محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلى،، مولاهم، النيسابوري، أبو عبد الله: من حفاظ الحديث، ثقة. من أهل نيسابور. رحل رحلة واسعة فزار بغداد والبصرة وغيرهما، في طلب الحديث. واشتهر، وروى عنه البخاري أربعة وثلاثين حديثا. انتهت إليه مشيخة العلم بخراسان. واعتنى بحديث الزهري فصنفه وسماه (الزهريات) في مجلدين. انظر: الأعلام للزركلي(١٣٥/٧).

٤٥٥) سمرقند : هي مدينة في أوزبكستان. عدد سكانها ٤٠٠,٠٠٠ نسمة معظمهم طاجيك (يتحدثون الفارسية لا الطاجيكية). تشتهر بتخريج علماء الدين ، ويفصل بين سَمَرقند، و "بخُارى" ١٥٠ ميلاً وأرض "سَمَرقند" خصبة، وافرة الخيرات، تمتد فيها حقول القمح حول الأنهار إلى قرب مدينة "بنجيكت" المشهورة باشجار اللّوز، والجوز، و"بنجيكت" المعروفة بهذا الاسم إلى عصرنا الحاضر تقع شرق "سَمَرقند"، وبينهما "ورغسر"، وإلى الجنوب منهما "ما يمرغ"، أغنى الرساتيق، وأكثرها أشجاراً للمزيد انظر (الأصطخري: مسالك الممالك، (٣١٩) وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية(٥٠٧) وعجائب البلدان لسراج الدين ابن الوردي تحقيق وتعليق وتقديم أنور محمود زناتي جامعة عين شمس[حاشية].

٤٥٦) خرتنك: بفتح أوله وتسكين ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق ونون ساكنة وكاف قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ بها قبر إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري ينسب إليها أبو منصور غالب بن جبرائيل الخرتنكي وهو الذي نزل عليه البخاري ومات في داره حكى عن البخاري حكايات. معجم البلدان للحموي(٣/ ٣٥٦).

سني لا يقال عنه سني أبداً حاله حال من دافع عنك ضد أعدائك كنت تمشي أنت وأسرتك جاء واحد حرامي عدو يريد يقاتلك فقام هذا وقاتل معك ودفعوا الصائل دفع الصائل منك وبعدها تجيء تقول له : بارك الله فيك جزاك الله خير يقول لك : لا أنا الآن أشتي أدخل على محارمك وأجلس تقول له : لا أنت أحسنت معي لكن هذا لا يستجيز لك أن تكون معي أنت رجل أجنبي أصلك وهكذا البدعي أيضاً الذي أصله مبتدع وإن أصاب في كثير هو أصله بدعي.

نصراني بنى مسجداً ما لنا وله لا بد من الإسلام أن يسلم هو ليقبل منه لأن الإسلام شرط في صحة العمل فلا بد يا إخوان أن تفهم هذه الأصول والثوابت أما أن يأتي إنسان يرى رجلاً يسبح بمسبحة أو يذكر الله بصوت جماعي مثلاً أو في مسألة الأذان يوم الجمعة ويقوم يندد ويهدد ويعزل من السنة من شاء هذا من الظلم الذي لا يتركه الله سبحانه وتعالى

ثم قال العثيمين: [ولأن النبي صلى الله عليه وسلم هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك([٤٥٧]) لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك وربما يكون ذلك مطلوب لقوله تعالى:{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[النحل١٢٥] وهذا قد يكون بالمجالسة والمشافهة وقد يكون بالمراسلة والمكاتبة، ومن هجر أهل البدع ترك النظر في كتبهم خوفاً من الفتنة بها أو ترويجها بين الناس فالإبتعاد عن مواطن الضلال واجب لقوله صلى الله عليه وسلم في الدجال : { من سمع به فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات } رواه أبو داود ، قال الألباني : إسناده صحيح([٤٥٨]) لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به وكان قادراً على الرد عليهم بل ربما كان واجباً لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب].

كلام في غاية الإمتياز . يعني هذا المبتدع إن كان في الجلوس معه مصلحة تجلس معه الأصل عند كثير من الناس أن المبتدع لا يجالس. من قال هذا ؟ نعم لا يجالس لمن خشي على نفسه من الفتنة. أما رجل متضلع بالعلم يستطيع أن يدفع الشبهة فله أن يجالس وأن يناظر فقد كان العلماء فيما مضى يتناظرون يتناظر أهل السنة مع أهل البدعة ويفحمونهم فيرجع كثير منهم إلى السنة وإلى الحق ولولا المناظرة ما عرف كثير من الحق فالعالم إن كان يجيد المناظرة ويستطيع أن يرد على دليل البدعي فربما تَعيّن عليه وكان واجباً عينياً لا بد أن يناظر إذا كان الله سبحانه وتعالى يقول: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[العنكبوت٤٦] وهم يهود ونصارى وبالتي هي أحسن فما بالك بالمسلم المبتدع .

هنا كلام للشيخ مشهور رحمه الله تعالى قال : الهجر الإيجابي الزاجر وهذا القسم من باب العقوبات الشرعية المسألة مسألة عقوبة آخر الدواء الكي كما يقال: فهو من جنس الجهاد في سبيل

---

٤٥٧) القصة في: البخاري(٢٦٠٦ ومواضع) ومسلم(٢٧٦٩) عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

٤٥٨) صحيح: رواه أحمد(١٩٩٨٢) وأبو داود(٤٣١٩) والحاكم(٨٦١٥) وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه والطبراني في الكبير(٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢) وابن أبي شيبة(٣٧٤٥٩) عن عمران بن الحصين وصححه الألباني في: صحيح الجامع(٦٣٠١) والمشكاة(٥٤٨٨).

الله على حد تعبير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهذا يفعل لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله.

ورحم الله ابن عقيل([٤٥٩]) فإنه قال في كتابه العجيب الفنون[٤٦٠] ما نصه:[إذا أردت أن تعلم محلَّ الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع ، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك ، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة]([٤٦١]).

فالمطلوب من المؤمن أن يوالي المؤمن وإن طلمه فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية قال تعالى :

{ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات٩، ١٠] .

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم فليتدبر المؤمن الفرق بين هذا والهجر فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام لأوليائه والعقاب لأعدائه وإذا اجتمع في ذلك الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ([٤٦٢]).

هذا الكلام غير معمول به عند هؤلاء الغلاة. الولاء ثلاثة أقسام:

من الناس من يحب جملة وهو المؤمن السني الصالح ، ومن الناس من يبغض جملة وهو الكافر ومن الناس من يحب على قدر ما فيه من الخير ويبغض على قدر ما فيه من الشر ، هؤلاء ليس

---

٤٥٩) ابن عقيل: (٤٣١ ـ ٥١٣ هـ = ١٠٤٠ ـ ١١١٩ م) ابن عقيل الإمام العلامة البحر، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته. أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري، الحنبلي المتكلم، صاحب التصانيف، كان يسكن الظفرية ومسجده بها مشهور.يعرف بابن عقيل: كان قوي الحجة، اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته. وكان يعظم الحلاج، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراتب عدة سنين. ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور.

وانظر في ترجمته: سير الأعلام(١٩/٤٤٣ ترجمة: ٢٥٩) والأعلام للزركلي(٤/٣١٣)

٤٦٠) كتاب الفنون: جمع فيه : أزيد من أربعمائة فن. قال الذهبي:كتاب الفنون لم يصنف في الدنيا أكبر منه.

قال الحافظ ابن رجب: وأكبر تصانيفه الفنون، وهو كتاب كبير جدا فيه فوائد كثيرة جليلة، في الوعظ، والتفسير، والفقه، والأصلين، والنحو، واللغة، والشعر، والتاريخ، والحكايات، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره، ونتائج فكره قيدها فيه.

وقال ابن الجوزي: وهذا الكتاب مئتا مجلد، وقع لي منه نحو من مئة وخمسين مجلدا.

وقال سبطه في مرآة الزمان:(٨ / ١٥١) واختصر منه جدي عشر مجلدات فرقها في تصانيفه، وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية نحوا من سبعين، وفيه حكايات ومناظرات، وغرائب وعجائب وأشعار.

وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره: قال لي أبو البقاء اللغوي: سمعت الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول: وقفت على السفر الرابع بعد الثلاث مئة من كتاب الفنون، وقال الإمام الذهبي في " تاريخ الإسلام ": حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربع مئة. وقد طبع منه جزء في دار المشرق لبنان سنة ١٩٦٩، وقع لمحققه تحريفات فاضحة.

وانظر: حاشية سير أعلام النبلاء(١٩/٤٤٥) مؤسسة الرسالة : تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنؤوط . وتأريخ الإسلام للذهبي(٣٥/٣٥١) وكشف الظنون(٢ / ١٤٤٨).

٤٦١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح ج١/٢٦٨) والسفاريني في: غذاء الألباب ص(٢٠٧).

٤٦٢) انظر كلام شيخ الإسلام في: مجموع الفتاوى(٢٨/ ٢٠٨).

عندهم وسطية وإنما إجحاف وظلم من وافق رفعوه وإن كان لا يسوى ومن خالف خفضوه وإن كانوا في قرارة أنفسهم يعلمون أنه من أهل السنة ولكن يقولون هذا لم يقل بقولنا،

والإمام مالك بن أنس رحمه الله(٤٦٣) من عدله وإنصافه يقول : وليس للإمام أن يجمع الناس على قوله وتعرفون أن مالك بن أنس طلب منه أبو جعفر المنصور أن يجمع الناس على موطئه فأبى وقال : إن الناس قد اجتمعوا على أشياء لم يطلع عليها نحن .

قال العثيمين: [الجدال والخصام في الدين] بمعنى ما حكم ذلك هل يجوز الجدال والمخاصمة من أجل الدين أو لا يجوز ؟ فاستمع قال ابن العثيمين رحمه الله :

[الجدال مصدر جادل والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه وفي القاموس : الجدل اللدد+ في الخصومة، والخصام المجادلة فهما بمعنى واحد وينقسم الجدال والخصام في الدين إلى قسمين :

الأول : أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل وهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً بحسب الحال لقوله تعالى : ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن }[النحل: ١٢٥].

وهذا جائز إن كان الجدل من أجل الحق وإظهاره وإفشائه وتثبيته فجائز وربما يكون واجب حتى في أيام الحج على أن الله سبحانه وتعالى يقول:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ }[البقرة١٩٧].

ولكن المراد بالجدل هاهنا الجدل الباطل، أما إن كان الجدل من أجل إظهار الحق فلا بأس.

أذكر أنه في عام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين حججنا ثم أردنا أن نتناقش مع بعض الشباب ولما كانت حجتهم خاوية ونيتهم مأكولة رفضوا وتعذروا بأن هذا موسم حج ولا يجوز فقلنا لهم : هذا إن كان في مصلحة الدين وإظهار الحق فلا بأس وهذا كلام أهل العلم في هذا الباب فهذا القسم الأول أن يكون من وراء هذا الجدل خير فيجوز على أن هذا الجدل له ضوابط :

الأول: وهو أن يكون هناك ثوابت متفق عليها يرجع إليها الخصمان .

الثاني: أن يكون هناك محكم مرتضى.

الثالث: أن يكون المجلس مجلس آمن لا يكون مجلس خوف.

رابعاً : الإخلاص وحسن المقصد. قال الإمام الشافعي رحمه الله: [ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ وما ناظرت أحدا إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه](٤٦٤). فهذا فيه دلالة على رجاحة عقل هذا الإمام إمام كثير العلم كبير القدر محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى(٤٦٥) .

[الثاني : أن يكون الغرض منه التعنيت أو الإنتصار للنفس أو للباطل فهذا قبيح منهي عنه. لقوله تعالى: { ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا}[غافر: ٤] وقوله: { وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب }[غافر: ٥].

هذا تتمة لدرس الأمس وهو أنه يجوز للمسلم السني مناظرة البدعي إن كان من وراء ذلك مصلحة

---

٤٦٣) الإمام مالك: سبقت ترجمته.

٤٦٤) انظر: الحلية(١١٨/٩) وصفة الصفوة(٢٥١/٢).

٤٦٥) الشافعي: سبقت ترجمته.

* * * * *

[٩٣] وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها .

.....

.... الشـرح ....

سئل الشيخ عبد العزيز الراجحي رحمه الله: ما هو الضابط الذي يخرج به السني من السلفية إلى البدعة ؟ فقال :

أن يعتقد عقيدة المبتدعة هذا حقيقة كان فهماً غائباً عنا فكان في قاموسنا نحن أن من رؤي عليه بدعة ولو إضافية رأيت من يقنت في صلاة الفجر أو من يطيل القنوت في التراويح أو من يصلي إحدى وعشرين ركعة تراويح أو من يؤذن الأذان الأول يوم الجمعة أو يجعل الصلاة خير من النوم في الأذان الثاني مبتدع هذا من الظلم هذه مسائل اجتهادية ومن عملها له في ذلك سلف بل هناك من الناس من إذا رأى رجل يسبح بالمسبحة قال : بدعة .

الشيخ العثيمين يقول : إن كانت المسبحة للعد فلا بأس على أننا نقول : الأولى أن يكون التسبيح باليد ، بيده اليمنى ويقول :{ إنهن مسؤولات مستنطقات}([٤٦٦]) لكن ترميه بالبدعة ما بعد البدعة إلا الكفر،قال سبحانه:{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[الشورى٢١].

ثم كم حصل من خلاف بين مدرسة الرأي في الكوفة مع أهل الحديث والسنة مسائل كثيرة وما حكموا عليهم بالبدعة أو الردة أو الخروج من السنة والسلفية وهكذا بعضهم لا حول ولا قوة إلا بالله إذا رأى شخصاً ملتحياً قال : أخونا في الله فإذا رأى شخصاً حالقاً يعني لا يأبه به وهذا أخو من؟ هذا أخونا في الله أيضاً عنده معصية ولكن زاد عليه الشيطان يوم عصى الله وخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم فحلق لحيته ، وإلا فالأصل فيه أنه سني حتى أن بعض الناس ربما ينظر إلى الناس بعين الإشمئزاز إن رأى فيهم من يحلق لحيته وكان الأولى أن يقربهم إليه ولا يجعل الشياطين تتخطفهم وربما أيضاً ما يستشيره في أمر الدعوة. ولو لم يكن من أهلها في مسألة محاضرة أشركه في الرأي إيش رأيك تكون المحاضرة في موضوع كذا هل رأيت أخطاء إيش الذي ننصح به.

هناك من الناس من يقوم الليل ويتصدق ويفعل من الخير الكثير ولكن ابتلي بمثل هذا فالدين النصيحة وهذا أخونا في الله زره وسلم عليه وبش في وجهه

بني إن البر شيء هين قول جميل ولسان لين

---

٤٦٦)هذا جزء من حديث حسن: رواه أحمد(٢٧١٣٤) وأبو داود(١٥٠١) والترمذي(٣٥٨٣) وابن حبان(٨٤٢) والحاكم(٢٠٠٧) وحسنه الألباني في: صحيح الجامع(٤٠٨٧) والمشكاة(٢٣١٦) عن يسيرة بنت ياسر رضي الله عنها.

أخوك في الله على أنه لا يقر على هذه المعصية هذه معصية قل له : نسأل الله أن يعينك عليها وعلى إرغام الشيطان وعلى تطبيق سنة محمد صلى الله عليه وسلم وكن به رفيقاً شفيقاً رءوفا رحيماً ادع له لعل الله سبحانه وتعالى أن يهديه .

قال العثيمين : [علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم:

لأهل البدع علامات منها :

١ـ أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقدية .

٢ـ أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم .

٣ـ أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين

ومن طوائفهم:

١ـ الرافضية : وهم الذين يغلون في آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة، أو يفسقونهم، وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن عليّاً إله ومنهم دون ذلك.

وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبدالله بن سبأ :أنت الإله فأمر علي ـ رضي الله عنه ـ بإحراقهم وهرب زعيمهم عبدالله بن سبأ إلى المدائن.

ومذهبهم في الصفات مختلف: فمنهم المشبه، ومنهم المعطل، ومنهم المعتدل.

وسموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوا عنه.

وسموا أنفسهم شيعة لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم في الإمامة].

وهم الذين يغلون في آل البيت أي يرفعونهم فوق منزلتهم ، أنا رأيت في العراق من يكتب على صدور الأطفال وعلى أدبار السيارات : يا علي أدركني ، المدد يا سيدي حسين ، ويرسمون علي بن أبي طالب ويرسمون سيفه ويستدلون : { لا سيف إلا ذي الفقار ولا فتى إلا علي }([٤٦٧]).

وأحد الذين ذهبوا إلى هناك ينظر فيما يسمونه عتبات مقدسة في كربلاء والنجف يدعون أن هناك قبر علي بن أبي طالب وهو مكذوب فيدخل الشخص يطوفون به ثم يطوف حول القبر ثم يخرجون له ضمطاط ـ حبل صغير ـ يقولون له : هذا من الإمام علي بن أبي طالب وحول عليك مثلاً بألفين أو بثلاثة آلاف درهم حوالة (هو المقصد الفلوس) فلماذا يكذبون فهؤلاء غالوا في آل البيت وهكذا في العباس بن عبد المطلب .

قال : [هم الذين يغلون في آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة] كأبي بكر وعمر يسبونهم سباً مقذعاً بل يقولون : أن عمر بن الخطاب فيه داء في دبره لا يشفيه إلا ماء الرجال يتهمونه باللوطية لأنهم عندهم مصائب في هذا الباب فعندهم المتعة وعندهم أيضاً في هذا القبيل في مسألة

---

٤٦٧) موضوع: أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات(١/٣٨١، ٣٨٢)، وقال هذا حديث لا يصح، والمتهم به عيسى بن مهران. . وقال الذهبي: رافضي كذاب. وقال ابن عدى: حدث بأحاديث موضوعة وهو محترف في الرفض. وقال أبو حاتم: كذاب. وقال الدارقطني: رجل سوء. وقال الخطيب: كان من شياطين الرافضة ومردتهم، وقع إلى كتاب من تصنيفه في الطعن على الصحابة وتكفيرهم، فقد قف شعرى وعظم تعجبي مما فيه من الموضوعات والبلايا. انظر: ميزان الإعتدال(٣/ ٣٢٤).

اللوطية وهناك دراسة بأن نسبة الإيدز في إيران نسبة مفجعة للغاية وقد ذكر موسى الموسوي في كتابه : لله ثم للتاريخ عجباً في هذا الباب .
هذه هي الرافضة وأصل نحلتهم في إيران لهم جامعات ومدارس ودكاترة وأساتذة في جميع أصقاع الأرض .
٢ ـ[الجهمية : نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة ١٢١هـ ، مذهبهم في الصفات التعطيل والنفي وفي القدر القول بالجبر وفي الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان فهم معطلة جبرية مرجئة وهم فرق كثيرة .
٣ـ الخوارج: وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم.
مذهبهم التبرؤ من عثمان وعلي والخروج على الإمام إذا خالف السنة وتكفير فاعل الكبيرة وتخليده في النار وهم فرق عديدة].
وهؤلاء موجودون في الإمارات وفي عمان وموجودون في اليمن في منطقة البخاري والكلام حولهم كثير وهم مبتدعة مؤولة ويسمون أيضاً وعيدية لأنهم أخذوا بظواهر آيات الوعيد مهملين آيات وأحاديث الرجاء يقرؤون القرآن ويدرسون صحيح البخاري ولكن على حسب فهمهم
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
٤ـ [القدرية : وهم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلتين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة.
وهم فرقتان غلاة، وغير غلاة، فالغلاة ينكرون علم الله، وإرادته، وقدرته، وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقرضوا أو كادوا. وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله، وقدرته، وخلقه، وهو الذي استقر عليه مذهبهم].
هذه فرقة ضلت في باب القضاء والقدر وأول من قال به في الكوفة هو معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة هؤلاء نفوا علم الله سبحانه وتعالى ثم بعد ذلك اختلفوا فيما بينهم فقال بعضهم : إنه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات وقال بعضهم : إنه يعلم الأمر أنف أي بعد وقوعه وقد سأل سائل من أهل البصرة عبد الله بن عمر فتبرأ ابن عمر رضي الله تعالى عنهما منهم فقال للسائل: [إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر..][٤٦٨] .
وهذا الضلال الحاصل ما حصل هكذا اتفاقاً وإنما كان جزاء لمن ترك علم الرسول صلى الله عليه وسلم فمن ترك علم الرسول ومنهج الرسول ودين الرسول وما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فلا شك أنه يضل.
من قلد الآراء ضل عن الهدى ومن قلد المعصوم في الدين يهتدي
والإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان وجب على المؤمن أن يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله سبحانه وتعالى وأن يعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن من

---

٤٦٨) رواه مسلم: وقد سبق.

ألقى نفسه من على شاهق أو رمى بنفسه تحت سيارة فدهسته أي شيء من ذلك فهو لا يعمل هذا إلا عن علم وإرادة ومشيئة من الله سبحانه وتعالى فكان الأجل المحتوم هو هذا ، ولا ينبغي لقاتل أن يقول : لو لم يفعل كذا لكان كذا ، لا كل شيء بالقضاء والقدر فمهما فعل الإنسان أقدم أو أحجم بقي في بيته أم سار إلى قلب المعركة فما كتبه الله سبحانه وتعالى عليه فإنه كائن لا محالة هذه عقيدة الأنبياء وعقيدة محمد صلى الله عليه وسلم وعقيدة السلف الصالح وهي عقيدة المسلمين من لدن آدم إلى آخر واحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأصل ضلال القدرية من المجوس فالمجوس عبدة النار يعتقدون أن النار هي التي خلقت وأعطت ومنحت وهي التي تنفع أو تضر ومنهم طائفة تسمى بالثنوية وهؤلاء يعتقدون أن للكون مدبرين وإلهين إله النور وإله الظلمة إنه ضلال في باب المعتقد.

والمفلحون في هذا الباب هم من كانوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته فمن اعتقد غير عقيدتهم خرج من دائرة أهل السنة إلى قوالب أهل البدعة في هذا الباب أعني في باب القضاء والقدر.

٥ـ [المرجئة : وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان أي تأخيره عنه فليس العمل عندهم من الإيمان والإيمان مجرد الإقرار بالقلب فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل وهذا مذهب الجهمية وهو مع مذهب الخوارج على طرفي نقيض]. المرجئة معروف عنهم التساهل وأما الخوارج فمعروف عنهم التشدد فهم كما قيل بين طرفي نقيض والوسط في ذلك هو الدين الوسط العدل{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً}[البقرة١٤٣] لا تَشَدُّد الخوارج الذين كفروا بمطلق المعاصي ولا تَسَاهَل المرجئة الذين جعلوا أفسق الناس بميزان أعبد الناس وأحسن الناس وأتقى الناس.

فعندهم صاحب الكبائر والإجرام والفسوق والعصيان هو مؤمن كامل الإيمان، أيضاً عندهم إبليس من المؤمنين ومن الأتقياء لأنه مؤمن بقلبه وهكذا فرعون كامل الإيمان لأنه معترف بالله سبحانه وتعالى فعلى ميزان الجهمية على ميزانهم وقانونهم أنه لا داعي للعمل ولا بد أن تعطل أحكام الشريعة لا تقطع يد السارق ولا يجلد الزاني البكر ولا يرجم الزاني المحصن ولا يجلد شارب الخمر ولا يقتل القاتل ولا يحكم على تارك الصلاة بالكفر ولا تارك الزكاة بالردة ولا على تارك الحج بالكفر(٤٦٩) هذا تعطيل للشرائع يكفيك أن تقول فقط لا إله إلا الله وانتهى الإشكال أي دين هذا والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً }[الكهف١٠٧] جعل الإيمان مقرون مع العمل.

ويقول صلى الله عليه وسلم : { سباب المسلم فسوق وقتاله كفر }(٤٧٠) المرجئة لا سُبّ أو لا تَسُب فأنت كامل الإيمان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { سباب المسلم فسوق وقتاله كفر }

---

٤٦٩) فائدة: تارك الحج لا يكفر إلا إذا تركه جحودا لفرضيه وهذا قول ابن عباس والضحاك وعطاء والحسن ومجاهد وغيرهم انظر: تفسير الطبري(٣٥٧/٣) وتفسير ابن كثير(٥٠٨/١).

٤٧٠) متفق عليه: وقد سبق.

ويقول صلى الله عليه وسلم:{ اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت}([٤٧١])

فمثل هذه الأحاديث لا تتوافق مع منهج المرجئة فهذه طائفة ضالة أيضاً من اعتقد عقيدتها فإنه يلحق بها ولا كرامة وتنزل عليه أحكام الهجر وما كان عليه السلف الصالح في تعاملهم مع المبتدعة .

٦-[المعتزلة : أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري وقرر أن الفاسق في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر وهو مخلد في النار وتابعه في ذلك عمرو بن عبيد ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهمية وفي القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد وفي فاعل الكبيرة أنه مخلد في النار وخارج من الإيمان في منزلة بين منزلتين الإيمان والكفر وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين].

وهؤلاء لهم أصول خمسة مشوا عليها على أن هذا واصل بن عطاء كان من أهل السنة ومن تلامذة الحسن البصري ولكنه شذ في هذه المسألة ثم بعد ذلك توسع وأولج في البدع .

٧- [الكرامية : أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ يميلون إلى التشبيه والقول بالإرجاء وهم طوائف متعددة].

وهذا الرجل يشبه صفات الله بصفات المخلوقين ولهم في ذلك أتباع كالحكم بن هشام وغيره من أهل الضلال.

٨- [السالمة : أتباع رجل يقال له ابن سالم يقولون بالتشبيه].

قال ابن العثيمين :[وهذه هي الطوائف التي ذكرها المؤلف ثم قال : ونظائرهم مثل الأشعرية أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان في أول أمره يميل إلى الإعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره ثم أعلن توبته من ذلك وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة رحمه الله أما من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية لا يثبتون من الصفات إلا سبع زعموا أن العقل دل عليها ويؤولون ما عداها وهي المذكورة في هذا البيت :

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر

ولهم بدع أخرى في معنى الكلام والقدر وغير ذلك].

وحديث أبي هريرة المشهور يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: { افترقت النصارى على إحدى وسبعين فرقة واليهود على اثنتان وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة [كلها في النار إلا واحدة] }([٤٧٢]).

---

٤٧١) رواه مسلم(٦٧)

٤٧٢) صحيح: حديث أبي هريرة رواه أحمد(٨٣٧٧) وأبو داود(٤٥٩٦) والترمذي(٢٦٤٠) وابن ماجة(٣٩٩١) ولفظه:[افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة] ورواية أحمد وابن ماجة دون ذكر[وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين] وانظر: الصحيحة(٢٠٣).

والمصادر التي أخرجت حديث أبي هريرة أخرجته دون قوله [كلها في النار إلا واحدة] كما قال الألباني في الصحيحة (٢٠٢/١) قال: فإنها لم ترد في شيء من المصادر التي وقفت عليها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه من هذا الوجه عنه .

فالفرق كثيرة ولسنا مطالبين بعدها ولسنا مطالبين بمعرفة هل قد حصلت أو لم تحصل النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك ولعل هذه والله أعلم أصول أهل البدع المنحرفة الضالة حسب ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وأسعد الناس بالإتباع هم من يكون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام الميامين .

* * * * *

[٩٤] وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم فإن الإختلاف في الفروع رحمة والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة.

[٩٥] نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة ويحيينا على الإسلام والسنة ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

.....

.... الشـرح ....

قال العثيمين : [**الخلاف في الفروع**

الفروع جمع فرع وهو لغة ما بني على غيره، واصطلاحاً: ما لا يتعلق بالعقائد كمسائل الطهارة والصلاة ونحوها. والإختلاف فيها ليس بمذموم حيث كان صادراً عن نية خالصة واجتهاد لا عن هوى وتعصب لأنه وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره حيث قال في غزوة بني قريظة: { لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة فحضرت الصلاة قبل وصولهم فأخر بعضهم الصلاة حتى صلوها بني قريظة وصلى بعضهم حين خافوا خروج الوقت ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على واحد منهم } رواه البخاري([٤٧٣]). ولأن الإختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون ولأنه لا يورث عداوة ولا بغضاء ولا تفريق كلمة بخلاف الإختلاف في الأصول.

وقول المؤلف :[المختلفون فيه محمودون في اختلافهم] ليس ثناء على الإختلاف فإن الإتفاق خير منه وإنما المراد به نفي الذم عنه وأن كل واحد محمود على ما قال لأنه مجتهد فيه مريد للحق فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق.

وقوله : [إن الإختلاف في الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة] أي داخل في رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر مما ظهر لهم فليس عليهم حرج في هذا الإختلاف بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد].

وهذه الزيادة الأخيرة [كلها في النار إلا واحدة] زيادة صحيحة جاءت من حديث أنس عند احمد(١٢٢٢٩) وابن ماجة(٣٩٩٣) وصححها الألباني في: صحيح الجامع(٢٠٤٢) والظلال(٦٤).

٤٧٣) متفق عليه: البخاري(٩٠٤، ٣٨٩٣) ومسلم(١٧٧٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

هذا عند من يفهم أن مسائل الصلاة، الظهار، النفاس، يعني هل للحائض أن تمس المصحف أو لا تمسه ؟ هل للحائض أن تدخل المسجد أو لا تدخل ؟ فيما يتعلق بأخذ ما زاد من القبضة من اللحية وهكذا مسائل من هذا الباب حصل فيها الخلاف زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل خلاف في ذلك فيما يتعلق بالحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو جنينهما أو على طفلهما هل يفطران ويقضيان أم يفطران ويطعمان ابن عباس له قول وجمهور الصحابة لهم قول آخر ، وما يتعلق بصيام من مات وعليه صوم هل يصوم عنه وليه لحديث{ من مات وعليه صوم صام عنه وليه } ([٤٧٤]) هل في ذلك مطلقاً أم أنه في صوم النذر الصحيح أن ذلك في صوم النذر لا في الصوم مطلقاً على أن هناك خلاف حاصل بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإذا كان الخلاف ناشئاً عن اجتهاد واختلاف تنوع أو اختلاف أفهام أو كل واحد أخذ بما ظهر له أو بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فله في ذلك أثارة من علم كان هذا عند السلف الصالح من الأمور التي يعفى عنها ويسامح فيها ولا ينبغي أن يقام على ذلك الدنيا ويقعد من أجلها

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر

يتسامح في هذا الباب حتى فيما يتعلق بكشف وجه المرأة هل واجب على المرأة أن تغطي وجهها جمهور أهل العلم على الإستحباب وذهب فريق من أهل العلم إلى أن تغطية الوجه واجب ونحن معهم في ذلك لأدلة ليس هذا موضعها لكن من أخذ بالقول الآخر فالله يغفر له وعنده في ذلك أدلة وهكذا مسائل في هذا الباب اختلف فيها العلماء الكبار الراسخون في العلم الذين رسخت أقدامهم في العلم ومع ذلك كان يحترم بعضهم بعضاً ويبجل بعضهم بعضاً ويثني بعضهم على بعض وما كانت تضيق صدورهم بالخلاف إذ أنهم يعلمون أن هذا الخلاف حاصل والله تبارك وتعالى يقول:{ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم }[هود: ١١٨ـ ١١٩] .

قال العثيمين:[**الإجماع وحكمه**

الإجماع لغة العزم والاتفاق ، واصطلاحاً : اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهو حجة : وهو حجة لقوله تعالى : { فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول }[النساء :٥٩] .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : { لا تجتمع أمتي على ضلالة } رواه الترمذي([٤٧٥])].

، نعم الإجماع لا يكون إلا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم أما في حياته فلا إجماع والإجماع المنعقد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية هو ما كان زمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك توسع العلماء فيه توسعاً غير مرضي حتى قال الإمام أحمد أبو عبد الله رحمه الله : من ادعى الإجماع فقد كذب ، والمراد به من أكثر من ادعائه أو ادعى الإجماع وأن هناك خلاف حاصل.

ولكن من حيث المبدأ أنه إن حصل إجماع من العلماء في عصر من العصور وانقرض ذلك العصر ولم يحدث أية خلاف من العلماء الموجودين كان هذا إجماعاً على أن بعض أهل العلم

---

٤٧٤) متفق عليه: البخاري(١٨٥١) ومسلم(١١٤٧) عن عائشة رضي الله عنه.

٤٧٥) صحيح: رواه الترمذي(٢١٦٧) والحاكم(٣٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنه وصححه الألباني في: صحيح الجامع(١٨٤٨) وللحديث شواهد أنظرها في ظلال الجنة(٨٠ـ ٨٥).

يقول لا بد من إجماع أن يكون مستند صحيح من آية أو حديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم والإمام البخاري رحمه الله يقول : هو حجة ، ويعني به هذا الإجماع الصحيح لكن البعض ربما قال : أجمعوا على كذا وربما يكون الدليل حاصل ولا يعول عليه ربما الآية موجودة الحديث واضح قول من أقوال الصحابة لكنه أخذ بالسهل وادعى الإجماع فلا ينبغي أن يكثر من هذا الباب إلا بعد تمحيص في الأدلة والنظر في المسألة .

قال العثيمين: **التقليـد**

[التقليد لغة : وضع القلادة في العنق ، واصطلاحاً : إتباع قول الغير بلا حجة ، وهو جائز لمن لا يصل إلى العلم بنفسه لقوله تعالى: [فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[النحل٤٣].

والأصل فيه أنه محرم لا إتباع بلا حجة والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: {اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ }[الأعراف٣] لكنه جائز فيمن لا يستطيع أن يصل إلى العلم بنفسه كطالب العلم المبتدئ وكالعوام فإن العوام مقلدون للعلماء كما قال سبحانه : [فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[النحل٤٣]. فأكثر العوام اليوم مقلدون إما لأبي حنيفة النعمان بن ثابت [٤٧٦]إمام أهل العراق ، أو للإمام مالك أبي عبد الله المولود في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام دار الهجرة أو الإمام الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المصري ،أو الإمام أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله البغدادي أو من أخذ بمذهب الظاهرية أتباع داود بن علي([٤٧٧]) وأبي محمد بن حزم وكذلك مذهب الأوزاعي ومذهب السفيانية سفيان الثوري فهناك مذاهب لكنها قد انقرضت فهؤلاء يقال عنهم مقلدون لكن لا يدخلون في التقليد المذموم إذ أنه قد أخذ قول هذا الإمام على أنه لا ينبغي له أن يتعصب إن أخذ قول هذا الإمام وعلم أن الحق خلافه يجب عليه أن يأخذ بقول غير إمامه وإن كان في ذلك مخالفة لإمامه فقد أفصح هؤلاء الأئمة بأنه لا يجوز أن يتعصب لهم([٤٧٨]) ، يقول الإمام أبو حنيفة لمحمد بن الحسن : لا تكتب عني كل ما أقول فإني أقول اليوم قولاً وأتراجع عنه في الغد ، والإمام مالك يقول : كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر يشير إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والإمام الشافعي يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي في أي مذهب من المذاهب ويقول أيضاً : إذا رأيتم قولي تعارض مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا قولي عرض الحائط وفي عبارة أخرى يقول : اعلموا أني قد جننت ، والإمام أحمد يقول : عجبت لمن يعرف الإسناد وصحته ويذهب إلى

---

٤٧٦) أبو حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠ هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٧ م) النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء، فامتنع ورعا. وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات (قال ابن خلكان: هذا هو الصحيح). وكان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقا. انظر: الأعلام للزركلي(٨/ ٣٦).

٤٧٧) داود الظاهري(٢٠١ ـ ٢٧٠ هـ = ٨١٦ ـ ٨٨٤ م) داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري: أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام. تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. وكان داود أول من جهر بهذا القول. وهو أصبهاني الأصل، من أهل قاشان (بلدة قريبة من أصبهان) ومولده في الكوفة. سكن بغداد، وانتهت إليه رياسة العلم فيها توفي في بغداد . انظر: الأعلام للزركلي(٢/ ٣٣٣).

٤٧٨) انظر: أقوال الأئمة الأربعة في: إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد ص(١٤١): للعلامة/ محمد بن إسماعيل الصنعاني، وصفة الصلاة للألباني ص(٤٥).

رأي سفيان وله عبارة أخرى يقول : لا تقلدني ولا مالكاً ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا ، حتى ابن الأمير الصنعاني([٤٧٩]) يقول :

عـلام جعلتـم أيـهـا النـاس دينـنـا ... لأربـعـة لا شـك فـي فضـلهم عنـدي
هموا علماء الأرض شرقاً ومغرباً ... ونـور عيـون الفضل والحق والزهد
ولكـنـهـم كـالنـاس ليـس كـلامـهـم ... دليـل فيستهـدي بـهم كـل من يهـدي

هم كالناس يؤخذ من أقوالهم ويرد وقال في نهاية القصيدة:

بل صرحـوا أنـا نقـابـل قـولـهـم ... إذا خـالـف المنـقـول بالـقـدح والـرد([٤٨٠])

نرد أقوالهم ولا كرامة ، ويقول مالك رحمه الله : ليس للإمام أن يجبر الناس على قوله ، ليس له في ذلك. على أنه إمام ما هو طالب علم الآن يأتيك طالب علم أقسم بالله أنه لا يجيد أحكام الطهارة ليس عنده إجادة لأحكام الطهارة وما قد رسخت معلومات هذا الفن من العلم في عقله ومع ذلك يريد أن يكون كما قال كشك رحمه الله : يا أرض انهدي ما عليك أحد أدي ، كأنه أمام العصر وما بقي إلا أن يوطن الناس أنفسهم أن يصدروا عن آرائه ويأخذون بأقواله ، لا نحن عندنا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما هداية وكفاية ثم بعد ذلك نستعين على معرفة هذين الأصلين العظيمين بعلوم وأفهام السلف الصالح دون تعصب في هذا الباب آية لم نفهمها فلا بأس أن تأخذ بفهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بفهم العلماء الكبار الراسخين في العلم حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تتأمل كيف فهمه العلماء فتأخذ. والأصل في ذلك العمل وليس فقط أن يجمع العلوم فإن العلوم هذه إذا أنت لم تقيدها بالإخلاص والإتباع والعمل الصالح هي وبال عليك في الدنيا وكذلك في الآخرة

وبـادره وخـذ بـالجـد فيـه ... فإن أعـطـاكـه اللـه انتفعت
وإن أعطيت فيه طول بـاع ... وقال الناس أنك قد رسخت
فلا تأمـن سـؤال الله عنـه ... بتوبيخ علمت فهل عملـت([٤٨١])

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يزيدنا علماً وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

---

٤٧٩) الصنعاني (١٠٩٩ - ١١٨٢ هـ = ١٦٨٨ - ١٧٦٨ م) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن. يلقب (المؤيد بالله) ابن المتوكل على الله. أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام. له نحو مئة مؤلف، ذكر صديق حسن خان أن أكثرها عنده (في الهند). ولد بمدينة كحلان، ونشأ وتوفي بصنعاء. انظر: الأعلام للزركلي(٣٨/٦).

٤٨٠) انظر: إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد ص(١٤٤): للعلامة/ محمد بن إسماعيل الصنعاني وهي أيضا في ديوانه.

٤٨١) هذه الأبيات لأبي إسحاق الألبيري من قصيدة له في الأدب وهي في ديوانه ص(٢٥) ومطلعها:

تـفـت فـؤادك الأيـام فتـا ... و تَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا
وتدعوك المنون دعاء صدق ... ألا يـا صـاح أنـت أريـد أنـتـا
أراك تحب عرسا ذات غدر ... أبـت طـلاقـهـا الأكيـاس بـتـا
تنام الدهر ويحك في غطيط ... بهـا حـتـى إذا مـت انـتـبـهـتـا